

سلسلة أركان الإيمان



# الإيمانُ باليومِ الآخرِ فقرًا لقدومِ عليّ الله

الذكورُ عليّ محمدٍ محمدٍ الصّلاويّ

منتدى أقرأ الثقافي

[www.iqra.afhamontada.com](http://www.iqra.afhamontada.com)

دار المعرفة

بيروت - لبنان

منتدى اقرأ الثقافي

*[www.iqra.afhamontada.com](http://www.iqra.afhamontada.com)*

الْإِيمَانُ بِاليَوْمِ الْآخِرِ  
فَقَدْ قَدُّومٌ عَلَى اللَّهِ





سلسلة الخطبة في قهية - 5 -

# الإيمان باليوم الآخر فقر القدوم على الله

الذكور على محمد محمد الصلاة

دار المعرفة

بيروت - لبنان

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية  
محفوظة لدار المعرفة بيروت - لبنان

Copyright© All rights reserved  
Exclusive rights by **Dar Al-Marefah**  
Beirut - Lebanon

ISBN 9953 - 85 - 239 - 1

الطبعة الثانية  
1432 هـ - 2011 م

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع  
**DAR AL-MAREFAH**  
Printing & Publishing



جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٣٢-٨٣٤٣٠١  
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ - بيروت - لبنان  
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332  
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 - Beirut - Lebanon  
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
 ﴿١٥٧﴾ ﴿آل عمران: 102﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمُ رِزْقًا وَمِنْهَا رِزَالًا كَثِيرًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾  
 ﴿١﴾ ﴿النساء: 1﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٨﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾  
 ﴿٧٩﴾﴾  
 [الأحزاب: 70 . 71].

يا رب لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد . . .

فهذا الكتاب يتحدث عن اليوم الآخر الذي أخبرنا به الخالق العظيم، الرحمن الرحيم، القوي العزيز، في كتابه المجيد.

ومن خلال مسيرتي في عالم التاريخ، رأيت كيف قامت الدول وزالت، وتوسعت الحضارات ثم تبخرت كأن لم تغن بالأمس، وكم من ملوك وأمراء وقادة وحكام وعلماء وفقهاء وفلاسفة وعوام من الناس لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، قد ماتوا وأصبحوا في الأمس الغابر، ودخلوا في عالم البرزخ العظيم.

هذا الكتاب يتحدث عن مصير البشرية بدون استثناء، ويجب عن أسئلة حُيرت الكثير من العقول لبعدها عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد اضطربت فيه التصورات وانحرفت فيه العقائد عن الله والكون، والإنسان والحياة، والقضاء والقدر، والجنة والنار، والمسلمون يملكون عقيدة سليمة لا يملكها غيرهم، وحبّاهم الله بكتابه العزيز الذي حفظه من الضياع والتحريف وسنة نبينا ﷺ وهي شارحة ومبينة لكتاب ربنا ﷻ، فبإمكاننا أن نقدم للعالم شيئاً يحتاجه ولا يملكه ومفتقر إليه ولا يستغني عنه.

إن بني البشر يسألون عن مصيرهم وإلى أين هم ذاهبون ويخشون من الموت وأحواله ويبحثون عن إجابات شافية: ماذا بعد الموت؟

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ عَبَادًا وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ ۝ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ۝﴾ [المؤمنون: 115 - 116].

في هذا الكتاب إجابات شافية ووافية لتساؤلات الكثير من بني

الإنسان قد جمعتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واسترشدت بأقوال علماء راسخين وفقهاء ربانيين حفظ الله جهودهم العلمية في أمهات الكتب القديمة والحديثة والمراجع والمصادر الموثوقة.

فهذا الكتاب في فصله الأول: يتحدث عن الروح والموت وحياة البرزخ، ويبين في مبحثه الأول: حقيقة الروح في القرآن الكريم، ويجيب عن أسئلة متعلقة بها، هل الروح قديمة أم مخلوقة؟ وهل النفس هي الروح وما هي مراتب النفوس؟ وهل تموت الأرواح؟ وهل للروح كيفية تعلم؟

وكيف تقبض الروح في النوم؟ ومتى يغلق باب التوبة؟ وكيفية نزول الروح وخروج روح المؤمن؟

ويشرح الآيات المتعلقة بهذه الأمور كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس: 62 - 64].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٣١﴾ لَمْ يَكُن لَهَا بُشْرَىٰ كَذَٰلِكَ يُجْزَىٰ اللَّهُ الصَّالِحِينَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ نَفَقْتُمْ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفَتٌ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل: 31-32].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٧٨﴾﴾ [الفجر: 27 - 28].

وكذلك الحديث عن خروج روح الكافر واحتضاره وشرح

الآيات المتعلقة بذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿[الأنعام: 93].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ جِئْنَا بِمُحْجُورٍ ﴿[الفرقان: 22].

وقوله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿[١١٠] لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿[المؤمنون: 99 - 100].

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن الموت وحقيقته وأهميته تذكُّره في حياة الإنسان، للابتعاد عن المعاصي، وتليين القلب القاسي وتهوين المصائب، فمن أكثر من ذكر الموت قلَّ فرحه، وقلَّ حسده، واستعد للرحيل.

قال الشاعر:

مشيناها خطا كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنا متفرقات	فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض	فليس يموت في أرض سواها

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفواً  
ليس مصير ذاك إلى انتقال  
وما دنياك إلا مثل فيء  
أظلك ثم أذن بالزوال

ويجد القارئ الكريم بيان الحكمة من الموت، وأن ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان، فتزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيئته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

وأشرت إلى أسباب حسن الخاتمة، كإقامة التوحيد لله ﷻ، والاستقامة، والتقوى، والصدق، والتوبة والدعاء، وقصر الأمل والتفكير في حقارة الدنيا والإكثار من ذكر الموت، وغلبة الرجاء وحسن الظن بالله، والبعد عن أسباب سوء الخاتمة، كما بيّنت أسباب سوء الخاتمة: كالشك والجحود، والتعبد بالبدع وتسويق التوبة وعدم الاستقامة، وتعلق القلب بغير الله وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي ونسيان الآخرة وعدم ذكر الموت والظلم.

كما شرحت الآيات التي تحدثت عن قبض أرواح العباد كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَيُّ ۖ أَلَا لَهُ الْخُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنعام: 61 - 62].

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن حياة البرزخ والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على عذاب القبر، وما ينتفع به الميت من عمل الأحياء وما يتبع الميت إلى قبره، وأن القبر أول منازل الآخرة، والحكمة من عذاب القبر ونعيمه، وهل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ وعن أسباب عذاب القبر والنجاة منه؟ وأين

مستقر الأرواح في البرزخ، كأرواح الأنبياء، وأرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين الصالحين وأرواح العصاة وأرواح الكفار.

وفي الفصل الثاني: كان الحديث عن علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور. وفي المبحث الأول: لخصت مجمل أشراف الساعة الصغرى وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن أشراف الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كنزول عيسى عليه السلام، وبأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والمهدي، والمسيح الدجال، والخسوفات الثلاثة، والنار التي تحشر الناس، وفي المبحث الثالث: النفخ في الصور، وما هو الصور؟ وما هي عدد النفخات؟ وكان الحديث عن البحث في الفصل الثالث، ففي المبحث الأول: الأدلة على ذلك وأسماء يوم القيامة، والمبحث الثاني: خصص للحشر وأحوال يوم القيامة، وشرح الآيات التي تحدثت عن الحشر كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَيْهِمْ لَيْسَ لَهُمْ دُونِي وَلاَ شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) [الأنعام: 51].

وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) [الكهف: 47]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ حَلِيبٍ يَلْعَبُ يَحْنَأُ جَنَاحُهُ إِلاَّ أُنْشِئَ لَكُمْ مَّا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

وتكلمت عن مكان الحشر، وصفة الناس في الحشر، وأحوالهم وخوفهم الشديد، وبينت أحوال يوم القيامة التي ذكرت في القرآن الكريم، كدك الأرض ونسف الجبال، وقبض الأرض وطي



السماء، وتفجير البحار وتسجيرها، وموران السماء وانفطارها، وتكوير الشمس وخسف القمر، وتناثر النجوم، وسجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول الملائكة، ووضحت أحوال الكفار يوم القيامة كذلتهم وهوانهم وحسرتهم وبأسهم، واسوداد وجوههم، وإحباط أعمالهم وفضيحتهم أمام الخلائق وتخاصمهم في الموقف، وكتخاصم العابدين والمعبودين والأتباع مع القادة المضلين، والضعفاء مع السادة والملوك، والمرء مع قرينه وأعضائه، ومقتهم لأنفسهم، كل ذلك من خلال القرآن العظيم.

وذكرت صفة حشرهم، كحشرهم وهم عطاش، وهم عمي وصم وبكم. كما كان لأحوال عصاة الموحدين نصيب من الحديث في هذا الكتاب، كالذين لا يؤدون الزكاة، وأصحاب الغلول والمتكبرون، غاصب الأرض، والغادرون، وذو الوجهين، والحاكم الذي يحتجب عن رعيته. كما كان لحال الأتقياء ذكر، فهم لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون إذا فزع الناس يوم الفرع الأكبر، كما أن وجوههم بيض، ويظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله بسبب أعمالهم في الدنيا والتي من أهمها: العدل في حكمهم وأهلهم وما ولّوا، والتيسير على المعسرين والذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدّون خلتهم، والكاظمين الغيظ، وعقهم للرقاب. وفي المبحث الثالث: تكلمت عن الشفاعة وذكرت الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوتها، وأقسامها، وشروطها وأنواعها، كاختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة، والشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب، وعن الشفعاء غير النبي ﷺ، كالملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون الصالحون، الشهداء وأولاد

المؤمنين، والقرآن الكريم، وكان الحديث عن الأسباب الجالبة للشفاعة كالترحيد وإخلاص العبادة لله، والصيام، والدعاء بما ورد عند الأذان، سكن المدينة والصبر على لأوائها وكثرة السجود.

وفي المبحث الرابع: كان الحديث عن الحساب والميزان والحوض والصراف فقد ذكر الله سبحانه وتعالى مشهد الحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءُوا بِالْأَيْتِنِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: 69]، وشرحت مجموعة من الآيات المباركة المتعلقة بالحساب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِمِيزَانٍ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: 7-8].

- وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عَقِبِهِ وَنُخْرِجُوهُ لَوْمَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا ﴿١٣﴾﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ﴿١٤﴾﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَإِذْرَ وَزَرٌ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 13-15]، وغيرها من الآيات الكريمة.

وكان الحديث كذلك عن اقتصاص المظالم بين الخلق وعظم شأن الدماء وأول ما يقضى بين العباد، وذكرت الأدلة الشرعية المتعلقة بالحوض والميزان ورأي العلماء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَنُصِّعُ الْمُؤْمِنِينَ أَلْفُسًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْقَالٌ حَبْكٍ مِنْ خَزَائِلِ أَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: 47]، ولخصت أهم الأعمال التي تثقل الميزان يوم القيامة، كحسن الخلق وتسبيح الله وتحميده.

ووقفت مع قوله: ﴿وَإِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧٦) ثُمَّ تَنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿[مريم: 71-72]، وعلاقة هذه الآية بالمرور على الصراط ويا له من موقف يشيب لهوله الولدان، ها هي الأمانة على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها أين الأمانة التي ضيعتها؟ أين أمانة الأموال التي سرقتها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت الإنسان؟ بل ها هي الرحم تتعلق على الصراط لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع في اليوم أمام تلك الأهوال.

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فيما احتيالي	إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى	بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن	تلقاه العرائس بالغواني
يقول له المهيمن يا ولي	غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وفي الفصل الرابع: كان الحديث عن النار والجنة، وأوردت في المبحث الأول: مقدمات، كخلود الجنة والنار وكونهما مخلوقتان موجودتان الآن، ومكانهما، وأصحاب الأعراف. وفي المبحث الثاني: تكلمت عن النار، وأسمائها وخزنتها وصفتها وما أعد الله لأهلها ومطالبهم فيها وصور من عذابها. وفي المبحث الثالث: أشرت إلى موانع إنفاذ الوعيد، كالنوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة لأهل الكبائر،

والمصائب المكفرة والعفو الإلهي.

وفي المبحث الرابع: كان الحديث عن الجنة والطريق إليها وأخلاق أهلها، ومن أول وآخر من يدخلها؟ وما أشهر أسمائها وصفتها وأصحابها؟ ومن هم سادة أهل الجنة؟ وما هو فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا؟ وتم التفصيل في نعيم أهل الجنة، كالحديث عن طعامهم وشرابهم، ولباسهم وحيلهم وخدمهم ونسائهم وعن أفضل ما يعطاه أهل الجنة من النظر إلى وجه الله الكريم ورضوانه العظيم، وختم الكتاب بدعاء أهل الجنة، قال تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمَ وَإِذَا نَدَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10].

أيها القارئ الكريم، أضع بين يديك هذا الكتاب، راجياً من الله أن يحيا قلبك، وتزداد هداية مع كل معرفة جديدة عن ذلك اليوم الذي أخبرنا عنه المولى ﷺ في كتابه بطريقه سهلة ميسرة، دون عناء ولا شقاء، فاعمل لذلك اليوم، واستعد للقاء العزيز الرحيم في ذاك اليوم الذي لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أيها القارئ الكريم: إن جعت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقاً أو ذقت ظملاً، فذكر نفسك بالنعيم المقيم في جنات رب العالمين، إنك إن اعتقدت هذه العقيدة وعملت لهذا المصير تحولت خسائر إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا، إن أعقل الناس هم الذين يعملون للأخرة لأنها خير وأبقى وإن أحمقهم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ومنتهى أمانيتهم، فتجدهم أجزع الناس عند المصائب، وأندهم عند

الحوادث، لأنهم لا يرون إلا حياتهم الزهيدة الحقيرة، لا ينظرون إلا إلى هذه الفانية لا يتفكرون في غيرها ولا يعملون لسواها، فلا يريدون أن يعكّر لهم سرورهم ولا يكدر عليهم فرحهم، ولو أنهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم وغطاء الجهل عن عيونهم لحذثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها، دورها وقصورها ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها، إنها والله الدار التي تستحق الاهتمام والكدّ والجهد وهل تأملنا طويلاً في أهل الجنة بأنهم لا يمرضون ولا يحزنون ولا يموتون ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، في غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيما ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يسير الراكب في شجرة من أشجارها مائة عام لا يقطعها، طول الخيمة فيها ستون ميلاً، أنهارها مطردة، قصورها منيفة، قطوفها دانية، عيونها جارية، سرورها مرفوعة أكوابها موضوعة، نمارقها مصفوفة، زرابيها مبلوثة، عظم حبورها، فاح عَرْفها، منتهى الأمانى فيها، فأين عقولنا لا تفكر؟ ما لنا لا نتدبر؟ إذا كان المصير إلى هذه الدار، فلتخف المصائب على المصابين، ولتقرّ عيون المنكوبين ولتفرح قلوب المعدمين<sup>(1)</sup>، وليعمل لرضى رب العالمين العاملون المخلصون، أيها القارئ الكريم: إن مما يثبت السعادة وينميها ويعمقها أن لا تهتم بتوافه الأمور، فصاحب الهمة العالية همّه طلب الآخرة، فيتسامى عن بنيات الطريق فاجعل الهمّ همّاً واحداً، همّ لقاء الله ﷻ، همّ الوقوف بين يديه<sup>(2)</sup> ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ﴾ [الحاقة: 18].

(1) لا تحزن، د. عائض القرني، ص: 47.

(2) المصدر نفسه، ص: 79.

قال الشاعر:

يوم القيامة لو علمت بهوله  
يوم تشققت السماء لهوله  
يوم عبوس قمطيريرُ شره  
والجنة العليا وناز جهنم  
يوم يجيء المتقون لربهم  
ويجيء فيه المجرمون إلى لظى  
ودخول بعض المسلمين جهنماً  
والله يرحمهم بصحة عقدهم  
وشفيعهم عند الخروج محمد  
حتى إذا طهروا هنالك أدخلوا  
فالله يجمعنا وإياهم بها  
من غير تعذيب وغير هوان<sup>(1)</sup>

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأحد في الساعة التاسعة  
إلا خمس دقائق ليلاً بتاريخ 28 / 11 / 2009م 11 ذي الحجة / 1430هـ  
بالدوحة، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن  
يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه  
وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [فاطر: 2].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب  
أمام خالقي العظيم وإلهي الكريم معترفاً بفضلِهِ وكرمه وجوده متبرناً  
من حولي وقوتي ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي  
ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربّي الكريم هو المعين، وإلهي

(1) نونية القحطاني، ص: 20. 19.

العظيم هو الموفق، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي، لتبدل مني العقل، ولغابت الذاكرة، وليست الأصابع، ولجفت العواطف، ولتحجرت المشاعر ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصرني بما يرضيك واشرح له صدري، وجنبي اللهم ما لا يرضيك وأصرفه عن قلبي وتفكيري وأسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی أن تجعل عملي لوجهك خالصاً ولعبادك نافعاً، وأن تثيبني على كل حرف كتبه وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير، إلى عفو ربه، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلِّغْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19] .

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

علي محمد محمد الصلابي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

Mail: info @alsallab.com

Website: www.alsallaby.com





## الفصل الأول

### حقيقة الروح والموت وحياة البرزخ

#### المبحث الأول

#### حقيقة الروح

أولاً، كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه<sup>(1)</sup>:

إحداها: القرآن: كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

الثاني: الوحي: كقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15].

الثالث: جبريل: كقوله تعالى: ﴿فَأَنخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17].

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193].

(1) الروح، لابن القيم، ص: 241. مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص: 369.

الرابع: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين: كما قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: 22] .

الخامس: المسيح ابن مريم: قال تعالى: ﴿يَتَّخِذَ الْكَتَبَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَحَامِلُوا إِلَهَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171] .

السادس: تطلق الروح ويراد بها ما به حياة الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٨٥] [الإسراء: 85] ، فهي الجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار<sup>(1)</sup> ، وهذا هو المقصود في كتابنا هذا.

والروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص: 369.

الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً بهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح<sup>(1)</sup>.

1 - هل الروح قديمة أم مخلوقة: الروح مخلوقة مبتدعة، باتفاق العلماء وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها «مخلوقة» غير واحد من أئمة المسلمين، مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع أو من أعلمهم والأدلة من الكتاب والسنة الدالة على خلقها كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما<sup>(2)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ يَوْمٍ يُدْعَىٰ﴾ [الذھر: 1]، وقوله جلّ وعلا لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ [مریم: 9]، والإنسان اسم لروح الإنسان وبدنه، وخطاب الله لزكريا لروحه وبدنه<sup>(3)</sup>، فالإنسان عبارة عن البدن والروح معاً، بل هو الروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مطية للروح<sup>(4)</sup>.

- وقد جاءت الكثير من النصوص عن النبي ﷺ أن الأرواح تقبض، وتوضع في كفن وحنوط تأتي بهما الملائكة، ويصعد بهما

(1) الروح، لابن القيم، ص: 226، 272، 300.

(2) شرح الطحاوية، ص: 242.

(3) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، د. عمر الأشقر، ص: 95.

(4) فتاوى ابن تيمية (4 / 222).

وتنعم وتعذب وتمسك بالنوم وترسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث<sup>(1)</sup>.

- ولو لم تكن الروح مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبية، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد وهم في عالم الذر أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى، وذلك ما قرره الحق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]، وما دام هو ربهم فإنهم مربون مخلوقون<sup>(2)</sup>.

- ولز. كانت الروح غير مخلوقة فإنها لا تدخل النار ولا تعذب، ولا تحجب عن الله، ولا تغيب في البدن، ولا يملكها ملك الموت، ولما كانت صورة توصف، ولم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تخف، ولم ترج، ولأن أرواح المؤمنين تتلأل، وأرواح الكفار سود مثل الفحم<sup>(3)</sup>.

- والرد على من زعم أن الروح غير مخلوقة وأنها جزء من ذات الله تعالى كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب، فالمراد بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]، أي أنها تكونت بأمره، أو لأنها بكلمته كانت، والأمر في القرآن يذكر ويراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى وهو المأمور به كقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [التحل: 1]، أي المأمور به، ويمكن أن يقال أيضاً

(1) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، ص: 95.

(2) المصدر نفسه، ص: 95.

(3) مجموع الفتاوى (4 / 220).

أن لفظة (من) في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85] يأتي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ، لابتداء الغاية وليس نصاً في أن الروح بعض الأمر ومن جنسه، بل هي لابتداء الغاية إذ كونت بالأمر وصدرت عنه وهذا مثل قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: 171]، أي من أمره كان الروح، وكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجن: 13] ونظير هذا أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ يَّمَنَةٍ فِيمِنَ اللَّهُ﴾ [النحل: 53]، أي منه صدرت ولم تكن بعض ذاته<sup>(1)</sup>.

وأما قوله تعالى في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ [الحجر: 29] وقوله في عيسى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة، والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح:

- كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشعر: 13].

- كقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: 1].

- وقوله: ﴿وَلَطَمَرُ بَيْتِي لِلطَّالِبِينَ﴾ [الحج: 26].

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً

وتشريعاً، يتميز بها المضاف إلى غيره<sup>(1)</sup>.

2 - هل النفس هي الروح: إن النفس تطلق على أمور وكذلك الروح فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، وتطلق على الدم، ففي الحديث: ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه<sup>(2)</sup>.

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس: أي عين، والنفس: الذات ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]، ونحو ذلك، وأما الروح فلا تطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]، وعلى جبريل ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193]، وتطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً، وأما ما يؤيد الله به أوليائه، فهي روح أخرى كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كِتَابٌ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنُ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، وكذلك القوى التي في البدن، فإنها تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام، وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو: قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبه وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح، وللصدق روح،

(1) شرح الطحاوية، ص: 442، القيامة الصغرى، ص: 99.

(2) البيهقي (1 / 253) حديث ضعيف.

والناس متفاوتون في هذه الروح: فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها فيصير أرضياً بهيمياً<sup>(1)</sup>.

3 - مراتب النفوس: أخبرنا الحق سبحانه وتعالى أن النفوس ثلاثة أنواع: النفس الأمارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53]، والنفس اللوامة: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: 2]، والنفس المطمئنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْتِيَّةً﴾ [الفجر: 27] وَأَذْخِلِي جَنَّتِي ﴿[الفجر: 27] - 30.

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة<sup>(2)</sup>.

4 - هل تموت الأرواح: والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تنفنى ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان<sup>(3)</sup>، وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح الجسد<sup>(4)</sup>.

5 - هل للروح كيفية تعلم؟: لما كانت الروح مخلوقة من

(1) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، عبد الآخر الغنيمي، ص: 235.

(2) المصدر نفسه، ص: 235.

(3) مجموع الفتاوى (4 / 279).

(4) شرح الطحاوية، ص: 446.

جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عرّفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن الروح يصعد بها إلى السموات العلا، ثم تعاد إلى القبر، ساعة من الزمن، فقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه<sup>(1)</sup>.

### ثانياً، قبض الروح بالنوم

من أحكام الروح أنها تقبض عند النوم، وهي ما يسمى بالوفاة الصغرى، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: 42].

وعن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة فقال بعض القوم: لو عرّست بنا يا رسول الله قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة»، قال بلال: أنا أوقظكم فاضجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس فقال: «يا بلال أين ما قلت؟» قال: ما ألقيت عليّ نومة مثلها قط، قال: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها عليكم

(1) القيامة الصغرى د. عمر الأشقر، ص: 87.



حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة»، فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابيضت، قام فصلى<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: فتح باب التوبة حتى الغرغرة

الغرغرة هي لحظة نزع الروح وخروجها، وهناك علاقة بين الروح والتوبة، فما دامت الروح مستقرة في البدن فباب التوبة مفتوح<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْأَنْثَى وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [النساء: 17 - 18].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»<sup>(3)</sup>.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: 17] أي: ما كان دون الموت فهو قريب، وقال الحسن البصري: ما لم يغرغر<sup>(4)</sup>.

ولقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن من تاب إلى الله ﷻ وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ

(1) البخاري، لك مواقيت الصلاة رقم: 570.

(2) اليوم الآخر عبد المحسن المطيري، ص: 54.

(3) سنن الترمذي رقم: 3537، حسن غريب.

(4) جامع البيان، لابن جرير الطبري (8 / 9) بتصرف.

اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٨٢﴾ ، وأما متى وقع اليأس من الحياة، وعاین ملك الموت وخرجت الروح في الحلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم وغرغر<sup>(١)</sup> النفس صاعدة للخروج من البدن؛ فلا توبة مقبولة حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْمَلُونَ الشَّيْءَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُدْتُ لَأَتَّوْبَ﴾ [النساء: 18].

### رابعاً: كيفية نزاع الروح

١ - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُكُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتَ جَبْنٌ نَّتُفَرِّقُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَرْتَدُّوا إِلَىٰ الْمَوْلَانِ﴾ [الواقعة: 83-85] ، فلولا إذا بلغت الحلقوم أي: الروح، والحلقوم هو الحلق، وذلك حين الاحتضار ﴿وَأَنْتَ جَبْنٌ نَّتُفَرِّقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَرْتَدُّوا إِلَىٰ الْمَوْلَانِ﴾ (٢).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأنعام: 61-62].

٣ - وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَافِيَ ﴿٦٢﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٣﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ

(١) اليوم الآخر عبد المحسن المطيري، ص: 55.

(٢) المصدر نفسه، ص: 55.

إِنْرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْفَنَى السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِنْ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ آلَسَاكُ ﴿٣٠﴾ [القيامة: 26، 30].

﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقُ﴾، أي الروح، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت مثله قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٣١﴾﴾، وقيل: معناه، أي حقاً أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقُ﴾، أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت.

4 - وقال تعالى: ﴿وَالنَّارِغَتِ غَرَقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَةِ نَسْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: 2، 1] والمقصود الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرق في نزعهم، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط<sup>(1)</sup> وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَةِ نَسْطًا﴾.

5 - وقال تعالى: ﴿وَبَآءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: 19]، سكرة الموت: شدته، وقوله: ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ سكرة الميت التي تدل الإنسان على أنه ميت<sup>(2)</sup>، وهذه السكرة والشدة لا يسلم منها أحد، ولو سلم منها أحد لسلم منها نبينا ﷺ. عن عائشة ؓ: أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق

(1) تفسير ابن كثير (4 / 466).

(2) لسان العرب (4 / 373).

الأعلى» حتى قبض ومالت يده<sup>(1)</sup>.

إن الإنسان إذا اقترب أجله فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح وهذا النزاع يختلف شدة ويسراً بحسب إيمان الرجل<sup>(2)</sup>.

### خامساً: خروج روح المؤمن واحتضاره،

1. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: 62، 64].

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قولين:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له<sup>(3)</sup>.

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، ويدل على هذا حديث البراء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب

(1) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6145.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 58.

(3) سنن ابن ماجه، رقم: 3898 وسنده صحيح.

غير غضبان، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء»<sup>(1)</sup>.

وكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بين هذين التفسيرين<sup>(2)</sup>.

2 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: 30، 31]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: أخلصوا لله، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ أي: على طريقة رسول الله ﷺ باتباعه<sup>(3)</sup>.

وفي قوله: ﴿نَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يُبشرون عند الموت وفي القبر ويوم خروجهم من قبورهم<sup>(4)</sup>، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103]، وقوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾، أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإننا نخلفنكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير<sup>(5)</sup>.

3 - قال تعالى: ﴿جَعَلْتُ عَذْنِي يَدَاخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦١﴾ الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ

(1) مسند أحمد، رقم: 18063، صحيح الإسناد.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 59.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (4 / 98).

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 61.

(5) تفسير البغوي (7 / 173) بتصرف.

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [النحل: 31]-  
[32].

يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة<sup>(1)</sup>، وأن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخْلَطُ<sup>(2)</sup>.

4 - وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّهْنَةً ﴿٧٨﴾﴾ [الفجر: 27، 28].

وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره، وعند قيامه من قبره فكَذَلِكَ ههنا<sup>(3)</sup>.

5 - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُّوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ يَغِيْرِ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ [الواقعة: 88-91].

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 62.

(2) تفسير القرطبي (10 / 67).

(3) تفسير ابن كثير (4 / 510).

فعلوا الواجبات والمستحباب وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قوله: ﴿فَرَّجَ وَرَّحَّمَ﴾ أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَّجَ﴾ راحة، أو الراحة من الدنيا (والروح) الفرح ﴿فَرَّجَ وَرَّحَّمَ﴾ جنة ورخاء، ﴿فَرَّجَ﴾ فرحمة ﴿وَرَّحَّمَ﴾ رزق.

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن<sup>(1)</sup>.

﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾: أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار<sup>(2)</sup>.

- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أُمَّةٍ أَلْيَيْنَ﴾<sup>(3)</sup>، أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ أَلْيَيْنَ﴾<sup>(4)</sup>، أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين<sup>(3)</sup>.

السلام ثلاثة مواضع:

- عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 64.

(2) تفسير ابن كثير (4 / 300).

(3) محاسن التأويل للقاسمي (7 / 22).

- عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير.

- عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام<sup>(1)</sup>.

سادساً، خروج روح الكافر واحتضاره،

1 - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَلَائِكَةُ فِي ظَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

قوله تعالى: ﴿فِي ظَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، أي: كرباته وسكراته، وقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ في ظَمَرَاتِ الْمَوْتِ جوابه محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق والشدة في قبض الأرواح<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، أي بالضرب، كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ بَسَطَ إِلَىٰ يَدَكَ لِتَقْنَلَنِي﴾ الآية، وقوله: ﴿وَبَسَّطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالْيَنَنَّهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [المنحنة: 2]، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَ بَرَهُمْ﴾ [الأنفال: 50].

ولهذا قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾، أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب

(1) تفسير القرطبي (17 / 151).

(2) التسهيل، لابن جزي (1 / 279).



والنكال والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾، أي: كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله<sup>(1)</sup>، ثم يبشرون بالعذاب ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: 93].

2 - وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ [الفرقان: 22]، أي: حرام محرم عليكم دخول الجنة<sup>(2)</sup>.

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله ﷺ: «... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب»، قال: «فتفرق في جسده فيتزعها كما يتزع السفود من الصوف المبلول»<sup>(3)</sup>.

3 - قال تعالى: ﴿زُبَاً يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١﴾ [الحجر: 2]، الآية في أخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، وقيل:

(1) تفسير القرآن العظيم (2/ 156) تفسير البغوي (3/ 169).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 601.

(3) مسند أحمد، رقم: 18013، صحيح الإسناد.

إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً<sup>(1)</sup>.

4 - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِلِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَنْ يَبْقَىٰ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليس مَنُورُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: 28-29].

5 - وقال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٢٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ مِّنْ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون: 99 - 100]، وهم لا يكفون عن طلب الرجعة، فيطلبونها في كل وقت وفي كل حين<sup>(2)</sup>.

- ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا الَّذِي نَذَرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: 10].

- وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: 44].

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَارِيخُهُمْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا مِن شُعَاعَةٍ يَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: 53].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَوَيْتَ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ

(1) تفسير القرآن العظيم (2/ 544).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 69.

رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿[السجدة: 12].﴾

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَزَيْنَا لَذُوقُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ بُرْدٌ وَلَا نَكْذِبُ يَأْتِي رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿[الأنعام: 27-28].﴾

وقال تعالى: ﴿وَرَبِّىَ الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مَرْرٌ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 44].

- وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَاكَ أَكْثَرِينَ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ لَنَا خُرُوجٌ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: 11].

- وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَمَاءَكُمْ أَلْتَذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر: 37]، فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون:

- عند الاحتضار.

- يوم النشور.

- ووقت العرض على الجبار.

- وحين يعرضون على النار.

- وهم في غمرات عذاب الجحيم<sup>(1)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 70.

6 - قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِضُرِيَّتٍ وَمُجُومَةٍ وَأَذْبَرْنَاهُمْ﴾ ﴿٧٧﴾ [سجدة: 27]، هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزاع<sup>(1)</sup>.

7 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أُولَئِكَ أَتَمَّ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَيرِ الْخِلَاطِ وَكَذَلِكَ يُجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40]، وقد فسر هذه الآية النبي ﷺ في حديث البراء السابق وفيه أنه قال: «إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة - يعني عن الاحتضار - نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فسيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فنفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها في تلك المسوح ويخرج منها كائنات ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله: ﴿لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أُولَئِكَ أَتَمَّ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَيرِ الْخِلَاطِ﴾.

فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 72.

فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿[الحَج: 31]﴾، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة<sup>(1)</sup>.

## المبحث الثاني

### الموت

إن الحياة آية من آيات الله، فالموت كذلك آية أخرى تضاد الحياة، ولكنها لا تقل عنها عجباً، قال تعالى: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: 28].

والتفكر في هذه الآية تفكر في خلق من خلق الله وعجائبه الدال على عظيم قدرة الله، وعجيب أمره<sup>(2)</sup>.

(1) مسند أحمد، رقم: 18063، صحيح الإسناد.

(2) القيامة الصغرى، ص: 74.

إن لتذكر الموت أثر كبير في إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات فإذا كان الموت دائماً على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا في عينه ويجعله يسعى في إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره<sup>(1)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هَازِمِ اللذاتِ»: الموت، فإنه لم يذكره في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها<sup>(2)</sup>.

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب. وقال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثاني: ذكر الموت، فبكثير من ذكر هازم اللذات، ومفروق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته، مما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرده عن القلوب مسراتها، ويمسح الأجفان من النوم،

(1) القيامة الصغرى، ص: 81.

(2) صحيح الجامع الصغير (1 / 388)، رقم: 1222.

والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب<sup>(1)</sup>.

وذكر عن الحسن البصري أنه دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربيه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمكم الله، فقال: يا أهلاه، عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه<sup>(2)</sup>، قال أبو الدرداء: من أكثر الموت قلّ فرحه، وقلّ حسده<sup>(3)</sup>.

قال الشاعر:

ومن كتبت عليه خطا مشاها	مشيناها خطأ كتبت علينا
فمن لم تأته منا أناها	وأرزاق لنا متفرقات
فليس يموت في أرض سواها	ومن كتبت منيته بأرض

وقال الشاعر:

فاعلم بأنك بعدها مستول	وإذا وليت قسوماً ليلة
فاعلم بأنك بعدها محمول	وإذا حملت إلى القبور جنازة

وقال آخر:

أليس مصير ذاك إلى انتقال	هب الدنيا تساق إليك عفواً
أظلك ثم أذن بالزوال <sup>(4)</sup> .	وما دنياك إلا مثل فيء

(1) تذكرة القرطبي، ص: 12.

(2) المصدر نفسه، ص: 12.

(3) كتاب الزهد، لابن المبارك، القيامة الصغرى، ص: 213.

(4) القيامة الصغرى، ص: 79 ، 80.

### أولاً: الحكمة من الموت،

إن الموت مرحلة يمر بها الإنسان ومنزلة يردها حقيقة لا يتخطاها، وكأساً يتجرعها، ومنهلاً يستقي منه، فمن حكم الموت:

1 - في الموت تتجلى كمال قدرة الله الخالصة سبحانه وعظيم حكمته في تصريف أطوار الخلق، فهو الذي أنشأ هذا الإنسان من عدم ثم أوجده طوراً بعد طور، وخلقاً بعد خلق، حتى صار بشراً سوياً يسمع ويبصر ويعقل، ويتكلم ويتحرك ويسالم ويخاصم ويتزوج ويتناسل، يعيش على أرض الله وينال من رزق الله، ثم بعد ذلك كله يميتة الله تعالى فلا يأكل ولا يشرب ولا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يتحرك، فيزول بعد بقاء، ويفنى بعد وجود، وكل ذلك بتصريف الله وقدرته وببالغ حكمته في خلق الأمور المختلفة والأحوال المتضادة<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجُمُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: 86-87]، تضمنت الآيتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالاً على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه، وكمال قدرته، ونفوذ مشيئته وربوبيته، وتصرفه في أرواح عباده حيث لا يقدرُونَ على التصرف فيه بشيء وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء ويردها إليهم إذا شاء ويخلي أبدانهم منها تارة، ويجمع بينها وبينهم تارة<sup>(2)</sup>.

(1) الثبات على دين الله، د. الأمين الصادق (2 / 976).

(2) المصدر نفسه (2 / 977) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ص: 149.



2 - إن الله تعالى خلق الموت والحياة ابتلاء لعباده واختباراً لهم ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ أَلَمِيزُ الْفَقِيرُ ۖ﴾ (الملك: 2).

3 - لم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضاً، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف<sup>(1)</sup>.

4 - في الموت نِعَمٌ عظيمة لا تتأتى للناس إلا به، فلولا الموت لما هنا لهم العيش، ولا طاب في هذه الأرض، ولا وسعتهم الأرزاق، ولضافت عليهم المساكن والمدن، والأسواق والطرق.

5 - الموت يخلص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغصص، وحفت بالمكاره والآلام الباطنة والظاهرة إلى نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وسعادة لا تنتهي، في ظلال وارفة، وبساتين مؤنقة، وجنات دائمة مع خيرة الرفقاء وأطيب الأصفياء<sup>(2)</sup>، عن أبي الدرداء رضي الله عنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فلإن الله يقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198]، ويقول: ﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا تُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178]<sup>(3)</sup>.

(1) شفاء العليل، لابن القيم، ص: 241.

(2) الثبات على دين الله (2 / 978).

(3) تفسير القرآن العظيم (1 / 665).

6 - بالموت تصل النفس إلى اليقين، وتتعرف على حقيقتها من حيث إنها مخلوقة لخالق سبحانه، وأنها مخلوقة لغاية<sup>(1)</sup>.

ثانياً، ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان،

إن ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان الطويلة إلى ما لا نهاية للأسباب الآتية:

1 - لأنها بداية الانتقال من عالم الشهادة المحسوس الذي عرفه الإنسان وألفه إلى عالم كان غيباً في الحياة الأولى ويصير محسوساً في الحياة الجديدة التي تبدأ بالموت الجسدي، ليحدث للإنسان في عالم البرزخ لأول مرة عوالم تختلف كل الاختلاف عن عوالم الدنيا التي عايشها واثلتف أو تنافر معها.

2 - في هذه الساعة - ساعة الموت - يرى ملائكة الله ويسمع منهم الكلمة الفاصلة النازلة إليه من عند الله تعالى، وهي الكلمة التي نعيمه الأبدي أو شقاؤه الأبدي، ولو كان يملك العالم كله في هذه الساعة وقبل منه أن يضحي به، أو كان يملك ملء الأرض والسماء ذهباً وقبل منه أن يتصدق به في سبيل أن يسمع كلمة الرضى والعفو من الله في هذه الساعة لفعل وكان في منتهى السعادة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ

(1) الثبات على دين الله (2 / 980).

لَأَفْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿الرَّؤْمَرُ: 47﴾.

3 - كل ما جمعه الإنسان وكد فيه وسهر من أجله وقضى عمره في تخزينه وكنزه، وكل ما زرعه من حدائق غناء وبساتين فيحاء، وكل ما شيّده من دور وما زخرفه من قصور، وكل من يحيط به من أهل وخدم وأتباع، كل ذلك ينظر إليه الإنسان حين تأتبه ملائكة الموت بحسرة وفزع، ويأس وجزع، فإنه مفارق للجميع، ومحروم حرماناً مطلقاً من كل ما جمع فأوعى، وكنز فأبقى.

إن شيئاً واحداً هو الذي يبحث عنه هذا الإنسان في لحظة موته ويوقن أن فيها نجاته وسعاده هو (العمل الصالح)، فإن كان قدمه فلا يضره ما ترك، وإن كان لم يقدم صالحاً فهو القائل: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَائِمَةَ﴾ ﴿٧٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿٧٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٧٩﴾ [الحاقة: 27، 29].

4 - تزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيئته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

إن مثل هذا النوع لم يكن يتوقع حياة أخرى بعد الموت، أو كان يتوقعها ولكنه لغروره ظن أنه على الحق وأن غيره على باطل، اعتماداً على أوهام وخيالات أو اتباعاً للضالين والمغضوب عليهم بدون نظر أو بحث، أو تشبهاً بهواه واستسلاماً لشياطين الإنس

والجن، وهو في كل ذلك رافض لكتاب الله وحكمته، فإذا جاءه الموت كشفت له الحقيقة، ورأى عكس ما قدر، وفوجئ بأن جميع مقاييسه كانت مغلوطة وجميع حقائقه كانت باطلاً وزيفاً، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْآخِرِينَ أَعْمَلًا ۖ﴾ (١٦) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٧﴾ [الكهف: 103، 104]، وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] <sup>(١)</sup>.

5 - إن ساعة الموت فاصلة بين عمر - مهما طال في عصرنا - فلن يزيد عن مائة وخمسين سنة، وهو يعتبر صغراً إذا قيس بآلاف السنين في القبر، وخمسين ألف سنة في الموقف ثم إلى ما لا نهاية في نعيم لا يوصف أو في شقاء لا يتصور، ففي هذا العمر القصير جداً يحدد المصير بالنسبة للمستقبل اللانهائي، وليس في عمر الدنيا كله يحدد مصير المستقبل، بل في سنين معدودة منه، وقد تكون أياماً وقد تكون ساعة واحدة أو أقل، يتوب الإنسان فيها ويندم على ذنوبه ويضرع إلى ربه ويتخلص من مظالمه فينال رضاء الله عند موته ويطمئن على مستقبله، يا لها من سعادة في متناول الجميع، ومن مستقبل لا نهائي يحدد الإنسان مصيره في دقائق، وصدق الله القائل: ﴿سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشَى ۖ وَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُصَلِّي الْأَثَارَ الْكُذْبَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ﴾ [الأعلى: 10 - 13].

لذلك كله ولغيره كانت ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان <sup>(2)</sup>.

(1) رحلة الخلود، حسن أيوب، ص: 112.

(2) المصدر نفسه، ص: 112.

ثالثاً، أسباب حسن الخاتمة،

هناك أسباب يستدل بها على حسن الخاتمة منها:

### 1 - إقامة التوحيد لله (جلّ وعلا):

إن إقامة التوحيد في قلب المسلم يجني ثماره في حياته وعند موته وفي قبره ويوم حشره، ويكون سبباً في دخول جنات ربه ورضوانه قال ﷺ: «فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»<sup>(1)</sup>.

### 2 - الاستقامة:

الاستقامة أعظم كرامة وسبب عظيم في حُسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصديق لما سئل عنها: أن لا تشرك بالله شيئاً. فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد، وقال عمر بن الخطاب: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ ووغان الثعالب<sup>(2)</sup>.

### 3 - التقوى:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا

(1) البخاري، رقم: 325، مسلم 263.

(2) رحلة إلى الدار الآخرة، محمود المصري، ص: 42، سكب العبرات، سيد العفاني

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران: 102] ، وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر<sup>(1)</sup>. وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه<sup>(2)</sup>، فالتقوى سبب للخروج من كل ضيق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦٧﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3].

ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة فتكون التقوى سبباً لنجاته، والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4] ، والتقوى سبب للنجاة من المهالك، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْكَرَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٦٦﴾ ثُمَّ نَتَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: 71، 72].

وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: 63].

#### 4 - الصدق:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4 / 157).

(2) جامع العلوم والحكم (1 / 398).

﴿التوبة: 119﴾. وقال ﷺ: «ما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»<sup>(1)</sup>.

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، من لم يكن معه الصدق فهو من المنقطعين الهالكين، ومن كان معه الصدق أوصله إلى حضرة ذي الجلال، وكان سبباً في حُسن خاتمته وطيب المآل<sup>(2)</sup>.

## 5 - التوبة :

قال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [التور: 31].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُغْزَىٰ اللَّهُ النَّفْسَ الْكَافِرَةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨].

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ»<sup>(3)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(4)</sup>.

(1) صحيح الجامع، رقم: 4071.

(2) سكب العبرات (1 / 61).

(3) مسند أحمد (9 / 17 ، 18) إسناده صحيح.

(4) مسلم ، ك التوبة (17 / 76).

وأما عن شروط التوبة فهي خمسة :

- الإقلاع عن الذنوب.

- الندم على فعل تلك الذنوب.

- العزم على أن لا يعود إليها أبداً.

- الإخلاص في التوبة.

- التحلل من المظالم، لقوله ﷺ: «من كان لأخيه عنده مظلمة

من مال أو عرض فليتحللها اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات»<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ»<sup>(2)</sup>.

## 6 - الدعاء :

كان من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله حين انقضاء آجالهم وهم متمسكون بالطاعات ملازمون لها، ومجانبون للمعاصي مفارقون لها، مصاحبون للأبرار معدودون في زميرتهم، مجافون للفساد حائدون عن صحبتهم، وفي ذلك يقول عنهم المولى ﷺ: «رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: 193]

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 51.

(2) مسند أحمد (9 / 17 ، 18) إسناده صحيح.



لقد كان ذلك مطلب يوسف عليه السلام حين دعا ربه عند انقضاء أجله وذهاب عمره أن يميته على الإسلام ويشبته عليه<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيُّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١١﴾ [يوسف: 101].

## 7 - قصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا:

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَبِثٌ وَلَهُتُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَالِغُهُمْ ثُمَّ يَسْبِغُ فَرَسُهُمْ فَبُغْتُمْ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ ﴿١٦﴾ [الحديد: 20].

وقال عليه السلام: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً»<sup>(2)</sup>.

فالمؤمن يعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وأنه سينسى كل شقاء بغمسة واحدة في جنة الرحمن جلّ وعلا، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأي شيء من حطام الدنيا، بل يمسي ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين، ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقيناً أنه لا راحة إلا في جنة العزيز الغفار<sup>(3)</sup>.

(1) الثبات على دين الله (2 / 1042).

(2) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 52، صحيح الجامع، رقم: 3414.

(3) المصدر نفسه، ص: 52.

## 8 - الإكثار من ذكر الموت :

ذكر الموت ينغص اللذات، ويحقّر الشهوات ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة، وتغسيل الموتى يرق به القلب وتذرف العينان، ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سبباً لحسن الخاتمة<sup>(1)</sup>.

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»، وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفضح منه»<sup>(2)</sup>.

وزيارة القبور تذكر بالموت فيزهّد في الدنيا، ويرغب في الآخرة ويتعظ بها ويعتبر، وقد بين القرطبي رحمته الله بعبارات مؤثرة كيف تتحقق للزائر العبرة والعظة فقال: يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم وافتترقت في القبور أجزاءهم، وترمل بعدهم نساؤهم،

(1) سكب العبرات (1 / 64).

(2) سنن الترمذي، ك الزهد، رقم: 2308.

وشمل ذلّ اليتيم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.. وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخضع جوارحه<sup>(1)</sup>.

## 9 - غلبة الرجاء وحسن الظن بالله

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥) ﴿[العنكبوت: 5] ، ومدح أهله وأئني عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (١١) ﴿[الأحزاب: 21] .

والخوف والرجاء كجناحي طائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإن نقص أحدهما وقع في الطائر النقص، وإن ذهب أحدهما أو كلاهما صار الطائر عرضة للهلاك<sup>(2)</sup>.

ولذا جمع الله بينهما في غير موضع، فقال عزّ شأنه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥١) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلًا رَبَّهُمْ أَلُوَسِيلَةً إِلَهُهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) ﴿[الإسراء: 56، 57].

وقال سبحانه: ﴿أَمَنْ هُوَ فَنَسِيَ مَاءَنَاءَ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلَّا يَلْتَبِئَ﴾ [الزمر: 9].

(1) الثبات على دين الله (1 / 1029).

(2) مدارج السالكين (2 / 36).

ولا يجتمع الخوف والرجاء في قلب العبد عند سكرات الموت ومفارقة الحياة، إلا أعطاه الله ما يرجوه من الرحمة وآمنه مما يخافه من العقوبة والمغفرة<sup>(1)</sup>، ولكن ينبغي أن يغلب عند الموت جانب الرجاء على الخوف، وأن الله تعالى يرحمه ويعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته، وذلك حسن الظن الذي عناه النبي ﷺ في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حين قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»<sup>(2)</sup>. وذلك عند انقطاع العمل، وتبدد الأمل في بقاء حياة ولم يتبق له إلا التعلق بعفو الله ورحمته، وعظيم فضله، ورجاء كرمه، ورحمة الله تسبق غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام<sup>(3)</sup>.

### 10 - البعد عن أسباب سوء الخاتمة:

فإن من أسباب حسن الخاتمة، الخوف من سوء الخاتمة والبعد عن أسبابها وهي: فساد المعتقد والانغماس في البدع، النفاق ومخالفة الباطن للظاهر، التسويف بالتوبة، طول الأمل وحب الدنيا، تعلق القلب بغير الله، إلف المعاصي والإصرار عليها، الانتحار واليأس من رحمة الله، مصاحبة أهل الفساد، عدم الاستقامة على الطاعة<sup>(4)</sup>.

(1) الثبات على دين الله (1 / 1038).

(2) مدارج السالكين (2 / 46.45).

(3) الثبات على دين الله (1 / 1039).

(4) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 54.

## رابعاً: من علامات حسن الخاتمة:

علامات حسن الخاتمة التي جاءت في أحاديث رسول الله ﷺ كثيرة منها: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، الموت برشح الجبين، الموت يوم الجمعة، القتل في سبيل الله، الموت غازياً في سبيل الله، الموت بالطاعون، الموت بداء البطن، الموت بالغرق، الموت بالهدم، الموت في سبيل الدفاع عن المال والدين والنفس، موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، الموت مرابطاً في سبيل الله، الموت على عمل صالح، وقد قام الدكتور محمد حيدر بجمعها ودراستها في رسالته المقدمة لنيل رسالة الدكتوراة بجامعة أم درمان المسماة (أحاديث حياة البرزخ في كتب التسعة جمعاً وتخريجاً ودراسة). من أراد التوسع فليرجع إليها.

## خامساً: من أسباب سوء الخاتمة:

## أسباب سوء الخاتمة كثيرة، نذكر منها على الإجمال:

الشك والجحود والتعبد بالبدع، تسويق التوبة، عدم الاستقامة على الطاعة، طول الأمل، حب الدنيا، صحبة الأشرار، مخالفة الباطن الظاهر، تعلق القلب بغير الله، سوء الظن بالله، الإصرار على الذنوب والمعاصي، نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت، الظلم<sup>(1)</sup>.

وقد تحدث العلماء عن علامات سوء الخاتمة وذكرها منها:

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 79 - 96.

الأمّن من مكر الله ﷻ كأن بعضهم آتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذبهم والغفلة عن ذكر الله ﷻ، والنفاق والرياء وحب السمعة وغير ذلك من العلامات<sup>(1)</sup>.

### سادساً، قبض أرواح العباد:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرْتُمْ وَكُلُّ يَوْمٍ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: 10، 11].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَيُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: 61، 62].

وقال العلماء للجمع بين الآيات السابقة: إن الملائكة الذين هم أعوان ملك الموت ينزعون الأرواح، وملك الموت الذي هو رئيسهم يقبضها إذا بلغت الحلقوم، وهناك رأي آخر وهو أن أعوان ملك الموت يقومون بقبض الأرواح بأمر ملك الموت<sup>(2)</sup>.

### سابعاً، الموت مكتوب على الخلائق ولا ينجو منه هارب،

إن الله تعالى خلق عباده وقدّر لهم أجالاً إليها ينتهون، فلا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ قَدْزَنَا يُنَكِّرُ الْمَوْتَ

(1) سكب العبرات (1 / 114).

(2) رحلة الخلود، حسن أيوب، ص: 113.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ [الواقعة: 60] .

وكتب أجل كل منهم في كتاب عنده لا يزداد فيه ولا ينقص منه  
كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا  
مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145] .

وجعله حتماً لازماً لا بد لكل نفس من تجرع غصصه ولو كان  
الميت رسولاً أو نبياً أو ولياً حيث قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا  
تُؤَخَّرُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْجَ عَنِ الْكَفَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ  
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [آل عمران: 185] ،  
وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:  
57]، إذ لا باقي إلا سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصر:  
88] .

وهو الوارث لجميع خلقه بعد فنائهم وانقضاء آجالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ  
نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مریم: 40] .

وهو المحيي والمميت الذي بيده الإحياء والإماتة لا بيد العباد،  
وليس في ملكهم ومقدرتهم، كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا  
كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا مَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا  
عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ  
وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: 158] .

والعبد لا يمكنه أن يدفع غائلة الموت عن نفسه مهما بلغ  
حرصه عليها، ولذا عاب الله على أهل النفاق تشبيطهم عن الجهاد

بزعمهم أن القعود عنه ينجي من الموت<sup>(1)</sup>، فقال سبحانه في شأنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168].

فالموت لا ينجي منه هرب، ولا يغني عنه جزع، ولا يدفع عنه حذر، ولو تحصَّن منه بالقصور المنيعه، والمساكن الرفيعة، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78].

ولا ينجو منه فار، ولا يسلم منه هارب، وقد أبان الله ذلك لليهود مع كراهيتهم له وخوفهم منه، في قوله: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْعَلِيِّ وَالْشَّهَادَةُ فَيُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8].

وأنذر المنافقين بأن فرارهم منه لا يزيد في أعمارهم، ولا يؤخر في آجالهم، بل بقاؤهم في الدنيا إلى قدر مقدور، وأجل مكتوب<sup>(2)</sup>، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 16].

ولم يطمع الله بشراً في الخلود في الأرض ولو فعل لكان أولى بذلك رسول الله ﷺ<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 30، 31].

(1) الثبات على دين الله (1 / 1046).

(2) المصدر نفسه (1 / 1046).

(3) المصدر نفسه (1 / 1046).



### ثامناً: الآجال محدودة،

إن الله تعالى جعل لكل واحد من الخلق أجلاً معيناً ووقتهاً محدوداً، فإذا جاء أجله وحلّ وقت زواله لا يتقدم عنه برهة من الزمن ولا يتأخر، لا الأمم مجتمعة ولا أفرادها، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَفْلَحْنَا مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا وَلَمَّا كَانَتْ مَعْلُومٌ ﴿١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [الحجر: 4]، [5].

فهذا عن الأمم، وأما عن الأفراد فقد قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145] ، أي بأجل محدود مقيد، إلى وقت معلوم بقضاء من الله مبرم، وقدر محكم فالآجال محدودة بأزمته وأمكنة لا يتخطاها المرء ولا يتعداها ولو سلك كل سبيل<sup>(1)</sup>.

ولو أن العباد استحقوا الهلاك والفناء بسبب ظلمهم ما بادرهم الله بذلك حتى يبلغوا منتهى أعمارهم وغاية آجالهم، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61] .

ويقول: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ

(1) الثبات على دين الله (1 / 1046).

فَلَا تَكُنْ اللَّهُ كَانَ يَعْكَادُهُ بِصِيرًا ﴿١٥﴾ [فاطر: 45].

والمرء لا يدري متى يحل به ذلك الأجل؟ لأن ذلك من علم الغيب الذي طواه الله عن خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: 34].

وقد بين النبي ﷺ أن هذه الخمس هي مفاتيح الغيب التي أخفاها عن عباده<sup>(1)</sup>.

فالإنسان لا يعلم متى ينقضي أجله، وفي أي بقعة يكون مضجعه أفي بر أم في بحر؟ وفي سهل أم حزن؟ وقريب ذلك أم بعيد؟ كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: 185]، ولقد دعا الرسول ﷺ إلى المبادرة بالطاعة، وذلك باستنفاد العمر في ملازمة التقوى وبذل الصحة قبل حلول العلل ومجاهدة النفس قبل وقوع الأجل<sup>(2)</sup>. عن عبد الله بن عمر ؓ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وفيه: خذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك<sup>(3)</sup>، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء<sup>(4)</sup>، وفي رواية: وعد نفسك

(1) صحيح البخاري، ك التفسير، رقم: 4697.

(2) الثبات على دين الله (2 / 1054).

(3) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6416.

(4) البخاري، رقم: 6416.

في أهل القبور<sup>(1)</sup>. والمعنى: استمر سائراً ولا تفتّر، فإنك إن قصّرت انقطعت وهلكت<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثالث

### حياة البرزخ

جاءت النصوص بإثبات الحياة في البرزخ، وهي حياة تخالف الحياة المعهودة في الدنيا، فالله سبحانه جعل الدور ثلاثاً: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها... وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها... فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً أبدياً أصلاً<sup>(3)</sup>.

والبرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِم بِرَزْخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونيمة، اسم لعذاب البرزخ ونيمة وهو ما بين الدنيا والآخرة<sup>(4)</sup>، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا

- (1) سنن الترمذي، ك الزهد، رقم: 2333، صححه الألباني.
- (2) تحفة الأحوذى (6 / 515)، الثبات على دين الله (2 / 1055).
- (3) كتاب الروح، لابن القيم، ص: 88، 89، الوعد الآخروي شروطه وموانعه، عيسى السعدي، ص: 89.
- (4) تفسير القرطبي (12 / 150)، أحاديث حياة البرزخ، ص: 32.

إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْقَالُهَا مِن وَلَّيْتَهُمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: 99، 100].

أولاً، الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر،

1 - قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

ففي قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، فالآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، - يعني يوم موته - وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾<sup>(1)</sup>.

2 - قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا يَلْمِزُكَ فِتْنَةُهُمْ فَعَلِمْتُمْ مَن يَلْمِزُكَ سَتَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101]، وقوله تعالى: ﴿سَتَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>، أي: ستعذبهم مَرَّتَيْنِ المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر. وأما عذاب الآخرة

(1) الروح، ص: 132.

فذكره بقوله: ﴿ثُمَّ يَرْدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>.

3 - قال تعالى: ﴿وَوَقَدْنَا اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45-46]، وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

4 - قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِمِرْجِحَتِكَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 21]، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر... فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بها بعد عذاب الدنيا<sup>(2)</sup>، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ﴾ [السجدة: 21] يعني به عذاب القبر<sup>(3)</sup>.

5 - قال تعالى: ﴿فَذَرْنَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: 45 - 47].

عن قتادة أن ابن عباس ؓ كان يقول: إنكم لتجدون عذاب

(1) تفسير الطبري (14 / 441).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 98.

(3) دراسات عقديّة في الحياة البرزخية، للحازمي، ص: 311.

القبر في كتاب الله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: 47] <sup>(1)</sup>.

6 - قوله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَارُ﴾ ﴿١٦١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿التكاثر: 1-2﴾ فيها الحديث عن عذاب القبر <sup>(2)</sup>.

7 - قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]، قوله: ﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾، أي: بعد إغراقهم، وهذا يدل على عذاب القبر <sup>(3)</sup>.

### ثانياً، فتنة القبر وسؤال الملكين،

لقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٧٧﴾ [إبراهيم: 27].

فعن البراء بن عازب ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» [إبراهيم: 27].

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك ؓ قال: قال: قال نبي الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه

(1) دراسات عقدية، ص: 312، تفسير الطبري (11 / 499).

(2) أهوال القبور، لابن رجب، ص: 79.

(3) تفسير القرطبي (18 / 201).

يسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعد من الجنة.

قال نبي الله ﷺ: «فيراها جميعاً».

«وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد، ضربة، فيصبح صبيحة يسمعه من يليه غير الثقلين»<sup>(1)</sup>.

### 1 - اسم الملكين:

منكر ونكير: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول، هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التثمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها

(1) البخاري، ك الجنائز، رقم: 1374.

أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»<sup>(1)</sup>.

## 2 - عودة الروح إلى الميت عند السؤال :

ومما يستدل به على عودة الروح إلى جسد الميت عند السؤال حديث البراء بن عازب رضي الله عنه والذي سنذكره بطوله، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استمعيلوا بالله من عذاب القبر». مرتين أو ثلاث. ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقا، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها، كأطيب نفخة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون. يعني بها. على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا

(1) سنن الترمذي، رقم: 1071، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 1391.



بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به وصدقته، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فيتزعها كما يتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كائنات ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟

فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تَقْنَحْ لَهُمُ ابْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سِتْرِ اللَّيْلِ﴾ [الأعراف: 40]. فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طراحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِينٍ﴾ [الحج: 31]، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فالرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة<sup>(1)</sup>.

3 - ما ينتفع به الميت من عمل الأحياء :

ينتفع الأموات من سعي الأحياء بأمرين :

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

(1) مسند أحمد، رقم: 18534، إسناده صحيح.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج والأدلة على ذلك منها:

أ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10]. فأثنى الله عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

ب - والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة. وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»<sup>(1)</sup>، وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية<sup>(2)</sup>.

- وأما وصول ثواب الصدقة في (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمتي افترقت نفسها، ولم توصل، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجرٌ إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»<sup>(3)</sup>.

(1) الحاكم (1 / 370)، صحيحه ووافقه الذهبي.

(2) مسلم، رقم: 249 سنن أبي داود، رقم: 3237.

(3) البخاري، رقم: 1388.

- وأما وصول ثواب الصوم، ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»<sup>(1)</sup>.

- وأما وصول ثواب الحج ففي صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجي عنها، أرايت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»<sup>(2)</sup>.

- وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة. وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يُسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة حيث ضَمِنَ الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال النبي ﷺ: «الآن برزت عليه جلده»<sup>(3)</sup>.

- وهذا جار على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته<sup>(4)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(5)</sup>.

(1) مسلم، رقم: 1147.

(2) البخاري، رقم: 1852.

(3) أورده الهيثمي في المجمع (3 / 39) إسناده حسن.

(4) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، للغنيمي، ص: 248.

(5) مسلم، رقم: 1631.

وقد تحدث العلماء في الصدقات الجارية و بابها واسع وكبير:  
من بناء المساجد، والآبار، والمدارس والمعاهد، وطباعة العلوم  
النافعة، وكفالة الأيتام والأرامل، وطلاب العلم...إلخ.

#### 4 - بكاء السماء على الميت:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وله بابان، باب يصعد  
منه عمله وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك  
قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ ﴿١٩﴾  
[الدخان: 29]<sup>(1)</sup>.

#### 5 - ما يتبع الميت إلى قبره:

قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى  
واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»<sup>(2)</sup>.

#### 6 - القبر أول منازل الآخرة:

قال رسول الله ﷺ: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن  
نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»،  
وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه»<sup>(3)</sup>.

#### 7 - نعيم القبر وعذابه ينال من دفن ومن لم يدفن:

عذاب القبر ونعيمه ينال من دفن ومن لم يدفن، وأن من أكلته  
السباع أو مزق جسده أو أحرق ودُزّر رماد جسمه في البر أو البحر،

(1) سنن الترمذي، رقم: 3255، ضعيف الإسناد.

(2) البخاري، رقم: 6514.

(3) سنن الترمذي، رقم: 2308، صحيح الجامع الصغير، رقم: 5623.

أو من كان في ثلاثيات الموتى فترات طويلة، أو من أغرق أو صلب، أو كل من لم يدفن بحال من الأحوال، فإنه يناله عذاب القبر أو نعيمه، وأنه يحيا حياة برزخية حتى يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

### 8 - الحكمة من عذاب القبر ونيعمه :

هناك مجموعة من الحكم في عذاب القبر ونيعمه منها :

- إظهار فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخية، وإذلال وتعذيب المكذبين العاصين والعاثين بالله.

- إظهار قدرة الله تعالى في تعذيب العصاة والكافرين، وتنعيم المؤمنين الصادقين في القبر دون أن يشعر بذلك سائر البشر.

- إن المكلفين عندما يعلمون أن هناك عذاباً في القبر أو في الحياة البرزخية، فإن ذلك يكون رادعاً ومانعاً لهم عما يسوء ويشين فعله في الآخرة.

- التحذير من بعض الذنوب والمعاصي، والتي يكون لها عقوبات خاصة تناسبها، كعدم التنزه من البول والنيمة وغير ذلك.

- إنه قد يكون العذاب في القبر أو في الحياة البرزخية مكفراً لبعض الذنوب والمعاصي التي ألم بها العبد في الحياة الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا ذنب له.

(1) دراسات عقديّة في الحياة البرزخية، ص: 348.

- إنه قد يكون العذاب في القبر تخفيفاً لعقوبة ذلك العبد في النار يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

## 9 - هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

يختلف عذاب العصاة من المؤمنين، فمنهم من يعفو الله عنهم فلا يعذبهم في قبورهم، ومنهم من تكون معاصيه صغيرة، فيعذبون بقدرها، ثم يرفع عنهم العذاب وقد ينقطع أو يرتفع بدعاء أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج<sup>(2)</sup>، أو غيرها من أعمال الخير، ومنهم من تكون معاصيه كبيرة فيستمر به العذاب لقول النبي ﷺ: «بينما رجل يجزر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.

وأما الكافر والمنافق يستمر عذابه إلى يوم القيامة ولا يتوقف، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْمِضُونَ عَلَىٰ طُعْنٍ خُدُوءًا وَعَشِيقًا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذِلَّةٌ مَّالٍ فِرْعَوْنُ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ﴾ [غافر: 46] ، وفي حديث البراء بن عازب ؓ في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»<sup>(4)</sup>.

وأما قول الله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثَانَا مِنْ مَّرْقَدَاتٍ﴾ [يس: 52] .

(1) دراسات عقدية في الحياة البرزخية، ص: 358 ، 359.

(2) المصدر نفسه، ص: 249.

(3) البخاري، رقم: 3485.

(4) مجمع الزوائد (2 / 328)، رجاله ثقات.

قال العلماء: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم<sup>(1)</sup>.

قال الإمام الطبري في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَوَلَّيْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، قال هؤلاء المشركون لما نُفِخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها: ﴿قَالُوا يَوَلَّيْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين<sup>(2)</sup>.

وقال العلامة الشنقيطي عن هذه الآية: والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قال غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، أي هذا البعث بعد الموت<sup>(3)</sup>.

وقال ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق<sup>(4)</sup>.

(1) دراسات عقديّة في الحياة البرزخية، ص: 350.

(2) تفسير الطبري (10 / 450 - 451).

(3) أضواء البيان (6 / 489 ، 490).

(4) مسلم، ك الفتن، رقم: 2955.



وفي هذا الحديث دلالة على أنهم يموتون بين النفختين مقدار أربعون، ولم تُحدد تلك الأربعون، وإن ذهب بعض أهل التفسير إلى أنها أربعون سنة<sup>(1)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «لا تخبروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يُفَيَّق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله»<sup>(2)</sup>.

إن الآيات والأحاديث الدالة على استمرار العذاب، من باب العموم، وقد خصصت بآية (يس) وبالأحاديث السابقة الذكر في هذا القول<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: أسباب عذاب القبر،

ما الأسباب التي تعذب به أصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين، مجمل ومفصل:

أما المجمل: فإنهم يُعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنأ كانت فيه أبدأ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب وأسخطه في

(1) دراسات عقديّة، ص: 353.

(2) المصدر نفسه، ص: 353.

(3) المصدر نفسه، ص: 354.

هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر ومصداق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

فالنمام والكذاب والمغتتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والداعي إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له، والمجازف في كلامه، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى ظلماً، وأكل السحت من الرشوة، وأكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر، وأكل لقمة الشجرة الملعونة (الحشيش)، والزاني واللواطى، والسارق، والخائن والغادر والمخادع والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكتابه وشهادته والمحلل، والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين ومتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل، والمفتي بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والملحد في حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونواحي جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله، والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين

باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذئ الذي تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة، ولا يبالي بما حصل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدعُ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقتلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب... وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليات تغلي بالحسرات، كما تغلي القبور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها<sup>(1)</sup>.

وهذه بعض أسباب عذاب القبر:

### 1 - الشرك بالله والكفر به :

من أعظم أسباب عذاب القبر الإشراف بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ

(1) الروح، لابن القيم، ص: 103 - 106.

سَأُولٌ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام: 93].

## 2 - النفاق :

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفِقُونَ رِيعَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّوْنَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: 101] ، سنعذبهم مرتين : إحداهما في الدنيا والآخرة هي عذاب القبر.

## 3 - النسيمة وعدم الاستتار من البول :

عن ابن عباس رضي الله عنه ، مر النبي ﷺ على قبرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير». ثم قال : «بلى» ، أما أحدهما فكان يسعى بالنسيمة وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله قال : ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز<sup>(1)</sup> ، كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»<sup>(2)</sup>.

## 4 - الغلول<sup>(3)</sup> :

عن أبي رافع رضي الله عنه قال : مررت مع رسول الله ﷺ بالبقيع ، فقال : «أف لك ، أف لك» فظننت أنه يريدني ، فقلت : يا رسول الله أحدثت شيئاً؟ قال : «وما ذاك؟» قلت : أففت مني. قال : «لا ولكن

(1) الغرز : الإدخال (النهاية) (3 / 359).

(2) البخاري ، ك الجنائز ، رقم : 1378.

(3) الغلول : الحياطة.

صاحب هذا القبر فلان، بعثته ساعياً على بني فلان فقلّ درهماً، فذرع الآن مثلها من النار»<sup>(1)</sup>.

## 5 - جرّ الإزار من الخيلاء :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به فهو يُجلجل»<sup>(2)</sup> في الأرض إلى يوم القيامة»<sup>(3)</sup>، وإنما خص الإزار بالذكر، لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالباً<sup>(4)</sup>.

## 6 - حبس المدين في قبر بدينه :

روى سعد بن الأطول رضي الله عنه، أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي نبي الله ﷺ: «إن أخاك محبوس بدينه، فاذهب فاقض عنه»، فذهبت فقضيت عنه ثم جئت، قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «أعطاها فإنها محقة» وفي رواية «صادقة»<sup>(5)</sup>.

## 7 - عقوبة الأخذ بكتاب الله ثم رفضه والنائم عن الصلاة المكتوبة :

فقد جاء في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه الطويل جواب

(1) مسند أحمد (6 / 392).

(2) يجلل: الحركة مع الصوت.

(3) البخاري، رقم: 3485.

(4) فتح الباري (10 / 272).

(5) أحكام الجنائز للألباني، ص: 15، إسناده صحيح.

الملكين عن سؤال النبي ﷺ عما رأى في ليلته معهما فقالا له: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر<sup>(1)</sup>، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة<sup>(2)</sup>.

فالجزاء من جنس العمل فلأن هذا الرجل رفض القرآن وجعله وراء ظهره وتناقل عنه وكذلك عن الصلاة المكتوبة فلم يصلها مع عباد الله في جماعة المسلمين بل ثقل رأسه على الفراش، فجزأؤه أن يثلغ ويرضخ هذا الرأس الذي هذا فعله وشأنه وهكذا يعذب إلى قيام الساعة، فقد جاء في بعض الروايات: ... فيفعل به إلى يوم القيامة<sup>(3)</sup>.

#### 8 - عقوبة الكذاب:

وفي حديث سمرة أيضاً ما أجاب الملكان عن عقوبة ذلك الرجل الذي يشرشر ويمزق ويقطع شذقه وعينه ومنخره إلى الخلف إنه الكذاب الذي يفشو كذبه وينتشر على الملأ حيث قالاً للنبي ﷺ: .. وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شذقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق<sup>(4)</sup>. فانظر إلى عقوبة هذا الداء العضال والمرض الاجتماعي

(1) يثلغ رأسه: أي يشدخه ويشقه.

(2) البخاري، رقم: 7047.

(3) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 137.

(4) البخاري، رقم: 7047.

الذي يجب على المسلم تحاشيه فإنه من صفات المنافقين عياداً بالله من كل سوء<sup>(١)</sup>.

## 9 - عقوبة الزناة والزواني :

في حديث سمرة أيضاً المتقدم جاء فيه : ... فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال : وأحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لغط وأصوات قال : فطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء وعراة وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم إذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا... أي صاحوا.  
وفي آخر الحديث : وأما الرجال والنساء والعراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني<sup>(٢)</sup>.

ومناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا، لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنائتهم من أعضائهم السفلى<sup>(٣)</sup>.

## 10 - عقوبة أكل الربا :

وفي الحديث السابق أيضاً : ... فانطلقنا فأتينا على نهر حسبته أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر<sup>(٤)</sup>

(1) الكبائر والصغائر، ص: 137.

(2) البخاري، رقم: 7047.

(3) فتح الباري (12 / 465).

(4) فيفغر: أي يفتح.

- أي يفتح - له فاه فيلقمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجراً... الحديث، وفي حديث آخر: وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا<sup>(1)</sup>.

### 11 - الإفطار في رمضان من غير عذر:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتانياني جبلاً وعرأ فقالا: اصعد، فقلت: إني لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى غذا كنت في سواء الجبل إذا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفترون قبل تحلة صومهم»<sup>(2)</sup>.

### 12 - من حرمت رضيعها من ثديها:

إذا عمدت الأم إلى حرمان ابنها من هذا اللبن الذي خلفه الله تعالى في ثديها وأعطته بدلاً منه لبناً صناعياً لا يقوم مقامه ولا يماثله . وهل يصنع الناس كما يصنع ربهم؟ فإن النتيجة أن الوليد سينشأ ضعيفاً، وتعاقب الأم على ذلك في قبرها بعد موتها، ففي حديث أبي أمامة: «ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعن أولادهن اللبن»<sup>(3)</sup>.

(1) البخاري، رقم: 7047.

(2) رواه ابن خزيمة وصححه الألباني في، صحيح الترمذي، ص: 995.

(3) صحيح ابن خزيمة، رقم: 70، حياة القبر حسن زكريا، ص: 59.



## 13 - حبس الحيوان وتعذيبه :

ففي حديث جابر في صلاة الكسوف قال النبي ﷺ : «وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش<sup>(1)</sup> الأرض حتى ماتت جوعاً»<sup>(2)</sup>.

## 14 - الذين يقولون ما لا يفعلون :

قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ إِلَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 44] .

وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : 2] .  
[3]

وقال ﷺ : «رأيت ليلة أسري بي رجلاً تُقرض شفاهم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ﴿إِنَّمَا تَعْلَمُونَ﴾»<sup>(3)</sup>.

## 15 - النياحة على الميت :

قال ﷺ : «الميت يُعذب في قبره بما نيح عليه»<sup>(4)</sup>. وعن أبي

(1) خشاش الأرض : الحشرات والهوام.

(2) مسلم ، ك الكسوف ، رقم : 904 .

(3) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم : 291 .

(4) البخاري (3 / 161) .

موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يموت فيقوم بأكبهم فيقول: واجبلأه واستدأه أو نحو هذا إلا وكل به ملكان يلهاذه أهكذا كنت»<sup>(1)</sup>. وهذا محمول على أنه أوصاهم بذلك أو علم أنهم سينوحون عليه ثم لم ينهم، قال ابن المبارك إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئاً من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء، والعذاب عندهم بمعنى العقاب.

### 16 - السرقة:

وأما عذاب السارق في البرزخ ففيه حديث رسول الله ﷺ، عن جابر حيث قال رسول الله ﷺ: «... وحتى رأيت فيها صاحب المحجن»<sup>(2)</sup>، يجر قعبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق محجني وإن غفل عنه ذهب به»<sup>(3)</sup>.

### 17 - الإعراض عن ذكر الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124].

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، ولا ريب أنه من المعيشة الضنك<sup>(4)</sup>، فالمعيشة - الضنك - لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه وفي البرزخ في يوم معاده<sup>(5)</sup>.

(1) صحيح سنن الترمذي (1 / 294).

(2) عصا معقوفة.

(3) مسلم، ك، رقم: 904.

(4) حياة القبر عذاب أم نعيم، حسن زكريا، ص: 55.

(5) الداء والدواء، لابن القيم، ص: 137، 163، 164.

والآية تتناول ما هو أعم منه<sup>(١)</sup>.

رابعاً : الأسباب المنجية من عذاب القبر:

من الأسباب المنجية لعذاب القبر، تجنّب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاتته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقّب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله<sup>(٢)</sup>.

أما الجواب المُفصل: فنذكر مما ينجي من عذاب القبر:

### 1 - توحيد الله تعالى:

لقد كان توحيد الله سبحانه دوماً في مقدمة الأعمال الصالحة، لأنه أساسها وأصلها الذي تنبني عليه، وإذا فقد أو خرم انهار صرحها، وتهاوى بنيانها، وهو أعظم عامل للثبات في جميع المواطن وفي هذا الموطن جاء الدليل من الكتاب والسنة على أهمية

(١) الرحلة إلى الدار الآخرة، ص: 196.

(٢) المصدر نفسه، ص: 199.

التوحيد في ثبات المؤمن في القبر<sup>(1)</sup>، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27].

والقول الثابت هو كلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يثبت في القبر إلا الموحد الذي عرف الله حق المعرفة، وآمن به إيماناً صادقاً، ولم يعبد سواه، بل وحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته<sup>(2)</sup>.

## 2 - الاستقامة على طاعة الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [تُفَصِّلَتْ: 30]. فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه، فمن عاش على الطاعة مخلصاً لله ومتبعاً له ومتبعاً لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينور الله له قلبه بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة جزاء لكل لحظة عاشها في طاعة الله جلّ وعلا<sup>(3)</sup>.

## 3 - الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات:

قال النبي ﷺ: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق

(1) الثبات على الدين (2 / 1137).

(2) المصدر نفسه (2 / 1138 ، 1139).

(3) الرحلة إلى الدار الآخرة، ص: 201.

نعالهم حين يولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرايتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا نسألك عنه، أرايتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمة<sup>(١)</sup>، في النسم الطيب وهو طير يعلق<sup>(٢)</sup> في شجرة الجنة، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]<sup>(٣)</sup>.

(١) نسمة: النسمة هي النفس والروح.

(٢) تعلق: أي تأكل.

(٣) الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان، رقم: 3113.

لقد بينت الأحاديث أن لهذه الطاعات أثراً عظيماً في القبر، فهي تحيط بالمؤمن من جميع جوانبه وتحميه وتدافع عنه<sup>(1)</sup>.

#### 4 - الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٢٤٦) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَانَ الَّذِينَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٤٧) ﴿آل عمران: 169، 170﴾.

وقد جاء بيان ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عندما سألته مسروق عن معنى الآية الأولى فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلّع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»<sup>(2)</sup>.

فالشهداء أرواحهم حية عند الله حياة برزخية، مودوعة في أجواف طير خضر تنعم بنعم الله، وترتزق برزق الله، تسرح من الجنة حيث شاءت، تأكل من ثمارها وتلتذ بنعيمها، وهي مغتطبة

(1) الثبات على دين الله (2 / 1141).

(2) مسلم، ك الإمارة، رقم: 1887.

فرحة بما نالت من أجر وحظيت من كرامة، بل تتمنى أن تعود إلى الدنيا لتقتل في سبيل الله مرة أخرى لما رأت من فضل الشهادة وعظيم ثوابها<sup>(1)</sup>.

ولقد بين النبي ﷺ أن من قتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه أمن من فتنه القبر وسلم منها، فلما سئل رسول الله وقيل له: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة»<sup>(2)</sup> السيوف على رأسه فتنه»<sup>(3)</sup> وقال رسول الله ﷺ: «من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره»<sup>(4)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الباقوة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج بأنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»<sup>(5)</sup>.

## 5 - الرباط في سبيل الله:

فعن فضالة بن عبيد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كل الميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر»<sup>(6)</sup>. وفي رواية قال: «ينمي له عمله إلى يوم

(1) الثبات على دين الله (2 / 1143).

(2) بارقة السيوف: أي لمعانها.

(3) سنن النسائي، رقم: 2053، صحيحه الألباني.

(4) مستدرک الحاكم (2 / 130)، صحيح الإسناد.

(5) سنن الترمذي، رقم: 1663، صحيح الإسناد.

(6) سنن أبي داود، رقم: 2500، صحيح الإسناد.

القيامة، ويؤمن من فتنة القبر»<sup>(1)</sup>، وعن سلمان الفارسي ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله أفضل»، وربما قال: «خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وقِيَ فتنة القبر ونُئِيَ له عمله إلى يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

فالمرباط في سبيل الله يأمن من فتنة القبر فيسلم منهما بثبات وصبر، فيضاعف له الأجر، ولا ينقطع مدة الحياة وأبد الدهر إلى يوم القيامة والحشر<sup>(3)</sup>.

## 6 - التعوذ بالله من عذاب القبر:

عن أنس بن مالك ؓ قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من المعجز والكسل والجبن والبخل والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»<sup>(4)</sup>.

وعن عروة بن الزبير عن عائشة ؓ، أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»<sup>(5)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع، من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا

(1) الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان، رقم: 4624.

(2) مسلم، رقم: 1913.

(3) الثبات على دين الله (2 / 1144).

(4) البخاري، رقم: 6367.

(5) البخاري، رقم: 832.



والممات، ومن شر المسيح الدجال<sup>(١)</sup>.

## 7 - الدعاء :

ولا ينبغي أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء، فالدعاء من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في التشهد: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «والذي نفسه بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم» - وفي رواية (الأعظم) - «الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سئل به أعطى»<sup>(٢)</sup>، فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العليا وباسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر، ونحن موقنون بالإجابة<sup>(٣)</sup>، كما أن الدعاء للميت من أسباب التثبيت، فعن عثمان بن عفان ؓ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»<sup>(٤)</sup>.

## 8 - تجنب أسباب عذاب القبر :

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل

(١) مسلم، رقم: 588.

(٢) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 205، أخرجه الحاكم وصححه.

(٣) المصدر نفسه، ص: 205.

(٤) سنن أبي داود، رقم: 3221، صححه الألباني.

الأسباب التي تؤدي إلى عذاب القبر، مثل النسيمة وعدم الاستتار والتزهد من البول، والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به، وأكل الربا والوقوع في الزنا... إلخ، فكل هذه الأشياء من أسباب عذاب القبر فعلى أن نتجنبها لننجو جميعاً من عذاب القبر، وكذلك علينا أن نتجنب الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة، من الشك والجحود وفساد المعتقد والنفاق وحب المعاصي والإصرار عليها وتعلق القلب بغير الله والانتحار والعدول عن الاستقامة وحب الدنيا وطول الأمل<sup>(1)</sup> وغير ذلك من الأسباب.

ونسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينجينا جميعاً من عذاب القبر وعذاب النار وأن يجمعنا في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

### خامساً، مستقر الأرواح في البرزخ،

تفاوتت أرواح العباد في البرزخ في منازلها، ومن خلال دراسة النصوص الواردة في ذلك يمكن التقسيم التالي:

#### 1 - أرواح الأنبياء:

وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ في آخر لحظات حياته يقول: «اللهم الرفيق الأعلى»<sup>(2)</sup>.

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 303.

(2) صحيح البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (11 / 357).

## 2 - أرواح الشهداء :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ [آل عمران: 169]. وأرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل<sup>(١)</sup>.

## 3 - أرواح المؤمنين الصالحين :

تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء، أن الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق في ثمر الجنة ولا يتقل في أرجائها<sup>(٣)</sup>.

## 4 - أرواح العصاة :

سبق وأن ذكرت بعض النصوص التي تبين ما يلاقه العصاة من العذاب، فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل في شذقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل

(١) مسلم، رقم: 1887.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: 995.

(٣) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، عمر الأشقر، ص: 103.

التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار تحته، والمرابي يسبح في بحر من الدم، وعلى الشط من يلقيه الحجارة<sup>(1)</sup>، وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غلّ من الغنيمة ونحو ذلك.

### 5 - أرواح الكفار:

في حديث رسول الله ﷺ بعدما وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقه عند النزع وبعد أن تقبض روحه، تخرج منه، كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار<sup>(2)</sup>.

(1) البخاري، رقم: 7047.

(2) سنن النسائي، ك الجنائز (4 / 8)، اليوم الآخر القيامة، الصغرى للأشقر، ص:

## الفصل الثاني

### علامات الساعة الصغرى والكبرى والنفخ في الصور

#### المبحث الأول

##### علامات الساعة الصغرى

أولاً: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية،

أخبر النبي ﷺ بما يكون إلى قيام الساعة وذلك مما اطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، حتى بلغت التواتر المعنوي<sup>(1)</sup>، فمنها:

1 - ما رواه حذيفة ؓ:

قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته، فأعرفه، كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه<sup>(2)</sup>.

2 - روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري ؓ:

قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا

(1) الشفا بتعريف أحوال المصطفى (1 / 650)، القاضي عياض.

(2) صحيح البخاري، ك القدر، مع فتح الباري (11 / 494).

حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل، فصلى، ثم صعد، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا<sup>(1)</sup>.

فهذه أدلة صحيحة على أن النبي ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة فيما يخصهم، ولا شك أن أشراف الساعة كثيرة جداً، ورويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم<sup>(2)</sup>.

### ثانياً، علم الساعة،

غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فإن علم الساعة مما استأثر الله به، فلم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ يُقَلِّتُ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: 187]. فالله تعالى يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده فهو الذي يعلم جليّة أمرها، لا يعلم ذلك أحد من أهل السموات والأرض<sup>(3)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: 63].

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (18 / 16).

(2) أشراف الساعة، يوسف الوابل، ص: 55.

(3) المصدر نفسه، ص: 58.

- وقال تعالى: ﴿يَتْلُوَنَّكَ عَنِ السَّاعَةِ آيَاتٍ مُّرْسَلَةً﴾ ﴿١٧﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٨﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَا ﴿١٩﴾ [النازعات: 42، 44].

فتمتهدى علم الساعة إلى الله وحده، ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت الساعة. كما في حديث جبريل الطويل. قال النبي ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»<sup>(1)</sup>. فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك محمد ﷺ<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: قرب قيام الساعة،

تدل الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب الساعة وذنوبها، فإن ظهور أكثر أشراف الساعة دليل على قربها وعلى أننا في آخر أيام الدنيا<sup>(3)</sup>، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنبياء: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: 63].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ﴿١﴾ وَرَأَيْنَهُ قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ [المعارج: 6، 7].

- وقال تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ [القمر: 1].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على قرب نهاية هذا

(1) البخاري مع فتح الباري (1 / 114).

(2) أشراف الساعة، ص: 58.

(3) المصدر نفسه، ص: 67.

العالم الدنيوي، والانتقال إلى دار أخرى، ينال فيها كل عامل عمله،  
 إن خيراً فخير، وإن شراً فشر<sup>(1)</sup>، وقال ﷺ: «بعثت أنا والساعة  
 كهاتين» ويشير بأصبعيه فيمدهما<sup>(2)</sup>.

رابعاً، مجمل اشراط الساعة الصغرى،

تحدث العلماء عن اشراط الساعة وإليك أهمها مما ثبت بالسنة  
 النبوية منها:

- 1 - بعثة النبي ﷺ.
- 2 - موت النبي ﷺ.
- 3 - فتح بيت المقدس.
- 4 - طاعون عمواس<sup>(3)</sup>.
- 5 - استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة.
- 6 - ظهور الفتن، كظهورها من المشرق، ومقتل عثمان ؓ،  
 موقعة الجمل، موقعة صفين<sup>(4)</sup>، ظهور الخوارج، موقعة الحرة<sup>(5)</sup>،  
 اتباع سنن الأمم الماضية.

- 
- (1) اشراط الساعة، ص: 67.
  - (2) صحيح البخاري مع فتح الباري (11 / 347).
  - (3) عمواس: بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة، وكان هذا الطاعون في عهد  
 عمر بن الخطاب.
  - (4) انظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة، للصلاحي، فيه تفصيل.
  - (5) معركة بين أهل المدينة وجيش يزيد بن أبي سفيان عام 63هـ.



- 7 - ظهور مدعي النبوة.
- 8 - ظهور نار الحجاز. 9 - انتشار الأمن.
- 10 - قتال الترك.
- 11 - قتال العجم .
- 12 - ضياع الأمانة.
- 13 - قبض العلم وظهور الجهل .
- 14 - كثرة الشرط وأعوان الظلمة.
- 15 - انتشار الزنا.
- 16 - انتشار الربا.
- 17 - ظهور المعازف واستحلالها
- 18 - كثرة شرب الخمر واستحلالها.
- 19 - زخرفة المساجد والتباهي بها.
- 20 - التطاول في البنيان.
- 21 - ولادة الأمة لربتها.
- 22 - كثرة القتل.
- 23 - تقارب الزمان.

- 24 - تقارب الأسواق.
- 25 - ظهور الشرك في هذه الأمة.
- 26 - ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار.
- 27 - تشييب المشيخة.
- 28 - كثرة الشح .
- 29 - كثرة التجارة.
- 30 - كثرة الزلازل.
- 31 - ظهور الخسف والمسخ والقذف.
- 32 - ذهاب الصالحين.
- 33 - ارتفاع الأسافل.
- 34 - التحية للمعرفة، أي لا يطلق السلام إلا على من يعرفه.
- 35 - التماس العلم عند الأصاغر.
- 36 - ظهور الكاسيات العاريات.
- 37 - صدق رؤيا المؤمن.
- 38 - كثرة الكتابة وانتشارها.
- 39 - التهاون بالسنن التي رغب فيها الإسلام.

- 40 - انتفاخ الأهلة<sup>(1)</sup>.
- 41 - كثرة الكذب وعدم التثبت في نقل الأخبار.
- 42 - كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق.
- 43 - كثرة النساء وقلة الرجال.
- 44 - كثرة موت الفجأة. 45 - وقوع التناكر بين الناس<sup>(2)</sup>.
- 46 - عود أرض العرب مروجاً وأنهاراً.
- 47 - كثرة المطر وقلة النبات.
- 48 - حسر الفرات عن جبل من ذهب.
- 49 - كلام السباع والجمادات للإنسان.
- 50 - تمنى الموت من شدة البلاء.
- 51 - كثرة الروم وقتالهم للمسلمين.
- 52 - فتح القسطنطينية.
- 53 - قتال اليهود.

---

(1) تفسير انتفاخ الأهلة بأن ذلك عبارة عن كبر الهلال حين طلوعه عما هو معتاد في أول الشهر، فيرى وهو ابن ليلة كأنه ابن ليلتين.

(2) وقوع التناكر عند كثرة الفتن والمحن وكثرة القتال بين الناس، وحينما تستولي المادة على الناس، ويعمل كل منهم لحظوظ نفسه فتكثر الأناية وتسيطر الأهواء والشهوات فيحدث التناكر بين الناس.

54 - نفي المدينة لشرارها ثم خرابها في آخر الزمان.

55 - بعث الريح الطيبة لقبض أرواح المؤمنين.

56 - استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة.

هذه أهم أشراط الساعة الصغرى التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ، ومن أراد التوسع ومعرفة الأحاديث فليراجع كتاب أشراط الساعة<sup>(1)</sup> ففيه التفاصيل.

### المبحث الثاني

اشراط الساعة الكبرى في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

أولاً: نزول عيسى عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى:

1 - قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا شَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَأَلِهَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّكُمْ لَوَلِمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ ﴿٦١﴾ وَاتَّبِعُوا هَذَا مِصْرًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف: 57، 61]، فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام، وجاء في آخرها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَوَلِمَ لِّلسَّاعَةِ﴾، أي:

(1) أشراط الساعة، يوسف الوابل، ص: 235، 80.

نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة<sup>(1)</sup>.

2 - وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: 157، 159].

فهذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ وَثَاظَكَ وَارْتَقِ الْوُجُوهَ﴾ [آل عمران: 55]، فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله<sup>(2)</sup> وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

وعيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»<sup>(3)</sup>. ويثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يقتل الدجال، ومن فارقت روحه جسده، لم ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي، فإنه يقوم من قبره، وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55]، فهذا دليل على أنه لم يعن

(1) أشراط الساعة، ص: 342.

(2) المصدر نفسه، ص: 344.

(3) تفسير المنار (3 / 317) لمحمد رشيد رضا.

بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت، لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم، ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: ﴿وَمَطَّهْرُكَ مِنْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولو كان قد فارقت روحه جسده، لكان بدنه في الأرض، كبदन سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء، وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ سَيَّئَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ آخَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ شَكٌّ مِّنْهُمْ بِمَا لَمْ يَدْرِ إِلَّا إِنْبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۖ﴾، فقله هنا: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه، كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل مات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم<sup>(1)</sup>.

3 والأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام كثيرة ومتواترة منها:

- قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»<sup>(3)</sup>؟

(1) تفسير الطبري (8 / 6).

(2) البخاري مع فتح الباري (6 / 490 - 491).

(3) المصدر نفسه (6 / 491).

- وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول له أميرهم: صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة»<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام في الصباح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدل دلالة صريحة على نزول عيسى عليه السلام ولا حجة لمن ردها.<sup>(2)</sup>

### ثانياً: ياجوج وماجوج

خروج ياجوج وماجوج في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد دل على ظهورهم الكتاب والسنة:

1 - قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَوَّعَ سَبْعًا ۝٩٨ حَقًّا إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٩ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُنْذَرُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝١٠٠ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝١٠١ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفِرُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ۝١٠٢ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ۝١٠٣ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي لِإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝١٠٤ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: 92 - 99].

(1) مسلم على شرح النووي (2 / 193 - 194).

(2) أشرط الساعة، ص: 349.

2 - وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَتَوَلَّوْنَ أَدْبَارًا هُمْ هُمْكَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: 96، 97].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم، ليحجز بين يأجوج ومأجوج - القوم المفسدون في الأرض - وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فساداً وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة<sup>(1)</sup>.

والأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة منها:

- عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش، أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترَب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» - وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها - قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم، إذا كثر الخبيث»<sup>(2)</sup>.

(1) أشراف الساعة، ص: 371.

(2) البخاري مع الفتح (13 / 106).



### ثالثاً: الدخان،

قال تعالى: ﴿فَآتَتْكَ بَيِّنَاتٌ مِّنَ السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝﴾ يَخْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ [الدخان: 10، 11]، ومن علامات الساعة وأشراتها العظمى ظهور دخان قبل قيام الساعة يملأ الأرض كلها فتصبح كبيت أوقد فيه، فيأخذ بالمؤمنين كالزكمة ويدخل في منافذ الكفار والمنافقين حتى يخرج من كل مسمع منهم<sup>(1)</sup>، وعن حذيفة بن أسيد الغفاري أنه قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون؟» قلنا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وبأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تترد الناس إلى محشرهم<sup>(2)</sup>.

### رابعاً: طلوع الشمس من مغربها،

من أعظم أشرار الساعة الكبرى وبه يغلق باب التوبة، وقد ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ كَغَتْةِ أُنثَىٰ ۚ إِنَّهَا يُرَىٰ كَإِنْ يَأْتِيكِ بَعْضُ مَا يَتَىٰ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ مَا يَتَىٰ رَبُّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَتْهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظُرُونَ ۝﴾ [الأنعام: 158].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات

(1) أشرار الساعة الكبرى، ماجد البكاني، ص: 185.

(2) مسلم، رقم: 2901، أشرار الساعة، للبكاني، ص: 185.

المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها وهو قول أكثر المفسرين<sup>(1)</sup>.

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية:  
وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها<sup>(2)</sup>.  
ومن الأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة منها:

1 - قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، فرآها الناس، آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(3)</sup>.

#### خامساً، خروج الدابة،

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يُخرج لهم دابة من الأرض، فتكلم الناس على ذلك<sup>(4)</sup>، قال العلماء في

(1) أشراف الساعة، ص: 391.

(2) تفسير الطبري (8 / 103).

(3) صحيح البخاري مع الفتح (13 / 81 - 82).

(4) أشراف الساعة، ص: 404.

معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾، أي: وجب الوعيد عليهم، لتماديتهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجح معه فيهم موعظة، ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: 82]، أي: دابة تعقل وتنطق، والدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل، ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله<sup>(1)</sup>.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصه أحدكم»<sup>(2)</sup>.

#### سادساً: المهدي،

جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي، وهذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط، ومن هذه الأحاديث:

- قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعمائة أو ثمانمائة يعني: حججاً»<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف

(1) التذكرة، ص: 697، نقلاً عن: أشراف الساعة، ص: 404.

(2) مسلم، رقم: 2947.

(3) مستدرک الحاكم (4 / 557 - 558) سنده صحيح، رجاله ثقات.

من الناس وزلازل، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضي عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً. فقال له رجلاً: ما صحاحاً؟ قال: «بالسوية بين الناس»<sup>(1)</sup>.

- وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»<sup>(2)</sup>. أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك.

### سابعاً، المسيح الدجال،

مسيح الضلالة، يفتن الناس بما يعطاه من الآيات، كإنزال المطر، وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق، وسُمي الدجال مسيحاً، لأن إحدى عينيه ممسوحة، ولأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً، والقول الأول هو الراجح، لما جاء في الحديث النبوي: «إن الدجال ممسوح العين»<sup>(3)</sup>، ومعنى الدجال: المموه الكذاب المُمخِر وهو من أبنية المبالغة، وهو على وزن فعال، أي يكثر منه الكذب، والتليس وجمعه دجالون، وجمعه الإمام مالك على دجاجة وهو جمع تكسير<sup>(4)</sup>، ولفظة الدجال: أصبحت علماً على المسيح الأعور الكذاب، فإذا قيل الدَّجَال، فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

وسمي الدجال دجالاً: لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه

(1) مسند أحمد (3 / 37) مع منتخب الكنز، رجالة ثقات.

(2) مسند أحمد (2 / 58)، رقم: 645، إسناده صحيح.

(3) صحيح مسلم، ك الفتن، أشراف الساعة (18 / 61) على شرح النووي.

(4) لسان العرب (11 / 236).

يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل لانه يغطي الأمر بكثرة جموعه<sup>(1)</sup>.

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون، فلا يفتنون به بل يكونون على علم بصفاته، فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة، نسأل الله العافية.

ومن هذه الصفات أنه رجل شاب، أحمر، قصير، أفجع، جعد الرأس، أجلى الجبهة، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة<sup>(2)</sup>، ولا جحراء<sup>(3)</sup>، كأنها عنب طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة<sup>(4)</sup>، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو (كافر) بدون تقطيع يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له، وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة ومنها:

1 - قال رسول الله ﷺ: «إن المسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء»<sup>(5)</sup>.

2 - قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر»<sup>(6)</sup>.

(1) لسان العرب (11 / 236، 237).

(2) ناتئة: مأخوذة من التواء وهو الارتفاع والانتفاخ.

(3) جحراء: ليست غائرة منحجرة في نقرتها.

(4) ظفرة: لحمة تنبت عند المآقي، وقد تمتد إلى السواد فتخشاه.

(5) سنن أبي داود مع عون المعبود (11 / 443) حديث صحيح.

(6) صحيح مسلم على شرح النووي (18 / 60، 61) جفال: كثير.

3 - وقال ﷺ: «وإن بين عينيه مكتوب كافر»<sup>(1)</sup>.

وحُزِمَ على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، وأما سوى ذلك من البلدان، فإن الدجال سيدخلها واحداً بعد الآخر، وأكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك، وأخلاق من الناس غالبهم الأعراب والنساء<sup>(2)</sup>.

وفتنة الدجال عظيمة وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتحير الالباب<sup>(3)</sup>.

4 - الوقاية من الدجال: أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذرهما منه، ومن جملة ما حذر منه فتنة المسيح الدجال لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، وخص محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيراً من صفات الدجال ليحذر أمته، فإنه خارج من هذه الأمة لا محالة، لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين، ومن الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة الآتي:

أ - التمسك بالإسلام، والتسلح بسلاح الإيمان،

(1) صحيح البخاري مع الفتح (13 / 91).

(2) أشرار الساعة، ص: 309 - 311.

(3) المصدر نفسه، ص: 313.

ومعرفة أسماء الله الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله تعالى منزّه عن ذلك وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت.

ب - التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدّجال»<sup>(1)</sup>، وروى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدّجال»<sup>(2)</sup>.

ج - حفظ آيات من سورة الكهف: فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها، ومن الأحاديث الواردة قوله ﷺ: «من أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»<sup>(3)</sup>، وقال ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدّجال»<sup>(4)</sup>، أي: من فتنته، وهذا من خصوصيات سورة الكهف، فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة يوم الجمعة<sup>(5)</sup>.

(1) صحيح مسلم مع شرح النووي، (5 / 87).

(2) المصدر نفسه (5 / 87).

(3) المصدر نفسه (18 / 65).

(4) المصدر نفسه (6 / 92 - 93).

(5) أشراط الساعة، ص: 328.

روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين»<sup>(1)</sup>.

د. الفرار من الدجال والابتعاد منه، قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال، فليأمنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»<sup>(2)</sup>.

وأما هلاك الدجال فيكون على يدي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة<sup>(3)</sup>.

#### ثامناً، الخسوفات الثلاثة:

وهي من اشراط الساعة جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات»... فذكر منها «وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»<sup>(4)</sup>، وهذه الخسوف تكون عظيمة وعامة لأماكن كثيرة من الأرض في مشارقها ومغاربها وفي جزيرة العرب. وقد وجد عبر التاريخ الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد

(1) مستدرك الحاكم (2 / 368)، صحيح الإسناد.

(2) صحيح الجامع الصغير للألباني، رقم: 6177.

(3) اشراط الساعة، ص: 333.

(4) صحيح مسلم، مع شرح النووي (18 / 27 - 28).



والخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وُجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً وقدراً<sup>(1)</sup>.

تاسعاً: النار التي تحشر الناس؛

ومنها خروج النار العظيمة وهي من أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، وجاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن، فقد جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»<sup>(2)</sup>، وفي رواية له عن حذيفة أيضاً: «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس»<sup>(3)</sup>. وكون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها وعندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق<sup>(4)</sup>.

### المبحث الثالث

### النفخ في الصور

أولاً: ما هو الصورة؟

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَّخِيرٌ﴾ ﴿٨٧﴾ [النمل: 87].

(1) فتح الباري، لابن حجر (13 / 84)

(2) أشراط الساعة، ص: 419.

(3) مسلم مع شرح النووي (18 / 27.29).

(4) أشراط الساعة، ص: 419.

وقد سَمَّاهُ اللهُ تعالى أيضاً الناقور، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الْنَّاقُورِ﴾ [المؤثر: 8].

والناقور هو الصور<sup>(1)</sup>، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد وعَرَّفَ النبي ﷺ الصور فقال كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال: «الصور قرن ينفخ فيه»<sup>(2)</sup>.

وقد سَمَّى اللهُ تعالى الصوت الذي يخرجهُ إسرَافيل من الصور بأسماء هي:

- 1 - النفخة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13].
- 2 - الصبيحة: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَبَاحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: 49].
- 3 - الراجفة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [التاوعات: 6، 7].

- 4 - الزجرة: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الصافات: 19].

فإسرَافيل ينفخ نفخة وزجرة - وهي النفخة بغضب - تحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب<sup>(3)</sup>.

(1) فتح الباري (11 / 376).

(2) سنن أبي داود، رقم: 4742.

(3) المصدر نفسه، رقم: 4742.

## ثانياً، عدد النفخات،

اختلف العلماء في عدد النفخات، القول الأول: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وذلك أن الله نصر على هذه الثلاث في كتابه، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَخِيرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: 87] ، وهذه نفخة الفزع.

- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزمر: 68] ، وهذه نفخة الصعق ونفخة البعث، وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث<sup>(1)</sup>.

القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث، وقالوا: هذا هو ظاهر النصوص:

- كقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٨٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٩٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ ﴿٩١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّائِنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يس: 49 - 52].

- ففي قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾

(1) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 325، وهو حديث ضعيف.

[يس: 49] هذه هي النفخة الأولى.

- وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ هذه هي النفخة الثانية.

- وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ ۖ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ﴾ [النازعات ، آية : 6 ، 7]. هما النفختان الأولى والثانية<sup>(1)</sup>.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: آبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: آبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: آبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق<sup>(2)</sup>.

ويمكن الجمع بين الفزع والصعق وجعلهما نفخة واحدة ولكنها تبدأ بالفزع، وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها، أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ فينفخ نفخة إفزاع يطولها ويمدها لا يفتر وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع، فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كل من في السموات والأرض إلا من شاء الله<sup>(3)</sup>.

ومن هذا الباب يمكن الاستدلال على ذلك بقول الرسول ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين»، ثم قال: «وهم في ذلك

(1) تفسير ابن كثير (4 / 466)، فتح الباري (11 / 374).

(2) البخاري، رقم: 4536، مسلم، رقم: 2955.

(3) رحلة قبل الرحيل، بشير عبد الله، ص: 39.

دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتأً ورفع ليتأً، قال: «وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»، قال: «فيصق ويصق الناس»<sup>(1)</sup>.

وأصغى في الحديث: يعني: أمال. (والليت): صفحة العنق، فهذا التسمع والإصغاء يدلنا على أن بداية النفخة ليست كنهايتها في القوة والشدة، حتى أن الصوت لم يشمل كل الناس عند بدايته<sup>(2)</sup>، كما نجد في نص الحديث: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. فلو كانت بدايتها (بالصعقة) المميتة لمات الناس على إثرها، ولما بقي فسحة لهذا التسمع والإصغاء وكأن الصوت يبدأ ويبدأ ثم يمضي في التدرج الصاعد، إلى أن يملأ الكون دويًا وأرعادًا، مصحوبًا بالزلزلة العظيمة، وذلك التدرج في النفخ والمد والتطويل أدعى لتصعيد حدة الخوف، وإيقاع الرهبة في نفوس شرار الخلق الذين يعذبهم الله في الدنيا بأحداث الساعة ما شاء له أن يعذبهم، إلى أن يأمر بنفخة الصعق فيصعقون<sup>(3)</sup>.

1 - انتظار إسرافيل الأمر بالنفخ في الصور: قال رسول الله ﷺ: «إن طَرْفَ صاحب الصور منذ وُكِّلَ به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دُرَيَّان»<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، رقم: 7307.

(2) رحلة قبل الرحيل، ص: 39.

(3) المصدر نفسه، ص: 40.

(4) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم: 1078.

2 - كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن؟: قال ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»<sup>(1)</sup>.

3 - اليوم الذي يكون فيه النفخة: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، إن الله حزم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء»<sup>(2)</sup>.

4 - من الذين استثناهم الله من الفزع والصعق؟: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَّامٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

ذهب طائفة من العلماء أن الذين استثناهم الله في قوله ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هم الملائكة، ومنهم من قال: إنهم الأنبياء أو الشهداء أو الحور العين... الخ. والصحيح أنه لم يرد نص صريح في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ، يحدد لنا من الذين استثناهم الله في تلك الآية، وبذلك لا يمكننا أن نجزم بذلك، وصار مثل العلم بوقت الساعة، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به<sup>(3)</sup>.

(1) السلسلة الصحيحة، رقم: 1079.

(2) صحيح الجامع، رقم: 4000.

(3) مجموع الفتاوى (4 / 261)، رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 341.

ثالثاً، الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى،

1 - قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: 87].

2 - وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: 68].

3 - وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ لَؤَافٍ ﴿١٥﴾﴾ [ص: 15].

4 - وقوله تعالى: ﴿قَالُوا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الصافات: 19].

5 - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّايِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [التازعات: 6].

رابعاً، الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية،

1 - قال تعالى: ﴿قَالُوا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصافات: 19].

هي عبارة عن النفخة في الصور الثانية<sup>(1)</sup>.

2 - وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ صُورَهُمْ فِي بَعْضِ نَفْخٍ فِي الصُّورِ لَمَسَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99].

3 - وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(1) فتح الباري (11 / 376)، اليوم الآخر، للمطبري، ص: 218.

يَنبِلُوكَ ﴿٥١﴾ [يسر: 51].

4 - وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ [يسر: 53].

5 - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٥٣﴾ [النبا: 18].

6 - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِيزَ زُرْقًا﴾ ﴿٥٤﴾ [طه: 102].

7 - وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي الصُّورِ﴾ ﴿٥٥﴾ [المؤمنون: 101].

قال الشنقيطي: إنها الثانية<sup>(1)</sup>.

8 - وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾ ﴿٥٦﴾ [ق: 20].  
قال الشوكاني: وهذه هي النفخة الآخرة للبعث<sup>(2)</sup>.

9 - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ﴿٥٧﴾ [ق: 42].

10 - وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿٥٨﴾ [الحاقة: 13].

لقوله بعدها: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿٥٩﴾ [الحاقة: 15].

(1) أضواء البيان (5 / 822).

(2) فتح القدير، للشوكاني (5 / 76).



## خامساً، الآيات التي تحتل الأمرين،

1. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَارْتَدُّوا عَلَىٰ مَكَانِهِمْ ۚ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۚ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَادُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ﴾ (٥٦) وَقَدْ سَكَّرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ ۚ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۚ﴾ (٥٧) وَجِلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُذِيبٍ ۚ﴾ (٥٨) اسب: 51، 54.

2. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنِلُمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73].

3. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكْرِه﴾ [القمر: 6].

قال القرطبي: الداعي هو إسرافيل <sup>(١)</sup> عليه السلام، وعليه فتكون الدعوة هي النفخ في الصور، والله تعالى أعلم وأحكم <sup>(٢)</sup>

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17 / 85).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 220.



## الفصل الثالث

### البعث والحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس

#### المبحث الأول

##### البعث

هو إعادة المخلوقات بعد فنائها للحساب والجزاء، من خير أو شر<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿لَيَجْزِي الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31].

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث، وتحقيق وقوعه منهجاً قوياً يجمع بين ما فُطِرَت عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، وتلك الطريقة تميز بها القرآن الكريم<sup>(2)</sup>.

---

(1) الباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، د. محمد محمد الزبيدي، ص: 216.

(2) دراسات في التفسير الموضوعي، د. إبراهيم الألمي، ص: 302.

أولاً: الاستدلال بمن أمانتهم الله ثم أحياهم كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم:

1 - قوم موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ بِمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَدَّلْنَا نَاصِرَكُمْ مِثْلَ مَا كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ ٥٦﴾ [البقرة: 55 . 56].

2 - المضروب بعضو من أعضاء البقرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَيْنَا ثُمَّ فَيْتَا بِاللَّهِ نَحْنُ نَكْتُمُونَ ٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُكْفِرِينَ وَيُؤَيِّدُ الْغَافِلِينَ ٧٣﴾ [البقرة: 72 . 73].

3 - الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنِيبَهُمْ﴾ [البقرة: 243].

4 - ما حصل لعزير، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُغْنِي عَنْهُ اللَّهُ بِعَمَلِهِ قَالَمَاتُهُ اللَّهُ يَأْتِيهِ عَامِرٌ تَوَكَّلْ قَالَ كَيْفَ لِي إِتَىٰ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْسَ بِمَاتَةٍ إِنَّهُ غَايِبٌ لِّدُنَا وَشَرَّابُكَ لَمْ يَسْتَسْئَلِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَبْعَلَكُ أَهْلَهُ لِّلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الظَّالِمِ كَيْفَ نُنَازِلُهُمَا ثُمَّ تَكُونُمْ لِحَمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

5 - سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ

وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: 260﴾.

6 - ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام، من أنه كان يحيى الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْدُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْحِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [آل عمران: 49].

7 - ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف، كما قال تعالى: ﴿أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٠﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: 9-10].

إن هذه الأدلة المتقدمة أدلة حسية مادية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك<sup>(1)</sup>.

ثانياً، الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى،

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، ص: 305.

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُّخْلَقَةٍ لِّنُسَبِّحَ لَكُمْ وَنُقَرِّئَ فِي  
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا  
أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ  
لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا  
الْمَاءَ فَهَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْنَيْتَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ هُوَ  
الْحَقُّ وَأَنْتُمْ بِنَهِىِ الْمَوْتِ وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: 5-7].

وهذه الآيات تعطي تفصيلاً للمراحل التي يمر بها خلق الإنسان، فقد قابل الله هذه المراحل بعدة دلالات على قدرته سبحانه على البعث، فالله سبحانه يبين للناس: إن كنتم في ريب من البعث، فليست ترتابون في أنكم مخلوقون، وليستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع فإعادتكم بعد الموت خلقاً جديداً كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها<sup>(١)</sup>.

إن هذه الآيات لها دلالة عقلية على البعث: إنها نقلة ضخمة بعيدة الأغوار والآماد، تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث وأن إنشاء الإنسان من التراب، وتطور الجنين في مراحل حياته، وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود، كل ذلك متعلق بأن الله هو الحق، فهو من السنن المضطردة التي تنشأ من أن خالقها هو الحق الذي لا تختل سننه ولا تتخلف، وأن اتجاه الحياة في هذه الأطوار ليدل على

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، ص: 436.

الإرادة التي تدفعها وتنسق خطاها وترتب مراحلها، فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق، وبين هذا الاضطراب والثبات، والاتجاه الذي لا يحيد، وأن إحياء الموتى هو إعادة للحياة والذي أنشأ الحياة الأولى هو الذي ينشئها للمرة الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء، فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير، وإن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين، ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور، لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع ﴿إِكْيَلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، فلا بد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان، فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة، فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة، وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة ونواميس الحياة والبعث، ونواميس الحساب والجزاء، تشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر، الذي ليس في وجوده جدال<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان، مثل السموات والأرض،

فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة ما يلي:

1 - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْذَا كُنَّا عِزْلًا وَّزُفَّتْنَا لَأَوْنَا لَمَّعُوثُونَ خَلْقًا

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب (4 / 2409 - 2411) باختصار وتصرف، الدلالة العقلية في القرآن، د. عبد الكريم عبيدات، ص: 437.

جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿الإسراء: 98-99﴾ .

2 - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَتَّقِدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتُ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحاف: 33] .

3 - وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَتَّقِدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: 81] .

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات ما يلي:

1 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَلَتْ سَحَابًا مَّقَالًا سَفَقَتْهُ لِبَلَدٍ مَّغْبُوتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتُ لَكُمْ تَذَكُّرًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: 57] .

2 - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيثُ سَحَابًا مَّغْبُوتًا إِلَىٰ بَلَدٍ مَّغْبُوتٍ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: 9] .

3 - قال تعالى: ﴿وَمِنْ مَّآثِرِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: 39] .

4 - قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَاتٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْشَبِ



وَزَرَعَ وَيَخْتَلُّ يَسْأَلُونَ يُسْأَلُ يَوْمَئِذٍ عَمَّا ذَرَأُوا وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد: 4]،  
وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ تَوَلَّوْا لِقَوْلِهِمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَهَآءًا لِمَا خَلَقْنَا جَدِيدًا﴾ [الرعد: 5].

5 - قال تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَلْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَبْرِجُ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقَى رَأْنَهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: 5-7].

فجعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات وإخراج النبات منها، نظير إخراجهم من القبور، ودلّ بالنظير على نظيره وجعل ذلك آية ودليلاً على خمسة مطالب:

أ - وجود الصانع وأنه الحق المبين وذلك يستلزم إثبات صفات كماله وقدرته وحياته وعلمه وحكمته ورحمته وأفعاله.

ب - أنه يحيي الموتى.

ج - عموم قدرته على كل شيء.

د - إتيان الساعة وأنها لا ريب فيها.

هـ - أنه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض<sup>(١)</sup>.

(١) إعلام الموقعين (١ / 144 - 145)، الدلالة العقلية، ص: 444.

6 - وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٢﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْفُرُوجُ ﴿١٣﴾﴾ [ق: 9-11].

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾: يراد به الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراً، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد . من عظيم قدرته . بالحسن، أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث<sup>(1)</sup>.

خامساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر،

الشجر إذا قطع وأصبح حطباً يكون ميتاً وليس فيه أثر للحياة، فإذا أوقدت به النار دبت فيه الحركة واضطرب، وهذه آثار الحياة، فمن قدر على هذا قادر على إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل في موضعين من كتابه سبحانه:

1 - قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٦١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 71-72].

2 - وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

(1) تفسير ابن كثير (4 / 222)، تفسير الطبري (21 / 55).

خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِبُ الْعِظَمَ هُوَ رَيْبٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: 83-77].

فردُّ بهذه الآيات على من أنكر البعث بثلاثة أدلة عقلية:

أ - الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ [يس: 79].

ب - الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر: مع أنه أكثر بالضدية لأن الشجر إنما يكون أخضر إذا كان مليئاً بالماء، فمن قدر على إخراج النار من هذا الشجر الميت المليء بالماء قادر على إحياء الأموات من قبورهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [يس: 80].

ج - الاستدلال بخلق السموات والأرض على خلق الإنسان: قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: 81، 82].

سادساً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء،

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً ولن يتركهم سدى :

1 - قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ ۝﴾ [المؤمنون: 115، 116].

2 - قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝﴾ [القيامة: 36].  
فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى .  
ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله،  
فكل شيء يصدر عنه سبحانه له حكمة تقتضيه<sup>(1)</sup>.

إننا نشاهد في حياتنا ظالمين ظلوا ظالمين حتى لحظة الموت،  
ولم يأخذ على أيديهم أحد، ومظلومين ظلوا مظلومين إلى آخر  
حياتهم، لم ينصفهم أحد، أفإن كانت الحياة هي نهاية المطاف،  
يكون هذا عدلاً وحكمة؟ وأين هي الحكمة في خلق حياة تجري  
أحداثها على غير مقتضى العدل، ثم تنتهي دون حساب؟

لذا يأتي التأكيد في القرآن على أن البعث ضرورة يقتضيها  
عدل الله وحكمته في مواضع عديدة من القرآن منها:<sup>(2)</sup>

3 - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

(1) فتح القدير، للشوكاني (5 / 342).

(2) الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة، ص: 448.

كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَجَّيْنَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [الجنّة: 21].

4 - وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾ [ص: 28].

5 - قال تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ الْمُتَّبِعِينَ كَالْمُبْتَدِعِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: 35، 36].

6 - قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: 27].

سابعا، إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة،

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار، وقد نوع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس، وأكد في القلوب.

1 - ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً (بان) أو (بان) واللام كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: 15].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ السَّاعَةُ لَآتِيَةٌ فَأَصْفَحْ فَأَصْفَحْ الْجَبِلَ﴾ [الحجر: 85].

2 - وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: 87] . ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ ۝٤ الْمَعْمُورِ ۝٥ وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ ۝٦ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٨ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٌ ۝٩﴾ [الطور: 1-8].

3 - وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالقسم على وقوع البعث وتحققه وذلك في معرض الرد على المكذبين به المنكرين له كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التَّحَايُن: 7] .

4 - وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله تعالى: ﴿حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَلْقَآهُ اللَّهُ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: 45] .

5 - وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ هَآمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 7-8] .

6 - وأحياناً يخبر أنه وعد الصادق وخبر لازم وأجل لاشك فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ۝١٠٤﴾ [مرد: 103، 104].

7 - وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه ، قال تعالى: ﴿أَنَّهُ أَتَىٰ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ (التحل: 1) <sup>(1)</sup>.

8 - وفي مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم ويذم الآلهة التي يعبدونها المشركون بعدم قدرتها على الخلق، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَٰئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا كُنَّا بِرُفْقَانِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (النمل: 64).

9 - وبيّن في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يعجز العباد ويذلهم سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْسُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿٢٨﴾﴾ (لقمان: 28).

وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُخَمَّرَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾﴾ بَلْ قَدِيرٌ عَلَيْهِ أَن يُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ (القيامة: 3، 4) <sup>(2)</sup>.

### ثامناً، قياس البعث على النوم،

فالنوم أخو الموت، بل هو مorte صغرى، فالله تعالى يتوفى الأنفس بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها، قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْكُمْ أَلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (الزمر: 42).

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 346 ، 347 ، 348.

(2) المصدر نفسه، ص: 348.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»<sup>(1)</sup>، وعن جابر بن عبد الله قال: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها»<sup>(2)</sup>.

### تاسعاً، الفطرة تدل على البعث:

فالله تعالى فطر الأنبياء على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر، لأن الله تعالى إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم، ولذا فإن الإنسان يشاق إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف، ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتين بما قدمت يده في الدنيا، وهذا مما يكسب زيادة إيمان بربه وبما جاءت به الرسل، فيقدم الأعمال الصالحة استعداداً بها ليوم الميعاد<sup>(3)</sup>.

### عاشرأ، أسماء يوم القيامة:

وقد جاء الحديث عن يوم القيامة في القرآن الكريم مفصلاً، وسمي بأسماء كثيرة وهذا يدل على تعظيم الشيء، كما هي العادة

(1) البخاري، ك الدعوات، رقم: 5955.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3 / 74)، رقم: 1087.

(3) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر علي، ص: 549.



عند العرب، فقد كانوا إذا عظموا شيئاً أكثروا له من الأسماء، ومن الأسماء التي ذكرت في القرآن ليوم القيامة، اليوم الآخر، ويوم الآزفة، ويوم البعث، ويوم التغابن، ويوم التلاقي، ويوم التنادي، ويوم الجمع، والحاقة، ويوم الحساب، ويوم الحسرة واليوم الحق، ويوم الخروج، ويوم الدين، والساعة والصاخة، والطامة الكبرى، والغاشية، والفرع الأكبر، ويوم الفصل، والقارعة، والمعاد، واليوم الموعود والواقعة، والوعد الحق، ويوم الوعيد، والوقت المعلوم<sup>(1)</sup>.

وأما عن صفات يوم القيامة، فقد وصف بأنه: عظيم، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم ثقيل، ويوم كبير، ويوم محيط<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثاني

### الحشر وأحوال يوم القيامة وأحوال الناس

أولاً: الحشر، جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

\* قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ يَٰۤاَلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّنْ دُونِهِ وَلَٰكِن مَّا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝﴾ [الأنعام: 51].

\* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّبِّهِمْ يَلِيقًا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝﴾ [يونس: 45]

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 185 - 191.

(2) المصدر نفسه، ص: 192 - 193.

\* وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ﴾ [الكهف: 47].

\* وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۖ﴾ [ق: 44].

\* وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُنْثَاكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْنَا رِيثُهُمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].

\* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۖ﴾ [التكوير: 5].

## 1 - مكان الحشر (أرض المحشر):

دل الكتاب والسنة أن أرض المحشر هي أرض الشام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

## 2 - صفة الناس في الحشر:

### أ - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً:

حفاة: غير متنعلين، عراة: غير لابسين، غرلاً: غير مختونين،

(1) مجمع الزوائد (10 / 620) إسناده حسن.

فكما أن الإنسان يولد حاف عار أغرل فكذلك يبعث.

- وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾» [الأنبياء: 104] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]<sup>(1)</sup>.

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة، غرلاً». فقالت عائشة: فكيف بالعورات؟ قال: «لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه»<sup>(2)</sup>.

ب - الوجوه:

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111] أي: ذلت وخضعت<sup>(3)</sup>.

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2860.

(2) النسائي، ك الجنائز، رقم: 2083، بسند صحيح.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، ص: 590.

## ج - الأبصار:

- قال تعالى: ﴿خُشُّعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القَمَر: 7].

- وقال تعالى: ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [الْقِيَامَةُ: 7]، أي اضطربت وجالت العين من الخوف<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النَّازِعَات: 8]، أي مضطربة سريعة الخفقان<sup>(2)</sup>.

د - أحوال الناس عموماً: يعرضون صفاً أمام الله تعالى: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُو أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 48].

\* لا يتكلمون: ﴿يَوْمَئِذٍ يَلْمَعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

وقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [٣٥] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذِرُونَ [المرسلات: 35 - 36].

\* وأحياناً يتكلمون، قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾ [الْقِيَامَةُ: 10] يدل على أنهم يتكلمون، فكيف يتكلمون ولا يتكلمون؟

وهذا بحسب اختلاف الأوضاع، فيوم القيامة طويل، وفي موقف يتكلمون وفي موقف يصمتون.

(1) مفردات ألفاظ القرآن، ص: 119.

(2) المصدر نفسه، ص: 857.

والله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿١٨﴾ [التَّبَا: 38]، فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبع لإذن الله لهم، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها<sup>(1)</sup>.

هـ - ذم هول الناس وخوفهم وملههم: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٩﴾ يَوْمَ تَرْوُهَا نَذَعْلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1 - 2]، فإن كانت الأم المرضعة وهي أحرص ما يكون على ولدها تذهل عنه، فغيرها من باب أولى، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعد يخاف حتى يشيب عارضاه، فما بالك بغيره من الناس<sup>(2)</sup>.

و - تُنسى الأنساب: فكل إنسان مشغول بنفسه لأنه يأتي وحيداً قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: 93-95].

- وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا

(1) تفسير السعدي، ص: 446.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 235.

تَعْرِزَكُمْ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يُعْرِزُكُمْ بِاللّهِ الْفَرُورُ ﴿﴾ [لقمان: 33].

ز - يجثون على الركب: ﴿وَرَى كُلُّ أُنْثَىٰ جَائِعَةً كُلُّ أُنْثَىٰ تَدْعَىٰ إِلَىٰ كَيْبِهَا أَيَّامٌ مَّجْزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الجاثية: 28].

ح - يعرضون على الله لا يخفى منهم شيء: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٧٨﴾﴾ [الحاقة: 18].

وغير ذلك من أحوال الناس<sup>(1)</sup>.

### ثانياً، أحوال يوم القيامة،

يحدثنا القرآن عن أحوال ذلك اليوم التي تشهده الناس، وتشهد أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، ومن أعظم تلك الأحوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها، والسماء ونجومها وشمسها وقمرها<sup>(2)</sup>، ومن أحوال ذلك اليوم:

#### 1 - دك الأرض ونسف الجبال:

قال تعالى: ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٦﴾ وَجُلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَكَانَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٧﴾﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: 13-16].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾﴾ [الفجر:

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 235.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص: 100.

[21]، وعند ذلك تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم.

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِلًا ۝﴾ [المزمل: 14]، أي تصبح ككشبان الرمل بعد أن كانت حجارة صماء، والرمل المهيل: هو الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلاً، إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وأخبر في موضع آخر أن الجبال تصبح كالعهن، والعهن هو الصوف، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾ [المعارج: 9]، وفي نص آخر مثلها بالصوف المنفوش: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾ [القارة: 5].

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع ولا منخفض، وعبر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وينسفها أخرى قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝﴾ [التكوير: 3].

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾ [النبا: 20].

وقال في نفسه لها: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝﴾ [المُرسلات: 10]. ثم بين الحق حال الأرض بعد تسيير الجبال ونسفها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ۝﴾ [الكهف: 47]، أي ظاهرة لا ارتفاع فيها ولا انخفاض<sup>(1)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَنَسْتُلْكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَبْقَىٰ فِيهَا جَبَلًا ۝ وَلَا أَمْتًا ۝﴾ [طه: 105 - 107].

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، الأشقر، ص: 103.

## 2 - قبض الأرض وطوي السماء :

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104].

قال ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»<sup>(1)</sup> ومعنى الكلام: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب أي على الكتاب بمعنى المكتوب<sup>(2)</sup>.  
وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم<sup>(3)</sup>.

## 3 - تفجير البحار وتسجيرها :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَلْهَأُ فُجْرَتَ﴾ [الأنفطار: 3] ، فجرت: فجر الله بعضها في بعض، وقيل: ذهب ماؤها، وقيل: اختلط عذبها بمالحها.

وقال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6] ، وقال

(1) البخاري، رقم: 6947، مسلم، رقم: 2787.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 242.

(3) تفسير ابن كثير (3 / 199) بتصرف.



تعالى: ﴿وَإِذَا أَلْحَاظُ شِجْرَتٍ ۖ﴾ [التكوير: 6] ، أوقدت ، فصارت ناراً تضطرم، وقيل يست<sup>(1)</sup>.

والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها في بعض فتملئ ثم تسجر فتصبح ناراً ثم يذهب ماؤها<sup>(2)</sup>.

#### 4 - موران السماء وانفطارها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۖ﴾ [الرحمن: 37] . فهي في أشد ما تكون من الوهن، وقال تعالى: ﴿وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمٍ ذِي بَهْجَةٍ ۖ﴾ [الحاقة: 16] . وذلك أنها تضطرب اضطراباً مهولاً، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۖ﴾ [الطور: 9] . تتحرك تحريكاً، هو تشققها تدور دوراً وقيل استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، ثم إنها تتشقق وتنفطر وتنفرج، قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ أُنشِقَّتْ ۖ وَأَوْتَتْ رِبَّهَا وَخُفَّتْ ۖ﴾ [الانشقاق: 1، 2] . وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ﴾ [السماء: ١٧] . كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۖ﴾ [المزمل: 17] . [18].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ﴾ [الانفطار: 1] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ ۖ﴾ [المسلات: 9] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۖ﴾

(1) معارج القبول (2 / 212).

(2) المصدر نفسه (2 / 212).

[الرَّحْمَنُ: 37]. يعني الدهان، فشبّه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج: 8]. وهو دردي الزيت<sup>(1)</sup>.

### 5 - تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم:

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [1] وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ [2]. [التكوير: 1، 2]. قال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وُخِصَّ الْقَمَرُ﴾ [3] وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ [4]. [القيامة: 8، 9]. خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه<sup>(3)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وُجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [5] [الْقِيَامَةُ: 9]. فسرّه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» يعني مجموعان مظلمان<sup>(4)</sup>.

والنجوم والكواكب ينفرط عقدها فتنتثر ويذهب ضوؤها فتطمس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [6] [التكوير: 2]. يعني انتثرت<sup>(5)</sup>، وانفرط عقدها وتساقطت على أهل الأرض وهو كقوله

(1) تفسير ابن كثير (4 / 240).

(2) معارج القبول (2 / 213).

(3) المفردات للراغب، ص: 282.

(4) البخاري، رقم: 3028.

(5) المفردات للراغب، ص: 704.

تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝﴾ [الأنبياء: 2] . وقال تعالى: ﴿وَإِذَا  
النُّجُومُ كُيِّسَتْ ۝﴾ [المُرسلات: 8] . يعني ذهب ضوءها<sup>(1)</sup>.

## 6 - تبديل الأرض:

تبدل هذه الأرض وتتغير صفاتها ويكون عليها الحشر الأول ثم  
تذهب هذه الأرض تماماً يوم يحشر الناس لمكان الحساب أمام  
الجسر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ  
الْوَكِيدِ الْقَهَّارِ ۝﴾ [إبراهيم: 48] . وجاء في الصحيحين عن سهل  
ابن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على  
أرض بيضاء عفراء<sup>(2)</sup> كقرصة النقي<sup>(3)</sup>، ليس فيه معلم لأحد<sup>(4)</sup>، ثم  
بعد ذلك تنتقل الخلائق إلى أرض الحساب»، وعن عائشة ؓ  
قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ  
الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۝﴾، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال:  
«على الصراط»<sup>(5)</sup>، وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً  
عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليكم  
يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا  
تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به  
أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»،  
فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 243.

(2) العفر: بياض يضرب إلى الحمرة.

(3) النقي: الدقيق النقي من الغش والنخال.

(4) البخاري، رقم: 6156.

(5) مسلم، رقم: 2791.

إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمِعْ بِأَذْنِي، فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَعَهُ فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ...» (1).

وبهذا يتضح أن تبديل الصفات في الحشر الأول إلى أرض المحشر عندما تنسف الجبال والمرتفعات وتسوى الأرض، فلا يبقى في تلك الأرض معلم لأحد، وأما ذهاب الأرض بالكلية ففي الحشر الثاني إلى أرض الحساب قبل جسر جهنم، والله تعالى أعلم (2).

7 - سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل بين العالمين ونزول الملائكة:

بعد بعث الناس من قبورهم وحشرهم لأرض المحشر وحصول أهوال يوم القيامة وتبديل هذه الأرض وحشر الناس لأرض الحساب عند الجسر تنزل الملائكة صفوفاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ وَالتَّغَمُّمُ وَزِيلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلاً﴾ (الفرقان: 25).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَكَابًا ﴿[النبا: 38-39].

والمقصود بالروح جبريل عليه السلام.

- وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التحل: 33).

(1) مسلم، ك الحيفض، رقم: 315.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 245.

ومن هذه الملائكة هنالك ثمانية منها تحمل عرش الرحمن ﷻ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (١٧) ﴿الْحَاقَّةُ: 17﴾ .

ويأتي رب العزة للفصل بين العباد: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: 22) . أي والحال أن الملائكة صفوفاً<sup>(1)</sup>.

- وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210] .

- وقال تعالى: ﴿رَأَوْا تَرَجُّ زُجْجًا إِذْ دُفِنُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢١) ﴿[الأنعام: 30] .

وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ويؤتى بصحف الأعمال وبالشهود ويبدأ الحساب<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الصَّافَّاتُ وَالشَّاهِدَاتُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٣) ﴿[الزمر: 69، 70] .

### ثالثاً، أحوال الكفار يوم القيامة،

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم اختلافاً بيّناً. وستحدث بإذن الله تعالى عن الكفار وغيرهم، فالذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة التي تحدثنا عن مشاهد القيامة يرى الأحوال العظام والمصائب

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 245.

(2) المصدر نفسه، ص: 246.

الكبار التي تنزل بالكفرة المجرمين في ذلك اليوم العظيم، فمن تلك الأحوال :

## 1 - ذلتهم وهوانهم وحسرتهم وبأسهم :

فمن هذه الآيات :

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِسَيِّئَةٍ دَرَجَاتٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانُوا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: 27] .

- قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِكَ عَلَى مَا قَرَأْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَأً إِلَيْنَا فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 55، 59] .

- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حَيْدُ حَيْمًا ﴿١٧﴾ يَصْرَوْهُمْ يَوْمَ الْمُبْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَجَّتْهُ وَأَخْبَهُ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتْهُ أَلْفَى تُؤْيِدُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَيْمًا ثُمَّ يُنَجِّهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: 10، 14] .

## 2 - اسوداد وجوههم وتغيرها<sup>(1)</sup> :

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: 106] .

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 251.

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْنَا تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الزمر: 60].

### 3 - إحباط أعمال الكفار (1):

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرِيمٍ يَفِيقُهُ يَحْسَبُهُ الْأَنْظُمَانُ مَاءً حَوْثًا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُمُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [التور: 39].

- وقال تعالى: ﴿وَقَدَرْنَا لَكُمْ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَبَجَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿٢٣﴾ [الفرقان: 23].

- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن رَّبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْيَعِيدُ﴾ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: 18].

### 4 - فضيحتهم أمام الخلائق:

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُرْمَوْنَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: 18].

### 5 - نخاصم الكفرة في الموقف:

- قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزخرف: 67].

## أ. تخاصم العابدين والمعبودين:

في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم فينكروا أن يكون لهم شركاء<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إِيْنُ شُرَكَآءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۖ﴾ (١٧) وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنَّوْا مَا لَمْ يَن يَحْيِي ۖ﴾ (١٨) [فصلت: 47، 48].

- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَبْذُورُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنشُرْ أَصْلَنتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُم صُلُوا السَّيْلَ ۖ﴾ (١٧) قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِن أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۖ﴾ (١٨) فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۖ﴾ (١٩) [الفرقان: 17 - 19].

## ب - تخاصم الأتباع مع القادة المضلين:

- قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ﴾ (١٧) قَالُوا إِنَّا كُنْمْ نَأْتُونَآ عَنِ الْإِيْنِ ۖ﴾ (١٨) قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۖ﴾ (١٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِن سُلْطَانٍ بَلْ كُنْمْ قَوْمًا طٰغِينَ ۖ﴾ (٢٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذٰلِمُونَ ۖ﴾ (٢١) فَأَعْرَضْنَا كَمَا عَرَضْنَا ۖ﴾ (٢٢) [الصافات: 27 - 32].

## ج - تخاصم الضعفاء مع السادة والملوك:

- قال تعالى: ﴿وَيَرْزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 253، 258.



كُنَّا لَكُمْ نَبَأًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ  
هَدَّيْنَا اللَّهُ لَمَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِرٍ ﴿٢١﴾  
[إبراهيم: 21].

#### د. تخاصم الكافر وقرينه:

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ ﴿٢٨﴾ مَا أَطَقَيْتُمْ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ  
﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ [ق: 27، 28].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ هو الشيطان الذي وكل به ﴿رَبَّنَا مَا أَطَقَيْتُمْ﴾،  
أي: يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه  
فيقول: ﴿رَبَّنَا مَا أَطَقَيْتُمْ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل  
معانداً للحق<sup>(1)</sup>؛ فإذا سمع الكافر هذا من قرينه تحسر وتندم، قال  
تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُمْ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾  
وَأَنَّهُمْ لَيَصَّدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ حَقٌّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ  
يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِقَيْنِ قُلْتُ الْقَرِينُ ﴿[الزخرف: 36-38]﴾<sup>(2)</sup>.

#### هـ. تخاصم المرء مع أعضائه:

وببلغ الأمر أشده والمخاصمة ذروتها عندما يخاصم المرء  
أعضائه:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾  
حَقٌّ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(1) تفسير القرطبي (17 / 22).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 267.

﴿١٩﴾ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْشِدُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿فَضَلَّتْ: 19-22﴾ .

## 6 - مقتهم لأنفسهم:

والمقت أشد البغض، فتصل كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم لأقصاها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [غافر: 10] .

## 7 - صفة حشر الكفار إلى النار:

### أ - حشرهم وهم عطاش:

- قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَدَّكَ ﴿٨٧﴾﴾ [مریم: 86] .  
يعني عطاشاً تكاد تنقطع رقابهم من العطش، وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ﴾ إشعار بإهانتهم كأنهم أنعام عطاش تساق إلى الماء<sup>(1)</sup>.

### ب - حشرهم عمياً صماً بكماً:

- قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: 97] .  
- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

(1) تفسير القاسمي (5 / 91)، اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 469.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴿طه: 124، 125﴾.

ج - يحشرون إلى جهنم على وجوههم:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿الفرقان: 34﴾.

د - حشرهم مع شياطينهم وهم جاثون على الركب:

- قال تعالى: ﴿فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَا﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿مریم: 68﴾.

قال القرطبي: أي ولنحشرن الشياطين قرناءهم، قيل: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة، كما قال تعالى: ﴿﴿﴾ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات: 22]. والسواو في ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى مع، وهي بمعنى مع أوقع، والمعنى أنهم يحشرون مع قرناءهم من الشياطين الذين أغووههم، يقرون كل كافر مع شيطان في سلسلة<sup>(1)</sup>.

وهذا الجثي مصاحب لهم في كل حال، ففي الموقف يوم يحشر الناس إلى أرض الحساب تجثو كل الأمم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ بِنَفْثِ الْمَظْلُومِ﴾ ﴿٧٧﴾ وَرَبَّى كُلَّ نَفْسٍ بِجَانِبِ كُلِّ امْتِعَةٍ ثُمَّ إِلَيْهَا يُرْجَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الجاثية: 27، 28].

وفي النار كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْكَرُوا إِلَّا وَأَرْدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ﴾ (مريم: 71، 72).

### رابعاً، أحوال عصاة الموحدين،

وهم المؤمنون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فأتوا بشعائر الإسلام وأركانها ولكنهم وقعوا ببعض المعاصي، وقد ذكر الله تعالى عذاب أولئك العصاة وجاء ذكر بعضهم على لسان رسول الله ﷺ وهذا المطلوب فيه مسائل:

#### 1 - الذين لا يؤدون الزكاة:

الزكاة من فروض الإسلام الكبرى وهي حق المال، فمن لم يؤد زكاته عذب بها في ذلك اليوم العظيم وقد أخبرت النصوص أن عذابهم على وجهين:

أ - يمثل لصاحب المال ماله ثعبان أقرع له زبيبتان فيطوق عنقه ويأخذ بلهزمته صاحبه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِبُ الَّذِينَ يَبْطُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۖ﴾ (آل عمران: 180). وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم كما فسرهما بذلك النبي ﷺ، فقد قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمته - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلاه ﴿وَلَا

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴿١﴾ [آل عمران: 180] <sup>(1)</sup>.

ب - إن كان الممتنع عن تأدية زكاته ذهباً أو فضة فإنها تصنع صفائح ثم تكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم، فيحيط به الألم من كل مكان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْإِطْلَاقِ وَرُسُودًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْثُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسُكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: 34، 35]. وقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية، فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى النار» <sup>(2)</sup>.

## 2 - ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم:

وقد رتب الله تعالى على كثير من الذنوب هذا العقاب فمنها:

أ - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا

(1) البخاري، ك الزكاة، باب: إثم باب مانع الزكاة، رقم: 1338.

(2) مسلم، ك الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: 987.

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿البقرة: 174، 175﴾. فمن كتم - من علماء هذه الأمة - شيئاً من العلم إرضاء لحاكم أو تحقيقاً لمصلحة شخصية أو طلباً لعرض دنيوي، كان مشابهاً لأحبار ورهبان اليهود والنصارى في كتمهم صفات الرسول ﷺ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء، وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(1)</sup>.

ب - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: 77]. وهي ليست خاصة باليهود، كما توهم بعضهم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة<sup>(2)</sup>، فقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطاه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: 77]<sup>(3)</sup>.

(1) سنن الترمذي، رقم: 2649، وقال الترمذي: حسن.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 275.

(3) البخاري، ك التفسير، رقم: 4277.

### 3 - الغلول:

هو الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية دون علم أحد، وهو ذنب يخفي تحته شيء من الطمع والأشرة، وقد توعد الله تبارك وتعالى الغال بالفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد<sup>(1)</sup>:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 161]. أي يأتي به حاملاً على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته، وموبخاً بإظهار خيانتة على رؤوس الأشهاد وقد فسر الرسول ﷺ هذا الإتيان للغلول يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره قال: «لا ألفين أحدهم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء على رقبته فرس له حمحة، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً وقد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك شيئاً وقد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، أو على رقبته تخفق رقاع، فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك»<sup>(2)</sup>.

### 4 - المتكبرون:

قال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 276.

(2) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 2908.

وفي صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان<sup>(1)</sup>.

والذر صغار النمل، وصغار النمل لا يعبأ به الناس، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون، وكما يبغض الله المتكبرين ببغض أسمائهم التي كانوا يطلقونها على أنفسهم استكباراً واستعلاءً، وتصبح هذه الأسماء التي كانوا يفرحون عند سماعها أنكر الأسماء وأخبثها، وأغبطها على الله<sup>(2)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «أخنع اسم عند الله يوم القيامة، رجل تسمى ملك الأملاك». وزاد مسلم في رواية: «لا مالك إلا الله تعالى»<sup>(3)</sup>.

قال القاضي عياض: أخنع: معناه أشد الأسماء صغاراً. وقال ابن بطل: وإذا كان الاسم أذل الأسماء، كان من تسمى به أشد ذلاً<sup>(4)</sup>.

## 5 - الأثرياء المنعمون:

الذين يركنون إلى الدنيا، ويطمثون إليها، ويكثرون من التمتع بنعيمها، يفيق عليهم يوم القيامة، وإن أصحاب المال الكثير والمتاع الدنيوي الواسع يكونون أقل الناس أجراً يوم القيامة، ما لم يكونوا بذلوا أموالهم في سبل الخيرات<sup>(5)</sup>، قال ﷺ: «إن المكثرين هم

(1) مشكاة المصابيح (2 / 635) إسناده حسن.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر، ص: 144.

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 914.

(4) فتح الباري (10 / 589).

(5) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 149.



المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً فنفع فيه بيمينه وشماله وبين يديه ومن ورائه وعمل فيه خيراً<sup>(1)</sup>.

## 6 - فضيحة الغادر :

قال رسول الله ﷺ : «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع بكل غادر لواء، ف قيل : هذه غدره فلان بن فلان»<sup>(2)</sup>. وقال ﷺ : «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرأ من أمير عامة»<sup>(3)</sup>، وأمير العامة هو الحاكم أو الخليفة، وكانت غدرته كذلك لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير، الخليفة، أو لأن الحاكم أو الوالي يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر<sup>(4)</sup>.

والغادر: الذي يواعد على أمر لا يفي به، واللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحق، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعاً له، فالغادر ترفع له راية تسجل عليها غدرته، فيفضح بذلك يوم القيامة، وتجعل هذه الراية عند مؤخرته<sup>(5)</sup>.

## 7 - غاصب الأرض :

قال النبي ﷺ : «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»<sup>(6)</sup>.

(1) صحيح الجامع الصغير (2 / 165)، رقم : 1950.

(2) صحيح مسلم، رقم : 1735.

(3) المصدر نفسه، رقم : 1738.

(4) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص : 151.

(5) المصدر نفسه، ص : 151.

(6) فتح الباري لصحيح البخاري (5 / 3).

## 8 - ذو الوجهين :

شر الناس يوم القيامة المتلون الذي لا يثبت على حال واحدة وموقف واحد، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه<sup>(1)</sup>، قال ﷺ: «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»<sup>(2)</sup>.

## 9 - الحاكم الذي يحتجب عن رعيته :

قال ﷺ: «من ولي من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجب دون خلته، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته، وحاجته، وفاقته، وفقره»<sup>(3)</sup>.

## 10 - الذي يسأل وله ما يغنيه :

قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه»<sup>(4)</sup>.

## 11 - من كذب في حلمه :

قال ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صب في أذنه الآنك يوم القيامة»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 154.

(2) مشكاة المصابيح (2 / 578) رقمه 4820.

(3) صحيح الجامع الصغير (5 / 368)، رقم: 6471.

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: 499.

(5) فتح الباري (12 / 427).

### خامساً، حال الاتقياء،

1 - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون:

إذا فزع الناس يوم الفزع الأكبر:

- قال تعالى: ﴿وَنَجَّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَانِنِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ  
الشَّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر: 61].

- وقال الله تعالى لهم تطميناً لقلوبهم: ﴿بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكَ  
الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾  
[الزخرف: 68، 69].

- وقال تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيَّهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٠﴾ [يونس: 62 - 64].

أما البشرى في الحياة الدنيا فتطلق على أمرين: على تبشير  
الملائكة للمحتضر بالجنة - وتقدم دليل هذا - وتطلق على الرؤيا  
الصالحة<sup>(1)</sup>، فقد قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا:  
وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»<sup>(2)</sup>.

وأما البشرى في الآخرة فهي تلقى الملائكة لهم لتثبيت قلوبهم  
وتأمينهم من الفزع الأكبر، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾

(1) البرم الآخر في القرآن العظيم، ص: 279.

(2) البخاري، ك المبشرات، رقم: 6589.

وَنَلَقْنَهُمْ أَلْمَلِيكَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٥٢﴾  
[الأنبياء: 103] .

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ يَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ  
مَأْمُونُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [النمل: 89] .

## 2 - بياض وجوههم:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُيْحَتِ وُجُوهُهُمْ فَنِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: 107] .

- قال تعالى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ شَفِيفَةٌ ﴿١٥٨﴾ حَاجِكَةٌ مُنْتَبِرَةٌ ﴿١٥٩﴾﴾  
[عبس: 38، 39] .

مسفرة: قيل مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة وكلها  
متقاربة في المعنى، والاشتقاق اللغوي يدل على ذلك<sup>(1)</sup>.

## 3 - الذين يظلمهم الله في ظله:

قال ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام  
العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد،  
ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة  
ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى  
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(2)</sup>.

(1) لسان العرب ابن منظور (4 / 369) معجم مقاييس اللغة (3 / 182).

(2) البخاري مع فتح الباري (2 / 143)، مسلم، رقم: 103.

والإظلال في ظل العرش ليس مقصوراً على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع ابن حجر العسقلاني الخصال التي يظل الله أصحابها في كتاب سماه: معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال<sup>(1)</sup>.

ومن هذه الخصال إنظار المعسر أو الوضع عنه، قال ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «من نفس عن غريمه أو محاً عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.

#### 4 - الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خللتهم:

من أعظم ما يفرج كربات العبد في يوم القيامة سعي العبد في الدنيا في فكّ كربات المكروبين، ومساعدة المحتاجين والتيسير على المعسر<sup>(4)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(5)</sup>.

(1) فتح الباري (2 / 144).

(2) صحيح مسلم، رقم: 3006.

(3) صحيح الجامع (4 / 364)، رقم: 1452.

(4) اليوم الآخر القيامة الكبرى، ص: 161.

(5) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي (1 / 71)، رقم: 204.

## 5 - الذين ييسرون على المعسرين :

قال النبي ﷺ: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً تجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا»، قال: فلقني الله فتجاوز عنه<sup>(1)</sup>.

## 6 - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا :

العادلون يوم القيامة في مقام رفيع، يجلسون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، قال رسول الله: «إن المقسطين عند الله على منابر، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يدي يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»<sup>(2)</sup>.

## 7 - الشهداء والمرابطون :

قال رسول الله ﷺ: «الشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتي وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه»<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «رباط يوم خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمِنَ من الفزع الأكبر»<sup>(4)</sup>.

(1) مشكاة المصابيح (2 / 108)، رقم : 2899.

(2) صحيح مسلم (3 / 1458)، رقم : الحديث 1827.

(3) مشكاة المصابيح (2 / 358)، رقم : الحديث 3834.

(4) صحيح الجامع الصغير (3 / 171)، رقم : الحديث 3473.

## 8 - الكاظمون الغيظ :

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَنَافِرِكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ الْأَقْيَطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: 133، 134].

وقال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو يقدر أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور العين شاء»<sup>(1)</sup>.

## 9 - عتق الرقاب المسلمة :

قال تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْمَقْبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَقْبَةُ ﴿١٢﴾﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾﴾ [البلد: 11 - 13].

فمن الأعمال الكريمة التي يتمكن صاحبها من اقتحام العقبات الكأداء في يوم القيامة، عتق الرقاب<sup>(2)</sup>.

## 10 - فضل المؤذنين :

قال رسول الله ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعتاقاً يوم القيامة»<sup>(3)</sup>، وطول العنق جمال، ثم هو مناسب لما قاموا به من عمل

(1) مشكاة المصابيح (2 / 631)، رقم : 5088.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص : 166.

(3) صحيح مسلم (4 / 290)، رقم : الحديث 387.

حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة<sup>(1)</sup>.

### 11 - الذين يشيرون في الإسلام:

قال رسول الله ﷺ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

### 12 - فضل الوضوء:

عن أبي هريرة ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يُدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء»<sup>(3)</sup>.

غراً جمع أغر، أي ذو غرة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ وقوله: (محجلين) من التحجيل، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحجل - بكسر - الحاء وهو الخلل، والمراد به هنا أيضاً النور<sup>(4)</sup>، وهذه الغرة وذلك التحجيل تكون للمؤمن حلية في يوم القيامة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 169.

(2) صحيح الجامع الصغير (5 / 304)، رقم: 6183.

(3) فتح الباري على صحيح البخاري (1 / 235).

(4) المصدر نفسه (1 / 236).

(5) مشكاة المصابيح (1 / 96)، رقم الحديث: 291.



وبهذه الحلية يعرف الرسول ﷺ أمته بين الخلائق لا فرق بين أصحابه وغيرهم<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثالث

#### الشفاعة

الشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة<sup>(2)</sup>.

أولاً، الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوت الشفاعة،

1 - قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:

255].

2 - وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: 3].

3 - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28].

4 - وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109].

5 - وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾

[النجم: 26].

6 - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الزخرف: 86].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي:

(1) اليوم الآخر، يوم القيامة، ص: 172.

(2) الشفاعة عند المثبتين والنافين، د. عفاف بنت حمد عبد العزيز الويس، ص: 354.

الأصنام والأوثان ﴿الشفعة﴾ أي لا يقدرّون على الشفاعة لهم. ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨١)، هذا استثناء منقطع أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها<sup>(١)</sup>.

وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم كفار فمنها:

١ - قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ يَنْ دُونِهِ، وَلَكِنْ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: 51].

٢ - قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَاجِرٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18].

والمراد بالظالمين هنا الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين<sup>(٢)</sup>.

٣ - قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 44].

وقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها: <sup>(٣)</sup>

١ - قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها

(١) الشفاعة عند المشيئين والنافين، ص: 354.

(٢) المصدر نفسه، ص: 355.

(٣) المصدر نفسه، ص: 257.

فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

2 - قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي - وذكر منها - وأعطيت الشفاعه»<sup>(2)</sup>.

3 - وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ... وأول شافع وأول مشفع»<sup>(3)</sup>.

ثانياً، أقسام الشفاعه في الآخرة،

تنقسم الشفاعه في الآخرة إلى:

1 - الشفاعه الصحيحه:

هي ما جمعت شروط الشفاعه الثلاثة:

- رضی الله عن الشافع.

- رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعه العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم، ومن لم يرض عنهم.

- إذنه في الشفاعه.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفِي سَفْعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:

[26].

(1) مسلم، رقم: 200.

(2) مسلم، رقم: 521.

(3) مسلم، ك الفضائل (4 / 1782).

## 2 - الشفاعة الباطلة :

هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم  
 ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَقْبِذُوا مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾  
 [يونس: 18] ، ولكن هذه الشفاعة بالله لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا  
 نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48] .

- ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى:  
 ﴿أَوِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا  
 يَقُولُونَ﴾ [الزمر: 43].

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ أَسْمَاءُ  
 وَالْأَرْضِينَ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الرؤم: 44] .

## ثالثاً، شروط الشفاعة،

ثلاثة وهي ظاهرة في كتاب الله ﷻ لمن تأملها وهي كالتالي :

## 1 - رضى الله عن الشافع :

- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ  
 لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109] .

## 2 - رضى الله عن المشفوع له :

- قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا  
 لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الانباء: 28] .

### 3 - إذن الله بالشفاعة :

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] . هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26] فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ هذا شرط الإذن.

وقوله: ﴿وَيَرْضَى﴾، فلم يذكر متعلق الفعل (يرضى) فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟ والقاعدة تقول: حذف المتعلق يفيد العموم<sup>(1)</sup>.

إذن فالآية تدل على المعنيين، فتشمل الرضى عن الشافع وعن المشفوع، وهو المطلوب<sup>(2)</sup>.

وقد وضع رسول الله ﷺ هذه القضية في حديث أنس ؓ في الصحيحين فقال: «فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمني به ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود»<sup>(3)</sup>.

(1) قواعد التفسير، لخالد السبت (2 / 597).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 292.

(3) البخاري، رقم: 7002.

## رابعاً، أنواع الشفاعة،

إن للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعات متعددة منها:

## 1 - الشفاعة العظمى:

وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].

وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ «فأنطلق فأتني تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد رفع رأسك سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى»<sup>(1)</sup>.

يعني أن من لا حساب عليه من أمة محمد يدخل الجنة مباشرة ولا يمر بما يمر به الناس من أهوال، ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ

(1) مسلم، رقم: 194.

الحساب وهذه الشفاعة خاصة بنبينا ﷺ<sup>(1)</sup>.

## 2 - اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستشفع، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(3)</sup>.

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ فقد قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة»<sup>(4)</sup>.

## 3 - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث، ودليل هذا النوع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى ﷺ في استشهاده أبي عامر ﷺ وفيه: يا بن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس ومكث يسيراً ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمّل، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 299.

(2) مسلم، رقم: 196.

(3) مسلم، رقم: 333.

(4) مسلم، (2 / 585).

رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقلت له: قال: قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبدك أبي عامر» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس». فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً»<sup>(1)</sup>.

وعن أم سلمة ؓ قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وأرفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وانسح له في قبره ونور له فيه»<sup>(2)</sup>.

#### 4 - الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعنه أبي طالب ويستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب ؓ أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح»<sup>(3)</sup> من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري (8 / 41)، مسلم (4 / 1943).

(2) مسلم (2 / 634).

(3) ضحضاح: ما زق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار: النهاية (3 / 75).

(4) البخاري، رقم: 38883.



وهذه شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج من النار، وإن كان أهون أهل النار عذاباً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو متمل بنعلين يغلي منهما دماغه»<sup>(1)</sup>.

## 5 - الشفاعة في أهل الكبائر:

شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات<sup>(2)</sup> ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(3)</sup>.

## 6 - الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتنون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم»، قال: فقام رجل، فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، رقم: 362.

(2) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، للغنيمي، ص: 292.

(3) سنن الترمذي، رقم: 2435 حسن، صحيح وغريب.

(4) مسلم (1 / 197. 198).

7 - شفاعة الرسول في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم:

فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها<sup>(1)</sup>.

خامساً: الشفعاء غير النبي ﷺ:

1 - الملائكة:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26]. وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 28].

2 - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون الصالحون:

وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين»<sup>(3)</sup>.

3 - الشهداء:

قال رسول الله ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»<sup>(4)</sup>.

(1) اليوم الآخر القيامة الكبرى، ص: 189، فتح الباري (11 / 436).

(2) الشفاعة عند المبتئين والنافين، ص: 412.

(3) مسند الإمام أحمد، رقم: 11488، وسنده صحيح وله شواهد كثيرة في الصحيحين.

(4) صحيح سنن ابن ماجه (2 / 129).

#### 4 - أولاد المؤمنين :

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ : «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار»، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ : يا رسول الله أو اثنان، قال : «أو اثنان»<sup>(2)</sup>.

#### 5 - القرآن الكريم :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان»<sup>(3)</sup>، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»<sup>(4)</sup> : أي السحرة.

وقال ﷺ : «إن سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له : تبارك الذي بيده الملك»<sup>(5)</sup>.

(1) البخاري، ك الجنائز (3 / 95 ، 96).

(2) الموطأ (1 / 235)، جامع الأصول، لابن الأثير (9 / 593) حديث، صحيح.

(3) الغاية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه.

(4) مسلم (1 / 553).

(5) صحيح ابن ماجه (2 / 216).

## سادساً، الأسباب الجالبة للشفاعة،

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر أسباب الشفاعة منها:

## 1 - التوحيد وإخلاص العبادة لله:

- جاء في الحديث قول النبي ﷺ لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه»<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «الكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»<sup>(2)</sup>.

## 2 - الصيام:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعتني الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعتني النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»<sup>(3)</sup>.

## 3 - الدعاء بما ورد عند الأذان:

قال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً

(1) البخاري، ك العلم (1 / 33).

(2) مسلم، رقم: 200.

(3) الحاكم في مستدركه (1 / 544) حديث صحيح.

محموداً الذي وعده، حلت له شفاعتي يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

4 - سكنى المدينة والصبر على لأوائها:

قال رسول الله ﷺ: «لا يصبر أحد على لأوائها»<sup>(2)</sup> فيموت بها إلا كانت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً»<sup>(3)</sup>.

5 - الصلاة على النبي محمد ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

6 - صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم:

قال ﷺ: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»<sup>(5)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه»<sup>(6)</sup>.

7 - كثرة السجود:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع

(1) صحيح البخاري (1 / 152).

(2) لأوائها: أي الصبر على شدائدھا وضيق العيش فيها.

(3) مسلم (2 / 1002).

(4) صحيح الجامع، للألباني، رقم: 6233.

(5) مسلم، ك الجنائز (2 / 654).

(6) مسلم، ك الجنائز (2 / 655).

رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»: فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»<sup>(1)</sup>.

### المبحث الرابع

#### الحساب والميزان والحوض والصراط

ذكر الله ﷻ مشهد الحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالْعِيتِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

والمراد بالحساب هو أن يقف العباد بين يدي الله تبارك وتعالى، وأن يعرفوا بما عملوا، وأن تحضر أقوالهم، ما صدر منهم في الحياة الدنيا من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وما يستحقونه من ثواب وعذاب، ثم ما كان يتسلمونه من كتب بإيمانهم إن كانوا مؤمنين صالحين، أو بشمالهم إن كانوا طالحين<sup>(2)</sup>.

أولاً: إيتاء العباد كتبهم،

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابُ يَسِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 7، 8]. فذكر إيتاءهم الكتب أولاً ثم عقب بحرف الفاء الذي يقتضي الترتيب والتعقيب، فذكر الحساب<sup>(3)</sup>. ويخرج لكل إنسان كتاب مفتوح فيقرأ وإن كان أمياً، لإقامة الحجة عليه.

(1) مسلم، ك الصلاة (1 / 353).

(2) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي جزولي (2 / 599).

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 307.

- قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَمَعُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُحِرَ لَمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿[الإسراء: 13-15].

وهذا الكتاب يأخذه المؤمن بيمينه من أمامه، وأما الكافر فيأخذه بشماله من خلف ظهره.

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝١٩ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٢٠ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٢١ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٢٢ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٢٣ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٢٤ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٢٥ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٢٦ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٢٧ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٢٨ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٢٩ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٣٠ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٣١ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٣٢﴾ [الحاقة: 19-32].

- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٣٣ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٣٤ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٣٥ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٣٦ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٣٧ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٣٨ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٣٩ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٤٠ فَأَمَّا مَنْ أَرَفَ كِتَابَهُ بِرَيْبِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِي ۝٤١ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَاثِ ۝٤٢﴾ [الانشقاق: 7 - 12].

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِرَيْبِهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَوْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَطْلُبُونَ قَبِيلًا ﴿[الإسراء: 71].

- وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿[الكهف: 49].

- وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥١﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ ﴿٥٢﴾ [القمر: 52، 53].

والذين يكتبون هم الملائكة الذين وكلهم الله مع كل إنسان يسجلون عليه كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى كُمُ الْخَافِطِينَ ١٢﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: 10 - 12].

- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُبِينٍ ١٢﴾ [يس: 12].

ثانياً، سؤال كل الناس عن أعمالهم،

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أن الكفار يسألون، كقوله تعالى: ﴿تَوَرَّيْكَ لَنَتَّخِذَهُنَّ أَجْمِينَ ١٢﴾ [الحجر: 92].

- وقوله تعالى: ﴿وَقَفُّوا بِهِمْ مَسْئُولُونَ ١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿١٢﴾ [الصافات: 24، 25].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَكُمْ يَوْمَ الْيُكُوفِ عَنْكُمْ أَثْقَالُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: 12، 13].

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَكْذَابُ مِمَّنْ كُفِرَتْ بِهِمْ سَرَّحْنَاهُمْ إِلَىٰ غَايَاتٍ أَمَا زِلْتُمْ أَنْتُمْ تَلْمِزُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزلزال: 83-84].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ



فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ أَلْثَارُ وَمِمَّا يَنْهَاكُمُوهَا كَذِبُوهَا ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ تَكُنْ مَأْتِيًّا تُلَقِّنُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ فَكَرْتَهَا تَكْذِبُوهَا ﴿١٠٤﴾ [القصص: 103 - 105].

وأما الآيات التي تدل على أن الكفار لا يستلون كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] . وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 39] . وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَظْقُونُ﴾ ﴿١٠٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: 35، 36]. ونحو ذلك من النصوص.

فقال العلماء: إنهم يسألون يوم القيامة في موطن دون موطن، فالقيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك<sup>(1)</sup>.

وقالوا: إن الكفار لا يسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ، لم عملتم كذا وكذا،<sup>(2)</sup> وإنهم لا يسألون سؤال استفهام، لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يسألون سؤال تقرير، فيقال لهم: لم فعلتم كذا<sup>(3)</sup>.

وقال القرطبي: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة أن يقال: ما دينك؟ وما كنت تصنع في الدنيا؟ حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمناً

(1) تذكرة القرطبي، ص: 286، اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 201، للأشقر.

(2) التذكرة، ص: 286، للقرطبي.

(3) لوامع الأنوار البهية (2 / 174).

أو كان كافراً، لكن المؤمنون يكونون ناضري الوجوه منشرحي الصدور، ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكرويين، فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار، وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم<sup>(1)</sup>.

ومن حكمة الله تعالى في محاسبتهم ووزن أعمالهم مع أن أعمالهم حابطة مردودة أمور منها:

### 1 - إقامة الحجة عليهم وإظهار عدل الله فيهم:

قال تعالى: ﴿وَنُصِّعُ الْمُؤْمِنِينَ أَلْقِطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تَغْلِبُكُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

### 2 - أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 30].

- قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْجَحِيمُ لِلْغَايِينَ﴾ [الشعراء: 91، 92].

### 3 - أن الكفار مكلفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها:

لأن الله تعالى قال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [الذين لا يؤمنون

(1) تذكرة القرطبي، ص: 287، اليوم الآخر، يوم القيامة، ص: 202.

الزَّكَاةَ ﴿فَصَلَتْ: 6، 7﴾. فتوَعَّدَهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ نَكُ نَطِيعِ الْمُسْكِينِ ﴿١٤﴾ وَكُنَّا نَحْوَ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿١٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿المذنب: 42-46﴾، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأنهم مسؤولون عنها، مجزيون بها<sup>(1)</sup>.

#### 4 - أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم:

ويحلون في النار بمقدار هذه الذنوب، فالنار دركات بعضها تحت بعض<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفَرِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145].

#### ثالثاً: الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة،

العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء فعله، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَسْأَلْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93].

- وقال تعالى: ﴿فَرَبِّكَ لَسْتَأْذِنُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٧﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93]. ولكن هناك بعض الأعمال نص الله تعالى على أن يسأل عنها ليزداد الخوف منها وهي كالتالي:

(1) تذكرة القرطبي، ص: 309، اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 199.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 199.

## 1 - الكفر والشرك :

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَمْلِكُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأْلُوهُ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: 56] .

## 2 - كذبهم في حق الملائكة :

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَكَبُ سَهْدِهِمْ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: 19] .

## 3 - النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا :

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: 8] .

## 4 - العهود والمواثيق :

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: 34] .

## 5 - العلم والسمع والبصر والفؤاد :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: 36] .

## 6 - إضلال المضلين للناس :

قال تعالى: ﴿وَلَيَحْلِلْنَ أَقْنَامُهُمْ وَأَقْنَالًا مَعَ أَقْنَانِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَنْهَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المنكوث: 13] .

7 - الدين ونصرته والقرآن والعمل به :

قال تعالى: ﴿فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَاؤُكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 43، 44].

8 - يسأل العبد عن صلاته :

قال ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضة قال الرب: انظر هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»<sup>(1)</sup>.

9 - سيسأل كل عبد عن أشياء :

قال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وماذا عمل فيما علم»<sup>(2)</sup>.

رابعاً، القواعد التي يحاسب العباد على أساسها،

من هذه القواعد التي ذكرت في القرآن الكريم:

1 - عدل الله التام :

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

(1) صحيح الجامع، رقم: 2020.

(2) المصدر نفسه، رقم: 7299.

شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْقَالَ حَبْرٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: 47].

- وقال تعالى: ﴿قَالَتُمْ لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54].

- وقال تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِلَهُهَا إِنَّكَ إِشْقَالَ حَبْرٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي سَخِرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16].

- قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 77].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 124].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرًّا﴾ [النساء: 40].

## 2 - لا يتحمل أحد ذنب أحد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكُمْ رَيْبُكَ مَرَجَعُكُمْ فِيهِ يَخْلَقُونَ﴾ [الأنعام: 164].

- وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ﴿١٦٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿١٦٧﴾ أَلَا نَزِدُّهُ وَزْرًا وَنَزِدُّهُ أُخْرَىٰ ﴿١٦٨﴾ وَأَنْ لِّيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿١٦٩﴾ وَأَنْ سَعْبَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَ ﴿١٧١﴾﴾ [النجم: 36، 41].

### 3 - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْتَضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝﴾ [آل عمران: 30] .

- وقال تعالى: ﴿وَرُضِعَ الْكِتَابُ فَرَأَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: 49] .

### 4 - مضاعفة الحسنات دون السيئات:

قال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَئُوا اللَّهَ فَرَسًا حَسَابًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التقابين: 17] .

- وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَشْلَاهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [الأنعام: 160] . وأما السيئة فلا تجزى إلا مثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَشْلَاهَا﴾ [الأنعام: 160] .

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفًا مِنْ كُلِّ شَجَرَةٍ فَاقَتْ حَبُّهُ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة: 261] . هذا فضل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف<sup>(1)</sup> .

(1) تفسير ابن كثير (1 / 561).

ومن فضل الله تبارك وتعالى أن المؤمن الذي يهتم بفعل الحسنة ولكنه لا يفعلها تكتب له حسنة تامة، والذي يهتم بفعل السيئة ثم تدركه مخافة الله، فيتركها تكتب له حسنة كاملة<sup>(1)</sup>، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ، قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها، كتبها الله له سيئة واحدة»<sup>(2)</sup>.

#### 5 - تبديل السيئات حسنات :

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾ [الفرقان: 70].

وهذا من رحمة الله وفضله على المؤمنين أن يبدل سيئاتهم حسنات.

#### خامساً، إقامة الشهود على الناس،

الله ﷻ لا يحتاج إلى من يخبره عن عباده أو يشهد عليهم بما فعلوه، إلا أنه سبحانه من كمال عدله وإعذاراً للعالمين أقام عليهم الشهود ونوع تلك الشهود، وكثرها حتى تنقطع الحجج وتخرس

(1) اليوم الآخر، يوم القيامة الكبرى، ص: 211.

(2) فتح الباري (11 / 323)، البخاري، كتاب الرقاق.



الأفواه وتقر الجموع بعدل الله المطلق<sup>(1)</sup>، وهؤلاء الشهود كثر كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [مُود: 18] .

- قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غَافِر: 51] .

- قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ الْيَلِينُ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزُّمَر: 69] .

ومما ذكر في القرآن الكريم من إقامة الشهود على الناس الآتي:

### 1 - شهود الملائكة :

قال تعالى: ﴿وَمَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: 21] ، أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٦﴾ كِرَامًا كَذِبِينَ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار: 10 - 12] .

فهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون هم الذين يشهدون ويدل عليه الحديث التالي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 335.

(2) المصدر نفسه، ص: 337.

فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال: يقول بلى، قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي، قال: فتنتطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل»<sup>(1)</sup>.

## 2 - شهود الرسل عليهم:

فيشهد كل رسول على أمته وأنه قد بلغهم وبئّن لهم وأزال عنهم الشبهة لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

- قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٧) [يونس: 47]. يعني إذا جاء الرسول يوم القيامة قضى بينهم وسماه الله تعالى شهيداً كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثَرَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨١) [التحل: 84].

- وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥) [الفصص: 75].

(1) مسلم، ك الزهد والرفائق، رقم: 2969.

### 3 - وتشهد أمة محمد على الخلق:

بعد أن تشهد الرسل على أقوالهم، لا تجد هذه الأمم مهرباً إلا بتكذيب رسلها، فيقومون وينكرون ما جاءت به الرسل، ويكذبونهم. كما كانوا يكذبونهم في الدنيا. ويقولون ما جاءنا من نبي، فتقوم أمة محمد. الأمة الوسط. فتشهد للرسل:

- قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَنَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) [الحج: 78].

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمه: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمه، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، والوسط العدل<sup>(1)</sup>.

### 4 - شهود نبينا محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: 78].

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء، رقم: 3161.

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [التحل: 89] .

## 5 - شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه :

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [التور: 24] .

- وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [يس: 65] .

- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَقَالُوا لِمَ لُبُّوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَنُصِصُوا ﴿٩٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَنْتَبِهُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [فضلت: 19-23] .

## 6 - وتشهد الأرض :

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُ أَخْبَارُهَا ﴿٩٦﴾﴾ [الزلزلة: 4، 5] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُ أَخْبَارُهَا﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن

نقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها<sup>(1)</sup>.

## 7 - أعظم شهيد وأجل شهيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: 55].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْعَلُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].

فبعد أن يشهد الأحياء والجمادات وتنتهي هذه الشهادات تأتي شهادة الله العزيز الحميد جلّ جلاله وتقدست أسماؤه<sup>(2)</sup>.

## 8 - شهودهم على أنفسهم:

إذا رأى العبد الحق وتبين له أن الله لا تخفى عليه خافية ورأى كل ما عمله مكتوباً في صحيفته وقامت عليه الشهود ورأى أنه لا برهان له ولا حجة، أقر واعترف بما جنى واقرّف<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَمَنَعُكَ الْجَنَّةُ وَالْإِنسُ أَنْ يَقُولَ إِنَّكَ بَرٌّ مُبِينٌ﴾ [يونس: 61].

(1) سنن الترمذي، ك تفسير القرآن، رقم: 3353، حسن، صحيح غريب.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 340.

(3) المصدر نفسه، ص: 343.

لَلْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوْا كٰفِرِيْنَ ﴿١٣٥﴾ [الانعام: 130].

#### سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق،

في ذلك اليوم يُقتص للناس بعضهم من بعض، فالحساب شامل لظلم العبد نفسه، وظلمه لغيره من الناس، وما أعظم خيبة الذي وقع في ظلم الناس، لأن القصاص يومئذ لا يكون بالمال ولا السجن ولا غير ذلك، بل يكون بالحسنات والسيئات<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوْمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: 111] .

- قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه قدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»<sup>(3)</sup>.

(1) البرم الآخر في القرآن العظيم، ص: 343.

(2) البخاري، ك المظالم، رقم: 2317.

(3) مسلم، ك المظالم، رقم: 2317.

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنه يقتصر للبهائم بعضها من بعض<sup>(1)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق: الأنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجماء من القرناء بنطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني تراباً، فتكون تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّكَ﴾ [التَّيْنِ: 40]<sup>(2)</sup>.

### 1 - عظم شأن الدماء:

من أعظم الأمور عند الله أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه الله تبارك وتعالى<sup>(3)</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرجيء الرجل أخذاً بيد الرجل؛ فيقول: يا رب هذا قتلني؛ فيقول: لم قتله فيقول: قتله لتكون العزة لك؛ فيقول: فإنها لي؛ ويرجيء الرجل أخذاً بيد الرجل فيقول: أي رب؛ إن هذا قتلني؛ فيقول الله: لم قتله فيقول: لتكون العزة لفلان؛ فيقول إنها ليست لفلان؛ فيؤء بإثمه»<sup>(4)</sup>.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة؛ ناصيته ورأسه بيده؛ وأوداجه تشخب دماء فيقول: يا رب؛ سل هذا فيم قتلني حتى يدنيه من العرش»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 344.

(2) أخرجه الحاكم بإسناد صحيح، اليوم الآخر، المطيري، ص: 344.

(3) اليوم الآخر القيامة الكبرى للأشقر، ص: 240.

(4) صحيح الجامع الصغير (6 / 324)، رقم: 7885.

(5) المصدر نفسه (6 / 324)، رقم: 7887.

## 2 - أول ما يقضى بين العباد في الدماء:

ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يقضى فيه بين العباد، فقد قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»<sup>(1)</sup>.

سابعاً، الحوض:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّا شَائِغِبُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ﴾ [الكوثر: 1 - 3].

عن أنس بن مالك ؓ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى<sup>(2)</sup> إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي أنفاً سورة فقراً: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّا شَائِغِبُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ﴾، ثم قال: «أندرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ، عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم فيختلج<sup>(3)</sup> العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»<sup>(4)</sup>. فقوله: (عليه حوض) يدل على أن الحوض يتفرع من النهر، ويدل الحديث أيضاً أن الحوض موجود في عرصات يوم

(1) جامع الأصول، لابن الأثير (10 / 436)، رقم: 7968.

(2) أغفى: أي نام نومة خفيفة، أو نعل.

(3) الاختلاج: الحركة والاضطراب.

(4) مسلم، رقم: 53، شرح النووي (4 / 112).



القيامة قبل دخول الجنة، لقوله: «فيختلج العبد منهم» ... وهذا لا يكون في الجنة، لأنهم في الجنة لا يمنعون من شيء يشتهونه<sup>(1)</sup>.

وقد جاءت الأحاديث النبوية في بيان حوض النبي ﷺ الذي أكرمه الله ﷻ به وهو في عرصات القيامة، وهو غير الكوثر، بل الكوثر يكون مداداً له والذي يتلخص في صفته أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، وماؤه أشد بياضاً من اللبن والورق، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وكيزانه عدد نجوم السماء، ترد عليه أمة رسول الله ﷺ، وهو فرطهم عليه من شرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً<sup>(2)</sup>، ولقد بين لنا رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة الذين يردون على حوضه والذين يُذادون عنه، فيمنعون من الشرب منه، فمن تلك الأحاديث:

1 - عن حذيفة بن اليمان ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي لأبعد من أيلة»<sup>(3)</sup> من عدن<sup>(4)</sup> والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه» قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال: «نعم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 360.

(2) الباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، د. محمد الزبيدي، ص: 286.

(3) أيلة: مدينة على بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام.

(4) العدن: باليمن.

(5) مسلم على شرح النووي (3 / 136).

2 - قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين قال: إلى النار والله قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم»<sup>(1)</sup>.

3 - وقال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن لم يشرب لم يظماً أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»<sup>(2)</sup>.

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ: «هل تدري ما أحدثوا بعدك»، المراد به على أقوال:

أ - إن المراد به المنافقون والمتردون، فيجوز أن يحشروا بالغة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيمة التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب - إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ إن لم يكن عليهم سيمة الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

ج - إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام،

(1) أي فلا يرد الحوض إلا القليل، لأن الهمل من الإبل قليل بالنسبة لغيره.

(2) مسلم، ك الفضائل (4 / 1793).

وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار يجوز أن يذاودا عقوبة لهم، ثم يرحمهم ﷺ فيدخلهم الجنة بغير عذاب<sup>(1)</sup>، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى<sup>(2)</sup>.

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي ﷺ: (فأقول أصحابي) أو (أصحابي). بالتصغير، وفي بعضها يقول: (سيؤخذ أناس من دوني) فأقول: يا ربي مني ومن أمتي، وفي بعضها يقول ﷺ: «ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني»<sup>(3)</sup> وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة، فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب<sup>(4)</sup>.

وإذا كان النبي ﷺ قد بين أن سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أديبارهم، أو الإحداث في الدين كما في قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(5)</sup>، فمقتضى ذلك هو أن يذاود عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن

(1) شرح صحيح مسلم (3 / 136 ، 137).

(2) المفهم للقرطبي (1 / 504)، فتح الباري (11 / 385).

(3) الروايات في البخاري، ك الرقاق، فتح الباري (11 / 463).

(4) الانتصار للصحب والآل، ص: 354 للزحيلي.

(5) مسلم، ك الفضائل، إثبات الحوض (4 / 1792. 1082).

ارتد بعد موت النبي ﷺ من الأعراب، أو من كان بعد ذلك، يشاركونهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم<sup>(1)</sup>.

فالذود عن الحوض إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأخرجها بعد موت النبي ﷺ، فقد تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك أهل البدع كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد الناس إنكاراً عليهم، لهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها<sup>(2)</sup>، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله ﷺ حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب من رماهم بالردة والإحداث في الدين والذود عن حوض النبي ﷺ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته ولا يشكل

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (3 / 137)

(2) السنة لعبد الله بن أحمد (2 / 420) علي بن أبي طالب، للصلاحي، ص: 684.

على هذا قول النبي ﷺ: «البردن علي ناس من أصحاب الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»<sup>(1)</sup>، فهؤلاء هم من مات النبي ﷺ وهم على دينه ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم النبي ﷺ من أصحابه، لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته، ولذا يقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري<sup>(2)</sup>، فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نبينهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام<sup>(3)</sup>.

فاللهم ارزقنا شربة هنيئة مريئة من حوض النبي ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.

#### ثامناً، الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيُوقِرَ الْفَيْتَمَةَ فَلَا تَظْلِمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

(1) البخاري، رقم: 6582.

(2) مسلم، ك الفضائل (5 / 1796).

(3) الإصابة في تمييز الصحابة (1 / 7).

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها<sup>(1)</sup>.

وقد ذكر لفظ الوزن والميزان في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية، منها خمس عشرة آية خاصة بالبحث على إقامة العدل في ميزان الدنيا، والحذر من التطفيف في الكيل والميزان.. المستوجب لعذاب الله، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة<sup>(2)</sup>.

وقد دلت السنة المطهرة على أن الميزان ميزان حقيقي، لا يقدر قدره إلا الله ﷻ، قال ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»<sup>(3)</sup>.

### 1 - دقة الميزان:

قال تعالى: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزَرَ الْيَقِينُ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

(1) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص: 359.

(2) الغيبيات في ضوء السنة، د. محمد همام، ص: 345، الحياة في القرآن الكريم (2/ 606).

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 656)، رقم: 941.

يخبر تعالى في هذه الآية عن القضاء العادل يوم القيامة بأنه يوازن بين أعمال العباد موازنة دقيقة فيحاسب كلًّا على أعماله، ووصف الله تعالى الموازين بالقسط، لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط، وأكد ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ .

وقد صور القرآن الكريم دقة الموازنة بصورة حسية من مألوف الناس، قال تعالى: ﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَتَاجَرُونَ ﴿يُظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8-9].

كما صور الحديث النبوي ذلك الميزان الدقيق العادل بصورة حسية قال ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصى عليه، فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر به، إذا صائح بصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها، لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان»<sup>(١)</sup>.

## 2 - المؤمنون هم المفلحون:

ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم أن من ثقلت موازينه بأن رجحت من موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات، فأولئك هم الفائزون بالجنة الناجحون من العذاب، فالمؤمنون على تفاوت

(١) مسند أحمد (2 / 221، 222)، إسناده صحيح، رقم: 7066.

درجاتهم في الأعمال هم المفلحون، وإن عذبوا على بعض ذنوبهم بمقدارها<sup>(1)</sup>.

وفي ذلك يقول الله في آيات كثيرة منها:

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: 101-105].

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾﴾ [القارة: 6 - 7].

### 3 - الأعمال التي تثقل في الميزان:

إن كل أعمال البر والطاعة تثقل في الميزان، وتجعل كفة الحسنات راجحة على كفة السيئات، ولكن هناك أشياء تجعل كفة الحسنات ثقيلة جداً، منها<sup>(2)</sup>:

#### أ - حسن الخلق:

قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله ينفخ الفاحش البذيء»<sup>(3)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 608).

(2) رحلة إلى الدا الآخرة، ص: 482.

(3) صحيح الجامع، رقم: 5726.



ب - تسبيح الله وتحميده:

قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان وثقلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»<sup>(1)</sup>.

ج - الحمد لله:

قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ، أو تملأ. ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو: فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها»<sup>(2)</sup>.

ففي قوله: وسبحان الله والحمد لله تملأ، أو تملأ. ما بين السموات والأرض: سبب عظيم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه<sup>(3)</sup>.

د - احتباس الخيل في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، كان شبعه وريته وروثه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري، رقم: 6682، فتح الباري (11 / 575)

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (3 / 100) كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء.

(3) شرح الأربعين حديثاً النووية، لابن دقيق العيد، ص: 61، 62.

(4) البخاري، رقم: 2853، فتح الباري (6 / 67).

## تاسعاً: الصراف:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۖ﴾ [مريم: 71، 72].

والمراد بالمرور في الآية المرور على الصراف وهو جسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون<sup>(1)</sup>.

وعن جابر عن أم مبشر، عن حفصة قالت: قال النبي ﷺ: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرًا والحديبية» قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، قال: «ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾» [مريم: 72]<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَابْتَغِيهِمْ يَشْتَرِكُمْ أَلَيَْوْمَ جَنَّتْ بَغْيِي مِنْ تَحِيَّا الْأَنْهَارِ خَلَّيْنِ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [١٣] يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِرُونَا نَقْتَسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ فَيَلْ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ثَوْرًا فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ يَسْوِرَ لَمْ يَكُنْ بَابًا بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝﴾ [١٤] يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَضْتُمْ الْأَمَانِي حَقَّ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝﴾ [١٥] فَالْيَوْمَ لَا يُفْعَدُ مِنْكُمْ وَدِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُولَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسْ أَلْمَعِيرُ ۖ﴾ [الحديد: 12 - 15].

لقد كرم الله تعالى المؤمنين يومئذ تكريماً عظيماً، إذ يمرون

(1) شرح مسلم للنووي (16 / 58).

(2) سنن ابن ماجه، ك الزهد، رقم: 4281 سند، صحيح.

على الصراط بسرعات مختلفة وأنوار متفاوتة، أما المنافقون فلا نور لهم<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْنَا نَارَ الْوَاقِعَةِ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كَافِرُونَ﴾ [التحریم: 8].

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ على قدر أعمالهم يعمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطلقاً مرة<sup>(2)</sup>.

1 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

في حديثه الطويل في سياق الشفاعة عن رسول الله ﷺ وفيه: «ثم يضرب الجسر على جهنم؛ وتحل الشفاعة؛ ويقولون اللهم سلم سلم<sup>(3)</sup>؛ قيل: يا رسول الله؛ وما الجسر؟ قال: دحض<sup>(4)</sup> مزلّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك؛ تكون بنجد بها شويكة يقال لها السعدان؛ فيمر المؤمنون كطرف العين كالبرق؛ وكالريح؛ وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم؛ ومخدوش مرسل؛ ومكدوس في نار جهنم؛ حتى إذا خلص المؤمنون من النار؛ فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدّ مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنون لله

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 617).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 270).

(3) البخاري (2 / 292).

(4) دحض: زلق.

يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه؛ ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به<sup>(1)</sup>.

## 2 - الأمانة والرحم على جنبتي الصراط:

قال رسول الله ﷺ: «وُترسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق»، قال: قلت: بأبي وأمي، أي شيء كالبرق، قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشذّ الرحال، تجري بهم أعمالهم، ونبികم قائم على الصراط يقول: رب، سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»<sup>(2)</sup>.

ويا له من موقف يشيب لهوله الولدان.

ها هي الأمانة على الصراط لتقول لكل خائن يمر عليها: أين الأمانة التي ضيعتها؟ .. أين أمانة الطاعة، ؟ .. أين أمانة الزوجة والأولاد؟ أين أمانة الأموال التي سرقها؟ أين أمانة الشهادة لهذا الدين؟ أين الأمانات التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها أنت الإنسان، بل ها هي الرحم تتعلق

(1) مسلم (1 / 167 - 171).

(2) مسلم (1 / 187)، ك الإيمان، رقم: 195.

على الصراط لتقول لكل من قطعها: أين صلة الرحم التي قطعتها في الدنيا؟ وماذا ستصنع اليوم أمام تلك الأحوال<sup>(1)</sup>؟

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؛ قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: 22-24]<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يجعل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة، فتتموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا»<sup>(3)</sup>.

### 3 - تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة:

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الحياة الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهاراً أبراراً، ليس لأحد عند الآخر مظلمة ولا يطلب بعضهم بعضاً

(1) رحلة إلى الدار الآخرة، ص: 498.

(2) البخاري، رقم: 4830.

(3) صحيح الجامع للالباني، رقم: 5705.

بشيء من غل وبغض، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ [الأعراف: 43].

قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار؛ فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيقتنص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا؛ حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا»<sup>(1)</sup>.

ثم الناس بعد تجاوز قناطر الصراط على نوعين: نوع تساوت حسناتهم وسيئاتهم فهؤلاء أهل الأعراف وهو سور بين النار والجنة<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يُمْرُقُونَ كَلًّا يَسْمَعُهُمْ وَكَادُوا أَنْصَبَ الْجَنَّةَ أَنْ سَلِمَ عَلَيْكُمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: 46]، ونوع رجحت حسناتهم سيئاتهم هم أهل الجنة.

إن الصراط جسر ممدود على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون<sup>(3)</sup>.

#### 4 - عظة المرور على الصراط:

تفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك

(1) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6535.

(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 619).

(3) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (2 / 192).

شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجلك؟ فأحسست بحدته، واضطرتت إلى أن ترفع قدمك الثانية، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفضعه، ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه<sup>(1)</sup>.

قال الشاعر:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي	إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى	بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا	فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن	تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي	غفرت لك الذنوب فلا تبالي <sup>(2)</sup>

(1) التذكرة للقرطبي، ص: 332.

(2) اليوم الآخر، القيامة الكبرى، ص: 283.





## الفصل الرابع النار والجنة

### المبحث الأول مقدمات

أولاً، خلود الجنة والنار؛

الجنة والنار خالدتان أبداً، والأدلة على ذلك كثيرة وهي تدل على خلود أهل الجنة والنار وهذا يستلزم خلود الجنة والنار ولازم الحق حق.

1 - أما الجنة: فقد دل على خلودها الكتاب والسنة:

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُيِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَذَابٌ مُجْتَذَرٌ ۖ﴾ [مُود: 108] .  
يعني غير مقطوع.

- وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۖ﴾ [الججر: 48]، فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود.

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ

نِزْلًا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء: 57] .

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: 122]<sup>(1)</sup>.

وأما في السنة، فمنها قوله ﷺ: «ينادي مناد يعني أهل الجنة أن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبوا لا تنهروا أبداً، وأن لكم أن تنعموا ولا تناسوا أبداً، فذلك قوله ﷺ: ﴿وَوَدُّوا أَنْ يُلَاقُوا أُمَّهَاتِهِمْ أَوْ يُرْسِلُوهُنَّ بِمَا كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ [الأعراف: 43]<sup>(2)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رحمه الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَصْرَفِ إِذْ يَفِيءُ الْأَمْثِلُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»<sup>(3)</sup>.

## 2 - وأما خلود النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 294.

(2) مسلم، ك الجنة وصفتها، رقم: 2837، اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 394.

(3) البخاري، ك التفسير، رقم: 4453، مسلم: 2849.

وَمَنْ فِيهِ ثُبُوتٌ ﴿٧٥﴾ [الزخرف: 74، 75].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٧٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولًا إِلَهُةٌ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: 98، 99].

- وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطَبَاتُهَا فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْكَارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: 81].

وأما السنة فحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحصى سناً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»<sup>(١)</sup>.

### 3 - هل المراد بالخلود طول المكث:

قد يقول القائل: إن المراد بالخلود هو طول المكث لا أبديته، والناس تسمي أبناءها خالدًا تفاؤلاً بطول بقائه، وهم يوقنون أنه ميت لا محالة، وتقول العرب: فلان خلد الله ملكه، يعني أطال الله ملكه، ولكن إلى أمد لا إلى الأبد، والرجل الذي أسن ولم يشب تقول عنه العرب: مخلد<sup>(٢)</sup>.

والجواب: الأصل في معنى الخلود هو دوام البقاء وأبديته، قال صاحب لسان العرب: الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج

(١) البخاري، ك الطب، رقم: 5445، مسلم، رقم: 109.

(٢) لسان العرب (3 / 163).

منها<sup>(1)</sup>، وإنما يطلق الخلود على طول البقاء لا أبديته بقريته، كما هو الحال في النار بالأبد لدفع هذا الوهم، وهي بالتبع ثلاثة مواضع في كتاب الله:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَخْشَىٰ فِي هَٰئِهِمْ لَعْنَةً ۚ وَالْعَذَابُ أَلِيمٌ ۚ﴾ [النساء: 168، 169].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ﴾ [الأحزاب: 64، 65].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

وزاد هذا المعنى وضوحاً الآيات التي تنفي خروجهم من النار وتبين أن عذابهم مقيم وثابت، وأن العذاب لا يفتر عنهم وأنهم لا يموتون فيها<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿يُؤَيَّدُونَ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا يُؤَيَّدُ بِهِمْ ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ [المائدة: 37].

- قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا مِيثَاقَ اللَّهِ هُزُومًا ۖ وَغَرَقُوا الْمِيثَاقَ الَّذِي قَالُوا لَا يُخْرِجُونَنَا وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ۚ﴾ [الباقية: 35].

(1) لسان العرب (3 / 164).

(2) اليوم الآخر في القرآن والسنة المطهرة، ص: 400.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَنْفَعُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: 74-75]

- وقال تعالى: ﴿وَيَنْجِبُهَا اللَّهُ الَّذِي بَصَلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١١﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٢﴾﴾ [الاعلى: 11 - 13].

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَوْجٌ وَشَيْءٌ ﴿١٤﴾ خَلِيدٌ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [هود: 106، 107]. ففي تفسير هذه الآية أوجه:

أحدهما: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك، وأبي سنان، وغيرهم.

الثاني: أن المدة التي استثنى الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما يقرر في الأصول<sup>(1)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم، ص: 402.

#### 4 - وهل تفتنى النار؟ وهل يموت أهلها؟ وهل يخفف العذاب عن أهلها؟

أما فناء النار فقد بين سبحانه عدمه بقوله: ﴿كُلَّمَا جَبَّتْ رِذَّتْهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97]. ومعلوم أن ﴿كُلَّمَا﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.

وأما موتهم: فقد نص تعالى على عدمه بقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: 36] وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74]، وقوله: ﴿وَيَا أَيُّهَا الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17].

وقد بين النبي ﷺ في الحديث الصحيح، أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت، كما قال ﷺ: «يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»<sup>(1)</sup>.

وأما إخراجهم منها: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، ويقول تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: 20]، ويقول: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وأما تخفيف العذاب عنهم: فنص تعالى على عدمه بقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: 36].

- وقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: 30].

- وقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ عَنْهُمْ إِذْ يَفْتَتَرُونَ﴾ [الزخرف: 75].

- وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65].

- وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 77].

- وقوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [النحل: 85].

- وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

وهذا الخلود في حق الكفار لا في حق الموحدين من المسلمين من أصحاب الكبائر، ولا غرامة في خلود الكفار الأبدي، لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائماً لا يزول والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23]، فقلوه: ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط فهي نعم، فلو كان فيهم خيراً ما، لعلمه الله.

وعذاب الكفار للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله: ﴿وَلَا يَرْجَوْنَ﴾، ويقولوه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مَا﴾. والعلم عند الله تعالى<sup>(1)</sup>.

ثانياً، الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن،

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. وفي النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]. والإعداد التهيئة وقد اتفق أهل السنة على هذا.

(1) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ص: 93-97.

ومن الأدلة على أنهما موجودتان الآن الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلها، كحديث عبد الله بن عباس ؓ أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ؛ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً؛ الحديث وفيه قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكت؛ فقال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا؛ ورأيت النار فلم أر كالיום منظراً قط ورأيت أكثر أهلها النساء؛ قالوا: لَمْ يا رسول الله؛ قال: بكفرن؛ قيل: يكفرون بالله؟ قال: يكفرون العشير؛ ويكفرون الإحسان؛ ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط»<sup>(1)</sup>.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً؛ قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار»<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: مكان الجنة،

فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن أما كونها فوق السماء السابعة فدل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 14، 15]. وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور وفيه: «ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل:

(1) البخاري، رقم: 4901، مسلم، رقم: 907.

(2) مسلم، رقم: 426.



ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسننها، فأوحى الله إلي ما أوحى فقرض علي خمسين صلاة<sup>(1)</sup>.... فهذا الحديث يدل أن سدره المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة<sup>(2)</sup>.

وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن فدل على ذلك من السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك، فقال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما في السماء والأرض، فإذا سألت الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة<sup>(3)</sup>»، فأعلى درجات الجنة هي الفردوس. كما في الحديث. وفوق عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 162.

(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.

(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2637.

(4) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 410.

## رابعاً: مكان النار،

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْهُومٌ ۝﴾ [المطففين: 7 - 9]. وفي حديث البراء فيقول الله تعالى: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى»، سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسق وشرب وخمير وسكير ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝﴾ [المطففين: 8]. أي: أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، وقد فسر في الحديث بأنه في الأرض السفلى، وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة، وقيل بثر في جهنم، وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>.

والظاهر من الآية أن سجين هو اسم للكتاب لأنه تعالى قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْهُومٌ ۝﴾، ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْهُومٌ﴾ قال: ليس تفسيراً لقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وإنما هو تفسير لما كُتِبَ لهم من المصير إلى سجين، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(2)</sup> وهكذا قال الراغب والقاسمي<sup>(3)</sup>، وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْهُومٌ﴾ تفسير لقوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أي إن كتاب الفجار كتاب مرقوم ويكون قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾. وهذه جملة معترضة بين المفسر

(1) الفتح الرباني شرح المسند، للبنا (7 / 77).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 485).

(3) محاسن التفسير، للقاسمي (7 / 282).

والمفسر وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار.

وقد دلت الأحاديث أن النار يؤتى بها يوم القيامة فتكون في موضع قبل مكان الجنة، لأن الصراط منصوب على جسر جهنم<sup>(1)</sup>، ودل حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: اصحاب الأعراف،

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ إِلَيْهَا أَحْصَى النَّارُ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف 46-48]. والأعراف سور بين الجنة والنار<sup>(3)</sup>.

وأما أصحاب الأعراف: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الجنة، برحمته نقله البيهقي في كتابه البعث والنشور عن جميع من الصحابة والتابعين<sup>(4)</sup>.

(1) اليوم الآخر، عبد المحسن المطيري، ص: 412.

(2) مسلم، رقم: 2842.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 562.

(4) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 81-87.

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهزلي قال: قال سعيد ابن جبير وهو يحدث عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَنَنْقُلَتْ مَوَازِيَهُمْ﴾ الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ﴾، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أهل النار ﴿لَا تَجْمَعُنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تعوذوا بالله من منازلهم. قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمنهم ويعطي كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَنْتَ لَنَا نُورٌ﴾، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهناك يقول الله تعالى: ﴿لَوْ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولاً فقال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 418.

(2) تفسير ابن كثير (2 / 216)، فتح القدير (1 / 215).

## المبحث الثاني النار

أولاً: أسماء النار،

1 - النار: هي الدار التي أعدها الله.

وأسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالاتي:

2 - سعيراً:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5].

3 - جهنم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرِيبُهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسْأَلُونَ الْمَصِيرَ﴾ [الملك: 6].

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [التب: 21].

4 - لظى:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْزَالٌ ۖ نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى ۖ﴾ [المعارج: 15 - 18]، اللظى: اللهب الخالص، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۖ﴾ [الليل: 14 - 15].

التضاء النار: التهابها، وتلظيها: تلهبها، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: 14] ، أي: تتوهج وتتوقد<sup>(1)</sup>.

## 5 - سقر:

قال تعالى: ﴿سَأْمِلُهُ سَفَرٌ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ﴿٧﴾ لَا يُبْقِي وَلَا يَنْذَرُ ﴿٨﴾ لَوَاقِعٌ لِّبَشَرٍ ﴿٩﴾ عَلَيْهَا نِعْمَةُ عَنَّا ﴿١٠﴾ [المدثر: 26 - 30].

- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِن سَفَرٍ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٢﴾ [القمر: 48 - 49] ، والسقر: البعد، وسقرته الشمس: لوحته وآلمت دماغه بحرّها، ويوم مسقر: شديد الحر<sup>(2)</sup>.

## 6 - الهاوية:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا هَكَوِيَةٌ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٢﴾ [القارة: 9 - 11]. وسميت النار بالهاوية لبعد قعرها، فمن سقط يهوى فيها، ومعنى أمه هاوية: أي مستقره الهاوية<sup>(3)</sup>.

## 7 - الحطمة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿١٠﴾ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ [الهمزة: 4 - 9].

(1) لسان العرب (15 / 248).

(2) المصدر نفسه (4 / 372).

(3) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 425.

والحطم: الكسر في أي وجه كان، قيل: هو كسر الشيء اليابس خاصة، كالعظم ونحوه<sup>(1)</sup>.

وسميت النار بذلك لأنها تحطم رأس وعظام كل من دخلها<sup>(2)</sup>.

## 8 - الجحيم:

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 47].

قال رسول الله ﷺ: «أناكم رمضان شهر مبارك فرض الله ﷻ عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»<sup>(3)</sup>.

الجحيم: المكان الشديد الحر، وجَحَم النار أوقدها، ورأيت جحمة النار أي توقدها، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا لَمُ بُعَيْنَا فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ، وكل نار توقد على نار جحيم، وهي نار جاحمة<sup>(4)</sup>، وسميت النار بالجحيم لأنها نار عظيمة في مهواة، وهي نار توقد على نار، كما قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: 6] ، أي التي أوقد عليها.

هذا وقد ذهب بعضهم أن هذه الأسماء إنما هي أسماء لأبواب

(1) لسان العرب (12 / 137).

(2) اليوم الآخر: د. المطيري، ص: 426.

(3) سنن النسائي، رقم: 2104 ، وأصله في الصحيحين.

(4) لسان العرب (12 / 82)، بتصرف وتقديم وتأخير.

جهنم، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُورٌ﴾ [الجعر: 44]. جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلهم، وقال بعضهم: إن هذه الأسماء إنما هي لدركات<sup>(1)</sup> النار، والصحيح أن هذه الأسماء للنار لا لأبوابها ولا لدركاتها، لأن الآثار التي ذكرت ضعيفة، وجميع المفسرين عند تفسيرهم للآيات السابقة إنما يذكرون أن هذه الأسماء أسماء للنار لا غير، وسياق الآيات يدل أن المراد هو النار نفسها لا أبوابها ولا لدركاتها، خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ فبعد أن يكون المعنى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة باباً، وكذا قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيَكْبَدَنَّ فِي الْفُطَمَةِ﴾ ليس معناه لينبذن في باب اسمه الحطمة وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفُطَمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ [نص في أن هذا اسم للنار وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾ و﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارة: 9 - 11].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ [القمر: 48].

ومعاني الأسماء تقوي هذا الرأي أيضاً، فالنار كلها تلهب وتستعر وتلظى وتسقر، وهي كلها سوداء، لا بابها فقط ولا جزء من أجزائها، وهي هاوية بعيدة القمر ليس الباب ولا أظن أن النار ليس فيها إلا سبع دركات فقط، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾، وأهل النار ليسوا على سبعة مستويات فقط، فمنهم من

(1) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 255.



يوضع تحت رجله جمرة من النار فيغلى دماغه وهو أهون أهل النار عذاباً، ثم يتدرج العذاب حتى يصل إلى عذاب المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار<sup>(1)</sup>.

## ثانياً، خزنة النار،

### 1 - عدد خزنة النار :

قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقِي وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لَوْلَا أَنَّهُ لَشَفَرُ ﴿٢٩﴾ عَلَيْنَا نِعْمَ عُثْرٌ ﴿٣٠﴾﴾ [المدر: 27-30]. فعددهم تسعة عشر ملكاً، ولكن القرطبي قال: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَمْلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام؛ مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

### 2 - أسماء خزنة النار :

أما كبير خزنة النار فهو مالك رضي الله عنه، وجاء ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّقَضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّا كُنَّا نُكَرُ﴾ [الزخرف: 77].

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ﴾ [الزخرف: 76-77]، وهو خازن النار، أخرج البخاري عن صفوان بن يحيى عن أبيه رضي الله عنه، قال: سمعت

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 429.

(2) تفسير القرطبي (19 / 53).

رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿وَنَادُوا يَمِّيكَ يَفْعُزْ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَفْعُزُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، وقال ﷺ: ﴿وَنُتَجَبِّهَا الْأَشْفَى﴾ ⑪ أَلْوَى بَقَلْ أَتَارَ الْكَبَى ⑫ ثُمَّ لَا يَبُثُّ فِيهَا وَلَا يَجِنُّ ⑬، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ﴾.

قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون أي لا خروج لكم منها ولا مجيد لكم عنها<sup>(1)</sup>.

وقد وصف الله ﷻ خزنة النار بأنهم ﴿الزَّائِبَةُ﴾ وهم الذين يتولون تعذيب الكفار والعصاة في النار، كما قال سبحانه: ﴿قَلِيلٌ نَادِبُهُ﴾ ⑭ سَنَعُ الزَّائِبَةُ ﴿[العلق: 17-18].

وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قال فقيط: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليظاً على رقبته، قال: فما فجنهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيط له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: فانزل الله ﷻ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ① أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ② إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ③ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ④ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑤ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدْيٰ ⑥ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوٰى ⑦ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ رُتُوًا ⑧﴾ يعني: أبا جهل

﴿أَرَبِمَ بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ ۖ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَنفَعَنَّ الْفَاسِقِينَ ۚ﴾ (١٥) نَاصِبٌ كَذِبُهُ خَالِفٌ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَدَّغَ الْأَبْيَانَ (١٨) كَلَّا لَا نُفِئُكُمْ (١٩).

### 3 - صفاتهم:

وحديثنا هنا عن صفاتهم الزائدة عن الصفات العامة المشتركة للملائكة، وقد ذكر الله تعالى من صفاتهم صفتين، وهاتان الصفتان شاملتان لجميع الصفات وهما: الغلظة والشدة فهي فيهم (2)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَفْئِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التخريم: 6).

وقد ذكر الله تعالى بعض المواقف التي تبين شيئا من غلظتهم مع أصحاب النار في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: عند فتح أبواب جهنم لإدخالهم فيها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فِئَتْ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٦١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَنَى الْمُتَكِبِينَ ﴿ [الزمر: 71-72].

الموطن الثاني: عند دخولهم النار، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا أَلْتَمَىٰ فِيهَا مَوْجٌ سَأَلْتُمُ خَزَنَتَهَا أَلَا يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2797.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 435.

نَزَلَ اللَّهُ مِنْ مَعْنَى إِنْ أَنْشَدَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١١﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ  
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ  
﴿١٣﴾ [الملك: 8-11].

الموطن الثالث: عند سؤال أهل النار خزنة جهنم أن يشفعوا  
لهم عند الله في تخفيف العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ  
لِخَزَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ  
نَكُتْ تَأْيِذِكُم بِرُسُلِكُمْ بِالَّذِينَ نَسُوا قَوْلَ رُسُلِهِمْ فَأُتُوا بِالسَّعِيرِ ﴿٩﴾﴾  
نَكُتْ تَأْيِذِكُمْ رُسُلِكُمْ بِالَّذِينَ نَسُوا قَوْلَ رُسُلِهِمْ فَأُتُوا بِالسَّعِيرِ ﴿٩﴾﴾  
[غافر: 49، 50].

ثالثاً: صفة النار:

1 - أبواب النار:

قال تعالى: ﴿وَرِثَ الْجَهَنَّمَ لَمُؤْمِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ  
بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: 43، 44]. وعندما يرد الكفار  
النار تفتح الأبواب ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ  
خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ  
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كُفْرَتُهُمُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾﴾  
[الزمر: 71]. وبعد هذا الإقرار يقال لهم: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ  
خَالِدِينَ فِيهَا فَمَنْ مَتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الرؤس: 72]. وهذه الأبواب  
تغلق على المجرمين، فلا مطعم لهم في الخروج منها بعد ذلك كما  
قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ ﴿١١﴾﴾  
[الحجر: 44]. ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ مَوَاعِدَ  
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ  
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قِيلَ لِمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر: 71-72] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَةِ﴾ ﴿٧٣﴾  
عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿[البلد: 19-20]﴾<sup>(١)</sup>.

ومؤصدة: مغلقة الأبواب<sup>(2)</sup>، فأبواب النار مؤصدة مغلقة،  
وأسوارها ذات عمد ممدودة طويلة لا يمكن تخطيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ  
مُؤَصَّدَةٌ﴾ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ [الهمزة: 8، 9]<sup>(3)</sup>.

## 2 - دركات النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145].

والدرك: هو أقصى قعر الشيء<sup>(4)</sup>، وقال الراغب: الدرك  
كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالحدود،  
ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار<sup>(5)</sup>، وقد يطلق على منازل  
النار درجات، كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا  
يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 163].

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، عمر الأشقر، ص: 28.

(2) المصدر نفسه، ص: 28.

(3) اليوم الآخر، د. محسن المطيري، ص: 438.

(4) لسان العرب (10 / 422).

(5) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 311.



قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْخُذَ بِنَبِيِّهَا وَنُغْلِبَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنُوزٌ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ يَسْئَلِكُمْ فَايُؤْثِرُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿[المائدة: 112-115]﴾.

وأما أهون أهل النار عذاباً فهو رجل يتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل النار عذاباً يتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه»<sup>(1)</sup>.

### 3 - وقود النار:

وقود النار، البشر والحجر، قال تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: 24].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 10].

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 98].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبًا أَنْفُسُهُمْ وَأَعْيُنُهُمْ تَنَازَرُ وَقُودُهَا

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 211.

النَّاسَ وَالْجِبَارَةَ عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾ [التحریم: 6] .

#### 4 - شدة حرها وعظم دخانها وشرارها :

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُجُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِيهِ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: 41 . 44].

وقد تضمنت هذه الآية ذكر ما يتبرد به الناس في الدنيا في الكرب والحر وهو ثلاثة: الماء والهواء والظل، وذكرت الآية أن هذه لا تغني عن أهل النار شيئاً، فهواء جهنم السموم، وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها اليحموم، وهو قطع دخانها<sup>(١)</sup>. والظل الذي أشارت إليه الآية ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِيهِ﴾ هو ظل دخان النار، والظل يشعر عادة بالندادة والبرودة، كما أن النفس تحبه وتستريحه إليه، أما هذا الظل فإنه ليس بارد المدخل ولا بكريم المنظر، إنه ظل من يحموم، وقد حدثنا القرآن في هذا الظل الذي هو دخان جهنم الذي يعلو النار، فقال: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٥﴾ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُنْقِي مِنَ الْلَهَبِ ﴿٣٦﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٧﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 31-33]، فالآية تقرر أن الدخان الذي يتصاعد من هذه النار لفخامته ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهو يلقي ظلالاً ولكنها غير ظليلة، ولا تقي من اللهب المشتعل، أما شوار هذه النار المتطاير منها فإنه يشبه الحصون الضخمة، كما يشبه هذا الشرار الجمالة الصفر إي الإبل السود.

(١) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 33.



وقال الحق مبيناً قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: ﴿سَأُتِلِّيه سَقَرًا ۖ وَمَا أَذْرُكَ مَا سَقَرُهُ ۚ لَا يُبْقِي وَلَا يُدْرِكُهُ ۚ﴾ [المدرثر: 27-30]. إنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصل إلى العظام وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ: أن نارنا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟ قال: «فضلت عليها بتسعين جزءاً كلهن مثل حرها»<sup>(1)</sup> وعندما تستقبل النار أهلها يوم القيامة تسعر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ۖ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُتِلَّتْ﴾ [التكوير: 12-13]. ومعنى سمرت: أوقدت، وأحميت<sup>(2)</sup>.

## 5 - النار تتكلم وتبصر وتغضب:

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقاً يتكلم ويبصر ويغضب، أما كلامها فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ آتَتْكَ آيَاتُنَا وَنَقُولُ هَلْ مِنْ زُرِيرٍ ۚ﴾ [ق: 30].

وأما رؤيتها للناس، فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۚ﴾ [الفرقان: 11، 12]. فقلوه: «رَأَيْتُهُمْ» يدل على أنها تبصر، وقوله: «سَمِعُوا لَهَا» يدل على أنها تتكلم، وقوله: «تَنْظُرُهَا وَزُفِيرًا» يدل على أنها تغضب.

(1) البخاري، رقم: 3092، مسلم، رقم: 2843.

(2) اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 43.

وأما غضبها فيقول سبحانه: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَنْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: 7، 8].

وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا نَفْثًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 12] ، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين بل تكاد تميز أي تقطع<sup>(1)</sup> من شدة غضبها عليهم.

## 6 - وديان النار:

سمى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية وهي كالتالي:

أ. وادي الويل: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ أَلْوِيلٌ مِمَّا نَصَبْتُمْ﴾ [الأنبياء: 18] .

وقال تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴿١﴾ أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٢﴾﴾ [الهمزة: 1-3].

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً يهوي به كذلك فيه أبداً»<sup>(2)</sup>.

ب. وادي الغي: قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَاقِيهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مریم: 59] .

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 446.

(2) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 36، صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره قوله: ﴿بَنِيًّا﴾ : هو واد في جهنم يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات<sup>(1)</sup>.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه : الغي وادي في جهنم بعيد القمر متن الريح<sup>(2)</sup>، وهذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع<sup>(3)</sup>.

ج. وادي المَوْبِقُ : قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: 52]. قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ واد من قيع ودم<sup>(4)</sup>.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : واد في النار عميق فرق يوم القيامة بين أهل الهدى والضلالة<sup>(5)</sup>، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال ابن عباس: مهلكاً<sup>(6)</sup>.

والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون وادياً في جهنم أو غيره، والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه فرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير<sup>(7)</sup>.

(1) ابن أبي الدنيا، صفة النار، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، ص: 460.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.

(4) البيهقي في البعث والنشور، ص: 261.

(5) المصدر نفسه، ص: 261.

(6) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 450.

(7) المصدر نفسه، ص: 451.

## 7 - جبال النار:

قال تعالى: ﴿سَازِهَقُمُ صَعُوًا ۝﴾ [المذثر: 17] . قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: جبل في جهنم<sup>(1)</sup>.

## 8 - سراق النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَاثُوا يَمَآءَ كَالْمُهْلِ يَغْوَى الْوُجُوهُ يَفْسُ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] : السراق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء<sup>(2)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «السراق النار أربع جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»<sup>(3)</sup>، وهذا السور له أعمدة ممددة طويلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۝﴾ في عمده مُّمدَّدة ﴿﴾ [الهمزة: 8، 9].

## 9 - سعة النار وبُعد قعرها وعظم عمقها:

ويدل على ذلك أمور كثيرة منها:

أ - أن من أسماء النار الهاوية: أي يهوى بها لبعد قعرها، وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «تدرون ما هذا؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: 268.

(2) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (2 / 359).

(3) سنن الترمذي، رقم: 2584، صححه الحاكم كما في تحفة الأحوذى (7 / 258).

(4) مسلم، رقم: 2844.

ب - أن الكافر يكبر حجمه في النار: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»<sup>(1)</sup>، والذين يدخلون النار أعداد لا تحصى ومع العدد الهائل من الناس وبهذا الحجم الكبير للكفار فإنه لا تمتليء بل وتطلب المزيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٥﴾ [ق: 30] .

ج - ويدل على عظمها أيضاً كثرة الذين يجرونها من الملائكة: فقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] . بأن الذين يجيئون بها ملائكة، قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»<sup>(2)</sup>.

#### 10 - وصف عذاب النار:

إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى قد وصف عذاب الحياة الآخرة، بأوصاف كثيرة متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته، فمن هذه الأوصاف:

- أنه أشق وأشد: قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الرعد: 34] .

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 127] .

(1) مسلم، ك الجنة، رقم: 2851.

(2) مسلم، رقم: 2842.

- غرام: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الفرقان: 65] .

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا، أي: ملازم له ومولع به، هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي<sup>(1)</sup>

- العذاب المهين: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَفْتَنُونَ اللَّهُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَقِيتًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَی مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبْلَهُمْ يَقَعُ عَلَى غُرْمٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: 90] .

وقوله تعالى: ﴿وَالِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُوهُ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] أي صاغرين حقيرين ذليلين راغمين<sup>(2)</sup>

- العذاب الأخزى: ومن أوصاف عذاب الآخرة أنه عذاب أخزى، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ

(1) ديوان الأعشى الكبير (1 / 45) الحياة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي (274 / 1).

(2) تفسير ابن كثير (1 / 112).

عَذَابَ الْغُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ ﴿١٦﴾  
[فُضِّلَتْ: 16] .

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: 192] .

- العذاب العظيم: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يُصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 176] .

- العذاب السيئ: ومن الأوصاف لعذاب الحياة الآخرة أنه العذاب السيئ، الشديد النكاية.

- قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّبِعِ بِرُوحِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَفِيلَ الظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24] .

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] .

- العذاب الأكبر: قال تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاْتَتْهُمْ الْمَآذِبُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَآذَاهُمُ اللَّهُ لِلْغُرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 25، 26] .

- وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 33] .





ثم يساقون إلى النار سوقاً شديداً ويدفعون إليها دفعا ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ﴿١٤﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ [الطور: 13، 14]. الدع: الدفع الشديد ثم إذا اقتربوا منها فتحت أبوابها في وجوههم بغتة حتى يصيبهم عذاب الفزع، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِتِلْكَ آيَاتِكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 71]. ثم يلقون فيها إلقاء من مكان ضيق، وهم مكتفون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ﴿١٦﴾ [الفرقان: 13] ، مقرنين أي مشدودين ومربوطين<sup>(1)</sup>.

وهذا الربط بالاصفاد هي الاغلال ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿١٧﴾ [إبراهيم: 49] . وهذا الإلقاء إنما يكون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ يَأْتِسْ بِكَفَّةٍ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [النمل: 90]<sup>(2)</sup>. ثم يلقى بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿فَتُكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَاوُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَتُحْدِثُ لِبَاسٍ أَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ [الشعراء: 94، 95]. كبكبوا: ألقي بعضهم على بعض<sup>(3)</sup>.

ثم تبدأ بعد ذلك سلسلة طويلة من أنواع العذاب وأصناف النكال وألوان الآلام<sup>(4)</sup>.

- (1) مفردات القرآن للأصفهاني، ص: 667.
- (2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 457.
- (3) لسان العرب، لابن منظور (1 / 697).
- (4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 458.

## 12 - أول من تسعر بهم النار يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نِعَمُهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به، فعرفه نِعَمُهُ فعرفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرفه نِعَمُهُ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً، ما أعد الله لأهل النار من عذاب،

## 1 - شدة العذاب:

ومن شدة عذابها أن نفخة واحدة منها تكفي بأن يقرأوا بكل شيء.

- قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَكُونُنَّ

(1) مسلم، ك الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة (2 / 1513).

يَتَوَلَّوْنَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٨﴾ [الأنبياء: 46] .

- وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي الْخَطِئَةِ ﴿١٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطِئَةُ ﴿٢٠﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٢١﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَةِ ﴿٢٢﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٢٣﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الهمزة: 9. 4].

- وقد اشتملت هذه السورة . مع قصرها . على سبع أمور تدل على عظيم عذاب نار جهنم، وشدته، وهي كالتالي:

أ - قوله: ﴿لَيُبَدِّلَنَّ﴾ ، والنبد يستخدم للتحقير والمهانة، والذل، ويقال: فلان منبوذ، أي مهان محقر لا نصير له ولا معز، فهم إضافة لعذابهم البدني بالنار، فإنهم يعذبون عذاباً نفسياً بالمهانة والتحقير.

ب - قوله: ﴿الْخَطِئَةُ﴾ : تسمية النار بالحطمة تعظيم لعذابها، لأنها تحطم عظام ورؤوس من دخلها.

ج - قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطِئَةُ﴾ هذا الأسلوب أسلوب تعظيم كقوله تعالى ﴿الْخَافَةُ ﴿٢٥﴾ مَا الْخَافَةُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَافَةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: 1-3]، وقوله: ﴿الْفَارِغَةُ ﴿٢٨﴾ مَا الْفَارِغَةُ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِغَةُ ﴿٣٠﴾﴾ [القارعة: 1 - 3].

د - قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾، أضاف الله تعالى النار إلى نفسه سبحانه، وهذه إضافة تعظيم، كقوله تعالى: ﴿ءَايَتِ اللَّهِ﴾ و﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾.

هـ - وقوله تعالى: ﴿الْمَوْقَدَةُ﴾ : على وزن مفعلة، وهذه

الصيغة من صيغ اسم المفعول<sup>(1)</sup>. ومن المعلوم أن هذه الصيغة تدل على الوقوع عليه الفعل، فهي إذن نار ويوقد عليها، والإيقاد إنما يكون بالنار، وهذا من الغرائب كيف يوقد على النار، وهي التي يوقد بها لا عليها، ولكن نار جهنم من شدة نارها وحرارتها يوقد عليها حتى لا تخبو وتضعف، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

و - ﴿أَلَيْ تَتْلُجُّ عَلَى الْآفِتُونِ﴾: من شدة حرارة جهنم أنها لا تحرق الأبخار والجلود فقط، بل يصل حرقها ونارها وحرارتها إلى القلب والفؤاد.

ز - ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّاتٌ ۖ فِي عَمَدٍ مُّ مُّدَدَةٍ ۚ﴾: من شدة عذابها أنها محكمة الغلق موصدة الأبواب ممددة الأعمدة والأسوار، لا منجأ منها ولا مهرب ولا مفر<sup>(2)</sup>.

## 2 - إحاطة النار بأهلها:

قال تعالى: ﴿هَذَا وَابٌّ لِلطَّاغِيَةِ لَشَرِّ مَقَابٍ ۖ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فِئَسَ إِلَهِائِ ۖ﴾ [ص: 55-56]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۖ﴾ [الأعراف: 41].

المهاد: المكان الممهّد، الموطأ<sup>(3)</sup>، وهو الفراش، وهذا يكون

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 495.

(2) المصدر نفسه، ص: 495.

(3) المفردات للراغب، ص: 78.

من تحتهم، ومهادهم من جهنم. وغواش: جمع غاشية، أي: نيران تغشاهم<sup>(1)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمْ أُنَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿بَسْمَلُوكَ بِالْمَدَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [يَوْمَ يَفْسَلُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ تَوَفِّيهِمْ وَنَحْبِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] [النكبات: 54، 55].

- وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ تَوَفِّيهِمْ طَلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْيِيهِمْ طَلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَتَّبِعُوهُ فَالْتَقُوا﴾ [الزمر: 16].

الظلل: جمع ظلة، والظلة سحابة تظل، كغرف وغرفة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنْتُمْ ظَلَةٌ﴾ [الأعراف: 171]. وقوله: ﴿عَذَابٌ يَوْمِ الظَّلَاةِ﴾ [الشعراء: 189]. وهذه الظلل من نار<sup>(2)</sup>.

### 3 - قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم:

أعد الله تعالى لأهل النار أغلالاً وسلاسل وقيوداً ومطارق وأوثق بها أهل الكفر وثاقاً لا يمكن لأحد من العالمين أن يوثقه، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: 25، 26].

(1) تفسير القرطبي (7 / 133).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 496.

والأغلال جمع غل وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 33].

والأصفاد: جمع صفد وهو الغل، والأصفاد هي الأغلال.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49]. والسلاسل. معروفة. هي القيود من حديد.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرُّونَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِنَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [٦٧] إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ [٦٨] فِي اللَّيْسِ نَرَى فِي النَّارِ يَسْجَرُونَ [٦٩] ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتَ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ [٧٠] مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَوْ كُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: 69-74].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: 4]. وطول هذه السلسلة سبعون ذراعاً، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُجِيبَنَّ سَأْلَهُ [٦٧] ثُمَّ فِي سَلْسَلَةٍ دَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْأَلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 31، 32]. وطول السلسلة لا يستغرب ولا يشكل لأن الكافر يكبر حجمه في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد<sup>(2)</sup>، والمقامع هي المطارق، ومقامع أهل النار من مادة الحديد حتى يكون وقعها أشد، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَاقِيعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [٦٨] كَلَّمَ

(1) المفردات للراغب، ص: 610 بتصرف.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 497.

أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ ﴿٢١﴾  
[الحج: 21 . 22]. أي كلما أراد أحدهم الخروج من النار ضرب بالمقمع فيهبى مرة أخرى في النار.

#### 4 - قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم:

قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ الَّذِي تَخْلُقُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ هُوَ اللَّهُ فَاعْبُدُوهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الصافات: 22، 23].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّونَ﴾ ﴿٢٤﴾ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ آيَةً لَّالِهَةٌ مَا وَرَدُّهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: 98، 99].

لما عبد الكفار الآلهة من دون الله، واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه عرقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لهم وإذلالاً، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم، فإن الإنسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرتة<sup>(1)</sup>، ومن أجل ذلك يقذف يوم القيامة بالشمس والقمر في النار، ليكونا مما توقد به النار، تبكيتاً للظالمين الذين يعبدونهما من دون الله ففي الحديث: الشمس والقمر مكوران في النار<sup>(2)</sup>.

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم ليكون أشد لعذابهم.

(1) اليوم الآخر في القرآن، العظيم والسنة المطهرة، ص: 499.

(2) تفسير ابن كثير (3 / 213).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْشِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۖ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ۖ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ۖ﴾ ﴿٧٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۖ﴾ ﴿٧٩﴾ [الزخرف: 36-39].

### 5 - سجون أهل النار:

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ۖ﴾ ﴿٧٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨٠﴾ [المطففين: 7، 8].

سجين فعيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فسيح وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۖ﴾ ﴿٨٠﴾ [المطففين: 8] أي أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب اليم<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»<sup>(2)</sup>.

### 6 - طعام أهل النار:

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة أنواعاً من طعامهم، وهي كالتالي:

(1) الفتح الرباني (7 / 77).

(2) سنن الترمذي، ص: 2493 حسن، صحيح.



أ. فهم يأكلون النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤). أي إنما يأكلون ما يأكلونه . في مقابلة كتمان الحق . ناراً تاجع في بطونهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: 10).

وقال رسول الله ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»<sup>(1)</sup>.

ب. الزقوم: من أشجار النار الزقوم، وهي شجرة لا نفع فيها، فهي لا ظل لها ينعمون به، ومنظرها بشع فطلعها كأنه رؤوس الشياطين وما الظن بشجرة تنبت في أصل الجحيم، وإنما القصد من وضع هذه الشجرة هو تعذيبهم بها فيأكلون من ثمرها ظناً منهم أنه ينفعهم فما يزيدهم إلا عذاباً، فإذا أكلوا بدأ يغلي في بطونهم، فيفزعون يبحثون عن الماء ليطفئ الغليان الذي في بطونهم فيشربون من ماء الحميم يكرعون منه كرعاً فيقطع أمعاءهم ويتضاعف العذاب عليهم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ ﴿١٧٥﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٧٦﴾ كَغَلْيِ الْحَبِيرِ ﴿١٧٧﴾ خَذُوهُ قَاعَ النَّارِ إِلَىٰ سَوَاءٍ

(1) البخاري، رقم: 5311.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 447.

الْحَجِيمِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ سُبُوا قَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَجِيمِ ﴿١٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ [الدخان: 43-49].

المهل: قيل هو عكر الزيت<sup>(1)</sup>، وقيل النحاس المذاب<sup>(2)</sup>، فيبدأ يغلي في بطنه كما يغلي الحميم وهو الماء الحار.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَ الْأَعْلَوْنَ الْكَذِبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُورٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْقَوْا مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الزَّيْنِ ﴿[الواقعة: 51-56]﴾. فقله: ﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿[الواقعة: 54]﴾ أي: على الزقوم ليطفا غليانه، و«الهميم» هي الإبل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال هائم وهائمة، والهميم: داء يأخذ الإبل فلا ترى أبداً حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَذَلَّكَ حَيْرٌ نُزْلاً أَمْ سَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ ﴿١٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كُفُونَ مِنْهَا فَأَلْقَوْا مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿[الصفافات: 62-68]﴾. فبعد شربهم من الحميم يرجعون مرة أخرى إلى النار، فهذا حالهم من شجر الزقوم مرة أخرى، وهكذا كأنه في طواف، قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ ذَيْنِ حَمِيمٍ ؕ

(1) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص: 781.

(2) تفسير القرطبي (16 / 100).

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 447.

﴿١١﴾ [الرحمن: 43، 44]. والحميم الآن: هو الماء الذي بلغ أقصى حرارته<sup>(1)</sup>.

ج - الغسلين: قال تعالى: ﴿فَلْيَسِّرْ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَيْمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غُسْلَيْنِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: 35-37].

الغسلين: غَسالة أبدان الكفار في النار<sup>(2)</sup>، وهو الدم والماء الذي يسيل من لحومهم<sup>(3)</sup>.

د - الضريع: قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسَيِّرُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الناشئة: 6، 7].

الضريع: نبات في الحجاز له شوك كبار، يقال له: الشريق، فإذا يبس قيل له: الضريع.

هـ - طعام ذو غصة: قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١١﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: 12، 13].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شوك يأخذ بالخلق لا يدخل ولا يخرج<sup>(4)</sup>.

## 7 - شرابهم:

أ - الحميم: وهو الماء المغلي شديد الحرارة<sup>(5)</sup>. قال

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 448.

(2) اليوم الآخر د. المطيري، ص: 502.

(3) البدور السافرة للسيوطي، ص: 493.

(4) صفة النار، لابن أبي الدنيا، ص: 64.

(5) المفردات للراغب، ص: 254، لسان العرب (12 / 153).

تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70]. وقال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ بِطُورَيْنِ يُتَنَبَّأُ بِهِنَّ رِبِّيَّ حَمِيمٍ مَّاوَى ﴿١٧﴾ [الرحمن: 43، 44]. أي: بلغ وقته من شدة الحر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَّاوَى﴾ ﴿٥﴾ [الناثية: 5].

قال تعالى: ﴿فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ وَطَلَّ مِنْ بَحْمُورٍ ﴿١٧﴾ لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة: 42، 44]. قوله ﴿سَمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ أي: هواء حار، وماء حار، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿١٨﴾ [النبا: 24، 25].

وهذا الحميم إذا شربوه قطع أمعاءهم كما قال سبحانه: ﴿كَانَ هُوَ خَلْقًا فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمَّد: 15].

وإذا لم يشربوه صب فوق رؤوسهم فتصهر جلودهم وما في بطونهم، قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَصَبَانِ خَصَصْنَا لَكُمْ فِي رِيحٍ مَّاوَى فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿١٧﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٨﴾ [الحج: 19، 20].

وقال ﷺ: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه»<sup>(١)</sup>.

ب - ماء الصديد: قال تعالى: ﴿مِنْ دَلَّاهٍ جَهَنَّمُ وَسُقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ يَنْجَرَعُهُمْ وَلَا يَكَاذُ يُسِفُّهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ

مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَسْتَرٍ وَنَزَّاهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٦﴾ [إبراهيم: 16-17].

الصديد: هو القيقح والدم<sup>(1)</sup>. ولا يزال هذا الصديد يكثر خروجه من أهل النار حتى يصبح نهراً يسمى نهر الخبال.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»، قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار<sup>(2)</sup>.

ج - ماء كالمهل: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَفْأُتُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29]. المهل: دردي الزيت، وهو ما يبقى في أسفله<sup>(3)</sup>، فهو ماء ثقيل، يختلف عن الحميم.

د - الغساق: قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٧﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿١٨﴾﴾ [النبا: 24، 25].

وقال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: 57، 58].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 504.

(2) سنن الترمذي، الأشربة، رقم: 1862، صححه الألباني في صحيح الترمذي (2/ 169).

(3) لسان العرب (3 / 166).

أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾، أي: وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده يعاقبون بها<sup>(1)</sup>.

وعن مجاهد قال: الغساق الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده<sup>(2)</sup>. وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: 24، 25]. قال: استثنى من الشراب: الحميم، ومن البارد: الغساق<sup>(3)</sup>.

## 8 - لباس أهل النار:

بعد أن يحشر الناس حفاة عُراة يلبسون لباساً وهذا اللباس ليس لستر العورة، ولا للزينة لأنه لباس مقطع ممزق، بل لباس لزيادة العذاب فهو لباس من نار، قال تعالى: ﴿هَٰذَا خِطْمَانٌ اتَّخَذْتُمُ مِنْ رِيحٍ مُطَهَّرَةٍ كَأَنَّهُمْ شَبَّحُوا بِرِيحٍ كَرْهًا﴾ [الحج: 19، 20].

قوله: قُطِّعَتْ يعني ليست مفصلة على جسمهم، بل هي مقطعة ممزقة وكان إبراهيم التيمي إذا قرأ هذه الآية يقول سبحان من قطع من النيران ثياباً<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ يُتَّقَىٰ وَجُوهُهُمْ آتَنَارٌ﴾ [إبراهيم: 50].

(1) تفسير ابن كثير (4 / 41).

(2) البدور السافرة، للسيوطي، ص: 441.

(3) المصدر نفسه، ص: 441.

(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

السراويل: جمع سربال، والسربال هو القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال<sup>(1)</sup>.

والقطران: النحاس المذاب<sup>(2)</sup>، فلباسهم من نحاس مذاب، والنحاس لا يكون مذاباً حتى يحمي عليه ويكون في الغاية من الحرارة والغليان.

وعن أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»<sup>(3)</sup>.

## 9 - صور من عذابهم:

أ - إنضاج الجلود: إن نيران الجبار تحرق جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبذل لهم جلوداً أخرى غير تلك التي احترقت لتحترق من جديد<sup>(4)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْآلَهُ مِنْ زَيْكُرٍ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

(1) لسان العرب (11 / 335).

(2) البعث والنشور للبيهقي، ص: 284.

(3) مسلم، ك الجنائز، رقم: 934.

(4) اليوم الآخر، للأشقر، ص: 97.

فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَفْأُتُوا يَمَآؤُ  
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: 29].

ب - الصهر: من ألوان العذاب صب الحميم فوق رؤوسهم  
والحميم هو ذلك الماء الذي انتهى حره، فلشدة حره تدوب أمعاؤهم  
وما حوته بطونهم، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ ثِيَابٌ مِنْ  
نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٢٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ  
﴿٣٠﴾﴾ [الحج: 19، 20].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ  
الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق  
من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان»<sup>(١)</sup>.

ج - اللفح: أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا  
الرسول ﷺ عن ضرب الوجه ومن إهانة الله لإهل النار أنهم يحشرون  
في يوم القيامة على وجوههم عمياً وصماً وبكماً، قال  
تعالى: ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً وَأَوْتَتْهُمْ جَهَنَّمُ  
كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعيراً﴾ [الإسراء: 97].

ويلقون في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ جَاءَ بِالسِّتَةِ  
فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل:  
90].

ثم أن النار تلفح وجوههم وتغشاها أبداً لا يجدون حائلاً

(1) سنن الترمذي، رقم: 2582، حسن، صحيح غريب.



يحول بينهم وبينها، قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفَّرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء: 39].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٥٢] تَلْفَحُ وُجُوهُهمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ [١٥٣] [المؤمنون: 103، 104].

في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهمُ النَّارَ﴾ يجرفها، واللفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه، وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار، وهو السر في تقديمها على الفاعل<sup>(١)</sup>، ثم إن وجوههم تعلوها وتحيط بها وتسعر أجسامهم المسربلة بالقطران<sup>(٢)</sup> قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [١٩] سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهُهمُ النَّارُ [إبراهيم: 49-50].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهمُ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [١٦٦] [الأحزاب: 66].

إنه مشهد بائس أليم حين تغشاهم النار من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال<sup>(٣)</sup>.

(1) تفسير أبي السعود (6 / 151).

(2) القطران: النحاس المذاب، غريب القرآن، ص: 407.

(3) في ظلال القرآن (5 / 2883).

د - السحب: ومن أنواع العذاب الأليم سحب الكفار في النار على وجوههم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۗ﴾ [القمر: 47، 48].

ويزيد في آلامهم إهانتهم حال سحبهم في النار أنهم مقيدون بالقيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْخِطُونَ فِي آبَاءِ آبَائِكَ أَنَّهُمْ بَصَرُونَ ۚ﴾ [الزمر: 16] الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ إِذِ الْأَغْطَلُ فِي أَغْطَلِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٦﴾ فِي السَّيْرِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْحَرُونَ ﴿٧٧﴾ [غافر: 69، 72] قال قتادة: يسحبون مرة في النار وفي الحميم مرة<sup>(1)</sup>.

هـ - تسويد الوجوه: ومن ألوان عذاب الحياة الآخرة تسويد الوجوه، وذلك لما ترى من سوء العاقبة وما يحل بها من النكال والوبال، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ﴾ [آل عمران: 6]. كأنما ألبست وجوههم قطعاً من أديم الليل حال كونه حالكاً مظلماً لا بصيص فيه من نور القمر الطالع ولا النجم الثاقب، فتشقها قطعة بعد قطعة، فصارت ظلمات متراكمة فوق بعض<sup>(2)</sup>.

ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ بِعَاصِرٍ ۖ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَاطٍ مُظْلِمٍ ۚ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ [يونس: 27]. ونحو الآية قوله

(1) الحياة في القرآن الكريم (1 / 286).

(2) تفسير المراغني (4 / 96).

تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَاتِهِ﴾ ﴿١٤﴾ تَقُولُ أَنْ يُقَالَ بِمَا قَافِرَةٌ ﴿١٥﴾ [القيامة: 24، 25].

تلك وجوه أهل النار التي تغشاها ظلمة وانكدار، ويبدو عليها مضض<sup>(1)</sup>، وإرهاق، فإنها ليست كالحة فحسب، ولكن يخالجها التوجس<sup>(2)</sup>، أن تنزل بها داهية تقصم<sup>(3)</sup> الفقار<sup>(4)</sup>، والتوجس شر من وقوع العذاب<sup>(5)</sup>.

و - اندلاق الأمعاء في النار: في الصحيحين عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمر بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية<sup>(6)</sup>». ثم يدور ويسعى حولها كما يدور الحمار برحاه.

ز - حيات جهنم: في النار حيات يعذبن أهلها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَبْزُتُ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180].

(1) المضض: وجع المصيبة، لسان العرب (7 / 233).

(2) التوجس: التسمع إلى الصوت الخفي.

(3) القصم: كسر الشيء.

(4) الفقار: الظهر.

(5) الحياة في القرآن الكريم (1 / 287).

(6) متفق عليه مشكاة المصابيح (2 / 642)، رقم: 2139.

وهذا الطوق عبارة عن ثعبان في رقابهم، كما فسرنا بذلك النبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله يوم القيامة في عنقه شجاعاً»، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقال مرة: قرأ رسول الله ﷺ مصداقه: ﴿سَيَطْرَفُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ «من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين لقي الله وهو عليه غضبان»، ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ...﴾<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً»<sup>(2)</sup> أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهم اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة»<sup>(4)</sup>.

(1) سنن الترمذي، رقم: 3012، حسن، صحيح.

(2) الشجاع: الحية الذكر والأقرع الذي تفرع رأسه.

(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1338.

(4) الإحسان، لابن حبان، رقم: 7417، صححه ابن حبان.

ح - كثرة أهلها: النار أهلها كثيرون وقد دل على ذلك كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع وهي:

- قوله تعالى: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] .

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13] .

- وقال تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [الأنفال: 84-85] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول أخرج بعث النار، قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ﴿وَوَرَى النَّاسَ سُكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، قالوا: يا رسول الله، وإينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»<sup>(1)</sup>.

(1) البخاري، ك أحاديث الأنبياء، رقم: 3170.

رابعاً، مطالب أهل النار في الآخرة،

مطالب أهل النار في الآخرة هي:

### 1 - طلب الفداء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِوَمِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَكِنْ عَذَابُ أَلِيمٍ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 36، 37].

إن أقصى ما يتصوره الخيال على أساس الافتراض: هو أن يكون للذين كفروا كل ما في الأرض جميعاً، ولكن السياق يفترض لهم، ما فوق الخيال في عالم الافتراض، فيفرض أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه، ويصورهم يحاولون الافتداء بهذا وذلك لينجوا به من عذاب يوم القيامة ويرسم مشهدهم وهم يحاولون الخروج من النار ثم عجزهم عن بلوغ الهدف وبقاءهم في العذاب الأليم المقيم، إنه مشهد مجسم ذو مناظر وحركات متواليات، منظرهم ومعهم ما في الأرض ومثله معهم، ومنظرهم وهم يعرضونه ليفتدوا به ومنظرهم وهم مخبيوا الطلب غير مقبولي الرجاء، ومنظرهم وهم يدخلون النار، ومنظرهم وهم يحاولون الخروج منها، ومنظرهم وهم يرغمون على البقاء، ويسدل الستار ويتركهم مقيمين هناك<sup>(1)</sup>.

(1) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب محمود بخيت، ص: 18 في ظلال القرآن سيد قطب (2 / 882).

- قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخَيْرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: 18]. أي: من مات فلن يقبل منه خيراً أبداً ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهباً لو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهباً بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: 10].

والأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية ولكنهما لا يغنيان شيئاً في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه لأنه لا خلاف لميعاد الله وهم فيه ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ بهذا التعبير الذي يسلبهم كل خصائص الإنسان ومميزاته ويصورهم في صورة الحطب والخشب وساء... ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ لا بل إن الأموال والأولاد ومعهما الجاه والسلطان لا تغني شيئاً في الدنيا<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47، 48].

(1) تفسير ابن كثير (1 / 280).

(2) في ظلال القرآن (1 / 373)، مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة رجب بخيت،

إنه الهول الملفوف في ثنایا التعبير الرهيب، فلو أن لهؤلاء الظالمين، لو أن لهؤلاء ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما يحرصون عليه ﴿وَيَسْأَلُكُمْ مَعَكُمْ﴾ لقدموه فدية مما يرون من سوء العذاب يوم القيامة. وهول آخر يتضمنه التعبير الملفوف ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ولا يفصح عما بدا لهم من الله ولم يكونوا يتوقعونه. لا يفصح عنه ولكنه هكذا هائل مذهل مخيف، فهو الله الذي يبدو منه لهؤلاء الضعاف ما لا يتوقعون هكذا بلا تعريف ولا تحديد ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

وهذه كذلك تزيد الموقف سوءاً، حين يتكشف لهم قبح ما فعلوه، وحين يحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والنذير وهم في ذلك الموقف الأليم<sup>(1)</sup>.

## 2 - طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ وَقَعْنَا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْلُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ يَتَابَت رَيْبًا وَكَوْنٌ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 27-28].

وفي قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، إن الله يعلم طبيعتهم ويعلم إصرارهم على باطلهم ويعلم أن رجفة الموقف الرهيب الرعب على النار هي التي انطقت ألسنتهم بهذه الأمانى وهذه الوعود ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ

(1) في ظلال القرآن (5 / 3056).



وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ ويدعهم السباق في هذا المشهد البائس وهذا الرد يصفع وجوههم بالمهانة والتكذيب<sup>(١)</sup>.

- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ  
نَسُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ  
نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾ [الأعراف: 53].

﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾: أي: يوم القيامة، وما وعدوا به من  
العذاب والنكال والجنة والنار<sup>(٢)</sup>.

- قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾  
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزُخٌ  
إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ [المؤمنون: 99، 100]، إنه مشهد الاحتقار  
وإعلان التوبة عند مواجهة الموت وطلب الرجعة إلى الحياة لتدارك  
ما فات والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال وكأنما المشهد  
معروض اللحظة للأنظار مشهود كالعيان، فإذا الرد على هذا الرجاء  
المتأخر لا يوجه إلى صاحب الرجاء إنما يعلن على رؤوس الأشهاد  
﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ كلمة لا معنى لها ولا مدلول وراءها ولا  
تنبغي العناية بها أو بقائلها، إنها كلمة الموقف الرهيب لا كلمة  
الإخلاص المنيب، كلمة تقال في لحظة الضيق ليس لها في القلب  
رصيد وبها ينتهي مشهد الاحتضار، وإذا الحواجز قائمة بين قائل هذه  
الكلمة والدنيا جميعاً، فلقد قضي الأمر وانقطعت الصلات وأغلقت

(1) في ظلال القرآن (2 / 1067-1068).

(2) تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 35.

الأبواب وأسدت الأستار ﴿وَمِنَ الَّذِينَ بَرَزُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَوْنَ﴾ فلا هم من أهل الدنيا ولا هم من أهل الآخرة إنما في ذلك البرزخ إلى يوم يبعثون<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧) قَالَ انْصَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فِرْقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا سَأَلْنَا فَأَغْوَيْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِرَاجًا وَحَّىٰ أَنْتَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿[المؤمنون: 106-111].

وأحسن ما قيل في معنى ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: 106] غلبت علينا أهواؤنا ولذاتنا فسمى الأهواء واللذات شقوة لأنهما يؤديان إليهما ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ أي: كنا فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذار منهم إنما هو إقرار، ويدل على ذلك قولهم: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٧) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿طلبوا الرجعة إلى الدنيا كما طلبوا عند الموت فَإِنْ عُدْنَا إلى الكفر فَإِنَّا ظَالِمُونَ لأنفسنا بالعودة إليه؛ فيجابون بعد ألف سنة ﴿انْصَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، أي: أبعادوا في جهنم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا

(1) مطالب الظالمين، ص: 38، في ظلال القرآن (4 / 2480. 2481).

(2) تفسير القرطبي (6 / 102. 103)، مطالب الظالمين، ص: 40.

رَبَّنَا آخِرَنَا إِلَٰهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَٰئِكَ نَكُودُونَ  
أَقْسَمْتُمْ يَوْمَ قَبْلُ مَا لَكُمْ يَوْمَ زَوَالٍ ﴿٤٥﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاجِدِ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ  
﴿٤٦﴾ [إبراهيم: 44، 45] .

أُنذِرهم يوم يأتِيهم ذلك العذاب المرسوم آنفاً فيتوجه الذين  
ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ الآن وقد كانوا يكفرون  
به من قبل ويجعلون له أنداداً ﴿آخِرَنَا إِلَٰهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ يُجِبْ دَعْوَتَكَ  
وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب كأنهم  
ماثلون شاخصون يطلبون وكأننا في الآخرة قد أنطوت الدنيا وما كان  
فيها، فهذا هو ذا الخطاب يوجه إليهم من الملائكة الأعلى بالتبكي  
والتأنيب والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة. ﴿أُولَٰئِكَ نَكُودُونَ  
أَقْسَمْتُمْ يَوْمَ قَبْلُ مَا لَكُمْ يَوْمَ زَوَالٍ﴾ فكيف ترون الآن؟ زلتم يا  
تري أم تزولوا؟ ولقد قلتم قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصة  
أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصيرهم المحتوم ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي  
مَسَاجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ  
وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ فكان عجباً أن تروا مساكن الظالمين أمامكم  
خالية منهم وأنتم فيها خلفاء، ثم تقسمون مع ذلك ﴿مَا لَكُمْ يَوْمَ  
زَوَالٍ﴾، وعند هذا التبكي ينتهي المشهد، ندرك أين صاروا وماذا  
كان بعد الدعاء وخيبة الأمل وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع  
كل حين فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين سكنوا من  
قبلهم وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم. ثم هم يطغون بعد ذلك  
ويتجبرون ويسيروا حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين، فلا تهز  
وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها والتي تتحدث عن تاريخ

الهالكين وتصور مصائرهم للناظرين، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ويلحقون بهم، وتخلوا منهم الديار بعد حين<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِشُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 36، 37].

﴿وَهُمْ يَصْطَرِشُونَ فِيهَا﴾ يتصارخون يفتعلون الصراخ وهو الصباح بجهد وشدة ويجارون إلى الله ﷻ بأصواتهم<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَأَنذِرُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا قَرَرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ بِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنتُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: 55، 59] في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا قَرَرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 56] أي: يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المؤمنين المخلصين المطيعين لله<sup>(3)</sup>.

(1) ظلال القرآن (4 / 2112)

(2) مطالب الظالمين، ص: 45-46.

(3) المصدر نفسه، ص: 47.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَرَفَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوكَ هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلِ ۖ﴾ ﴿١٥﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿١٦﴾ [الشورى: 44، 45].

الظالمون كانوا طغاة بغاة فناسب أن يكون الذل مظهرهم البارز في يوم الجزاء.

إنهم يرون العذاب فيتهاوى كبرياؤهم ويتساءلون في انكسار ﴿هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ في هذه الصيغة الموجبة باليأس مع اللفظة والانهيار مع التطلع إلى بارقة للخلاص وهم يعرضون على النار ﴿خَشِيعِينَ﴾ لا من التقوى ولا من الحياء ولكن من الذل والهوان، وهم يعرضون منكسي الأبصار لا يرفعون أعينهم من الذل والعار ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وهي صورة شاخصة ذليلة، وفي ظل هذا المشهد يوجه الخطاب إلى المعاندين المكابرين ليستجيبوا لربهم قبل أن يفاجئهم مثل هذا المصير فلا يجدون لهم ملجأ يقيهم ولا نصير ينكر مصيرهم الأليم<sup>(١)</sup>.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ﴾ ﴿١٧﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا الَّذِي نَذَرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَآكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون: 9، 11].

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: 12-14].

### 3 - طلب الانتقام من الأولياء:

قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّغَتْ لَهَا أُخْبِتُ أَهْلَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَيْمًا قَالَتْ أَخْرِجْنَاهُ لَأُولِنَهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاصْنَعْ لَنَا عَذَابًا يُضَعِفُ بَيْنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُولِنَهُمْ لَأَخْرِجْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ عِلَّةٌ مِّنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: 38-39].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَيْمًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم واجتمع قاصيهم بدانيهم بدأ الخصام والجدال<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿هَٰذَا وَادٍ لِلظَّالِمِينَ لَشَرٌّ مِّنَ آبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا يَلْسُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوا حَيْبُ وَعَاقٍ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِن شُكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا يَوْمَ يُنَادُوا لِلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا لَوْلَا أُنتَرِ لَا مَرْجَا يَكُورُ أُنتَرِ قَدْ شَأْنُهُمْ لَّا يَلْسُ الْفَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَرَدَّ عَذَابًا يُضَعِفُ فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: 55-61].

(1) مطالب الظالمين، ص: 65.

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَلَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا هُمْ خَيْرٌ مِّنَّا إِنَّمَا اتَّخَذُوا مَنَافِعَ مَنَّا وَكَلَّابًا﴾ [الأنفال: 29].

وفي قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا﴾ أي: الشياطين على ضربين: جني وإنسي<sup>(1)</sup>.

وترى الحق والتحرق على الانتقام في قولهم: ﴿تَجْعَلُهُمَا نَجَّةً أَقْدَامَنَا إِلَى كُفْرَانَا﴾ [الأنفال: 29].

وذلك بعد المودة المخادنة والوسوسة والتزيين، هذه صلة الوسوسة والإغراء<sup>(2)</sup>.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأنفال: 29] خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٣٠﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا بَنَاتِنَا أَلَمَنَّا اللَّهُ وَأَلَمَنَّا الرُّسُلَا ﴿٣١﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٣٢﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ فِي عَذَابٍ مُّتَسَاوِينَ ﴿٣٣﴾ أَلَعَلَّاهُمْ كَذِبًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: 64 - 68].

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخُذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَصِبِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [الأنفال: 25] إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَفَتِ فِيهِمُ الْأَنْسَابُ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَنَتَّبِعَ لِمِثْلِهِ مَنَّا كُنَّا نَتَّبِعُهُ لَئِن كُنَّا نَدْرِي أَنَّ اللَّهَ أَعْمَلُهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ [البقرة: 165-167].

(1) مطالب الظالمين، ص: 70.

(2) في ظلال القرآن (5 / 3120).

أولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً فظلموا الحق وظلموا أنفسهم. لو مدوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد، لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين، لو يرون لراوا أَنَّ الْقُوَّةَ لَهِ جَمِيعاً، فلا شركاء ولا أنداد ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾.

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين وراوا العذاب، فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً، وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها وعجزت عن وقاية أنفسهم، فضلاً عن وقاية تابعيها وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [البقرة: 167] وتبدي الحنق والغيط من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة وتمنوا لو يردون لهم الجميل لو يعودون إلى الأرض فيتبرأون من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب. إنه مشهد مؤثر مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين بين المحبين والمحبوبين وهنا يجيء التعقيب الممضي المؤلم ﴿كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167]<sup>(1)</sup>.

#### 4 - طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء :

قال تعالى: ﴿وَيَبْرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَاتُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

(1) في ظلال القرآن (1 / 153 ، 154).



كُنَّا لَكُمْ بَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ  
هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجَبٍ ﴿٦١﴾  
وَقَالَ السَّيِّئُونَ لَمَا فُضِنَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدُكُمْ  
فَأَنفَلْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا  
تَلُومُونِي وَاتَّبِعُوا أَوْسَاكُمْ مَا أَنَا بِمُفْرِغِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُغْرِغِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ  
بِمَا أَتْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ [إبراهيم: 21-22].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُفْرِغِكُمْ﴾ أي: بنافعكم ومنقذكم  
ومخلصكم مما أنتم فيه.

﴿وَمَا أَنَا بِمُغْرِغِكُمْ﴾ أي: بنافعي بلنقاذي مما أنا فيه من  
العذاب والنكال<sup>(١)</sup>. وقال القرطبي: فلا أنا بمغنيكم ولا أنتم بمغيثي،  
والصارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النصرة والمعانة، والمصرخ  
هو المغيث<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ  
﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا  
تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا فِتْنَتُنَا فَسَبِّحْهُمْ وَبَارِكْ لَهُمْ وَأَعِزَّهُمْ إِنَّكَ  
بِشَيْءِكُمْ قَدِيرٌ ﴿٦٤﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ  
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الفصل: 62-64].

في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ والله يعلم  
أنه لا وجود اليوم لهؤلاء الشركاء وأن أتباعهم لا يعلمون عنهم شيئاً

(1) مطالب الظالمين، ص: 85.

(2) تفسير القرطبي (9 / 233 ، 234).

ولا يستطيعون إليهم سبيلاً، ولكنه الخزي والفضيحة على رؤوس  
 الأَشهاد ومن ثم لا يجيب المسؤولون عن السؤال فليس المقصود به  
 هو الجواب، إنما يحاولون أن يتبرأ من جريمة إغوائهم لمن وراءهم  
 وصددهم عن هدي الله، كما يفعل كبراء قريش مع الناس خلفهم  
 فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا  
 كَانُوا إِيَّانَا يَتَّبِعُونَ﴾ ربنا إنما لم نغوهم قسراً، فما كان لنا من  
 سلطان على قلوبهم إنما وقعوا في الغواية عن رضى منهم واختيار،  
 كما وقعنا نحن في الغواية دون إجبار تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ من جريمة إغوائهم  
 مَا كَانُوا إِيَّانَا يَتَّبِعُونَ، إنما كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً وخلقاً من  
 خلقك، ولم نجعل أنفسنا لهم آلهة ولم يتوجهوا إلينا نحن بالعبادة،  
 وفي قوله: ﴿وَرَأَوْا الْمَكَادِبَ﴾ رأوه في هذا الحوار ورأوه مائلاً  
 وراءه، فليس وراء هذا الموقف إلا العذاب، وهنا في اللحظة التي  
 يصل فيها المشهد إلى ذروته يعرض عليهم الهدى الذي يرفضونه  
 وهو أمنية المتمنى في ذلك الموقف المكروب وهو بين أيديهم في  
 الدنيا ولو أنهم إليه يسارعون لَوَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ  
 يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥١﴾ وَرَدَّ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ  
 مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرَفًا ﴿٥٢﴾﴾ [الكهف: 52 - 53].

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾.

(1) في ظلال القرآن (5 / 2706).

والمعنى: أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد الفريقين إلى الآخر، بل بينهم مهلك وهول عظيم وأمر كبير<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْتُواثِقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعُّوا أَنْفُكُمْ مَكِدُنَاكُمْ عَنِ الْمَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَظَ فِيَ أَغْنَاكِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبا: 31 - 33].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِنَّا دُونُهُمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِهَةً مَّا كُنْتُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَأَلَيْكُم بَعْضُكُمْ يَعْصِي نَفْسًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ أَلَيْ كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبا: 40 - 42].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرْنَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: 47، 48].

(1) مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة، ص: 95.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۚ﴾ ﴿٣٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَالِعِينَ ﴿٤٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٤١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَايُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ [الصافات: 27 . 34].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾، قال ابن عباس: يقولون: كنتم تقهروننا بالقدره منكم علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء<sup>(1)</sup>.

## 5 - طلب الخروج من النار:

قال تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ ۚ﴾ ﴿٤٥﴾ لَا يَخْتَصِرُوا الْيَوْمَ إِلَّا كَرُّ رَنَّا لَا نُصْرُونَ ﴿٤٦﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَلِكُمْ لَنَكْصُونَ ﴿٤٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٤٨﴾ [المؤمنون: 64 - 67].

وفي ﴿حَقَّقْ إِذَا أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ﴾ يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم:

﴿إِذَا هُمْ يَخْتَصِرُونَ﴾ أي: يصرخون ويستغيثون. ﴿فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَلِكُمْ لَنَكْصُونَ﴾، أي: إذا دعيتم أبيتم وإن طلبتم امتنعتم<sup>(2)</sup>.

(1) مطالب الظالمين، ص: 106.

(2) المصدر نفسه، ص: 116.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهَجُّرُونَ﴾، قيل مستكبرين بالبيت يقولون: نحن أهله سامراً وكانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه<sup>(1)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبَسَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يُنْفَخُ لَتِي لَرُ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: 27 . 29].

\* قال تعالى: ﴿كَرَّهْنَاكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنَّا بِهَذَا ﴿٣٠﴾﴾ [ص: 3].

ومعنى قوله: ﴿فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنَّا بِهَذَا﴾: نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم وأرادوا التوبة في غير وقتها<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا أَفَاجِبْنَا وَأَحْيَيْنَا أَفْتِنَا فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَسَّلُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: 11، 12].

وفي قوله: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾: فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا، فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا إلى أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن

(1) مطالب الظالمين، ص: 116، تفسير ابن كثير (3 / 257).

(2) تفسير ابن كثير (4 / 26)، مطالب الظالمين، ص: 127.

سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه، بل تمجه وتنفيه، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غانر: 12]. فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الدليل إيمانكم بالشركاء وكفركم بالوحدانية، فالحكم لله العلي الكبير، وهما صفتان تناسبان موقف الحكم. الاستعلاء على كل شيء، والكبر فوق كل شيء في موقف الفصل الأخير<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُمْ بِرَجْعَتِمْ ۝﴾ [السجدة: 20، 21].

#### 6 - طلب التخفيف من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۝ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ نَدْعُوا تِلْكَ تَأْيِيَكُمْ رُسُلَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝﴾ [غانر: 49، 50].

#### 7 - طلب القضاء عليهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ وِلَكِينَ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَقَادُوا بِمَنكَ يَلْقَىٰ عَلَيْنَا رَيْكٌ قَالَ إِنَّمَا تُكَلِّمُونَ ۝ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ۝﴾ [الزخرف: 74 - 78].

(1) في ظلال القرآن (5 / 3072).

## 8 - طلب سقيا الماء والطعام:

قال تعالى: ﴿وَأَذَىٰ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَنَّتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَذَىٰ أَصْحَابِ النَّارِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْخَبِيرَةُ الذِّبَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَابِدِينَ يَجْعَلُونَ﴾ [الأعراف: 48-51].

## 9 - طلب النور:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِن زُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِمٌ فِئهِ الرُّحْمَةُ يُظَاهِرُونَ مِن بَيْنِهِ الْعَذَابَ ﴿١٣﴾ يَنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانَةُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: 13، 14].

إن المنافقين والمنافقات في حيرة وضلال وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنِفِقُونَ وَالْمُنِفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِن زُورِكُمْ﴾، فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف، ولكن أتى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وعاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً يناديهم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، ويبدو أنه صوت للتهكم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا إلى ما كنتم تعملون، ارجعوا فالنور يلتمس النور،

وعلى الفور يُفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فهذا يوم الفصل إن كانوا في الدنيا مختلطين في الجماعة: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُمُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت منها، هم أولاء المنافقون ينادون المؤمنين ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾، فما بالنا نفترق عنكم؟ ألم تكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم في صعيد واحد<sup>(1)</sup>؟

﴿وَلِكُلِّكُمْ فِتْنَةٌ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ وَتَرْتَضَوْنَ مِنْهَا حَتَّى يَخْرُجَكُمْ مِنْهَا وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ﴾، أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات، وتربصتم أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت.

﴿وَأَرْبَبْتُمْ أَي: بالبعث بعد الموت.

﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأُمَاقِ﴾ أي: قلتم سيففر لنا وقيل: غرتكم الدنيا.

﴿حَقَّقَ جَاءَ أَشْرُ اللَّهِ﴾ أي: ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت. ﴿وَعَزَّيْتُمْ يَأْتِي الْفُرُودِ﴾ أي: الشيطان<sup>(2)</sup>.

خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار:

من الجرائم التي تدخل النار، الإشراف بالله تعالى، والتكذيب للرسول، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل،

(1) ظلال القرآن (6 / 3486).

(2) مطالب الظالمين، ص: 159.



واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، الفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك حرمانه، وخوف المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة في أي اعتقاد وعمل، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب للباطل، واستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، والسحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات<sup>(1)</sup>.

### سادساً، أكبر جرائم المخلدين في النار:

إن الذي يتدبر القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله ﷻ قد ذكر أسباب جرائم الخالدين الذين استحقوا بها الخلود في النار من أهمها:

#### 1 - الكفر والشرك :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

#### 2 - طاعة قرناء السوء :

قال تعالى: ﴿وَقَعَسْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَذَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 57، 58.

إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ أَعْدَاهُ اللَّهُ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿فصلت: 25-28﴾

### 3 - النفاق:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: 68].

- وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّكَ أَلْسَوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفتح: 6].

### 4 - الكبر:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الاعراف: 36].

- وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: 72].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الغافر: 75، 76].

## 5 - عدم القيام بالتكاليف الشرعية:

مع التكذيب بيوم الدين وترك الإلتزام بالضوابط الشرعية، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن أهل الجنة يسألون أهل النار قائلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ ﴿١٧﴾ فيجيبون قائلين: ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَوْ نَكُنْ نَاطِلُمْ أَلَيْسَ كَيْفَ ۖ﴾ ﴿١٩﴾ وَكُنَّا نَحْمُوسُ مَعَ الْخَافِضِينَ ۖ﴾ ﴿٢٠﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ۖ﴾ ﴿٢١﴾ حَتَّىٰ أَتَيْنَا آلَ يَتِيمٍ ۖ﴾ ﴿٢٢﴾ [المدر: 43، 47] <sup>(1)</sup>.

سابعاً، اشخاص بأعينهم في النار،

ذكر الله تعالى بعض الأشخاص بأعينهم وبين أنهم من أهل النار، ونحن - كمسلمين - لا نشهد لأحد بعينه أنه من النار إلا من شهد الله له ورسوله <sup>(2)</sup>، ومن هؤلاء:

## 1 - فرعون وجنوده:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَذْعُرُونَ إِلَى الْفِتَنِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۖ﴾ ﴿١١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَنفْسٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۖ﴾ ﴿١٢﴾ [الفصص: 41، 42].

- وقال تعالى: ﴿فَوَقَدْنَا لِلَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ﴾ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ﴾ [غافر: 45-46].

(1) الحياة في القرآن الكريم المحزون (1 / 269). اليوم الآخر، الجنة والنار للأشقر، ص: 55.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 466.

## 2 - قارون وهامان :

قال تعالى: ﴿وَقَرْنُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَافِكِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَامِيًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: 39، 40].

- وقال تعالى: ﴿لَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: 81].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَكَانُوا فَقَاؤًا سَجِرًا كَذَّابًا ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: 23-25]، فسامهم الله تعالى كافرين<sup>(1)</sup>.

## 3 - إبليس وابن آدم القاتل :

أما إبليس فالآيات كثيرة ودخوله النار من المعلوم بالدين بالضرورة، بل معلوم في جميع الأديان كمثل قوله تعالى: ﴿كَتَلَىٰ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ فَكَانَ عَنِيَّتَهُمَا أَنْهَمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: 16، 17].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 467.

- وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ  
بِكَ وَبِمَنْ تَرِيعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ [ص: 84-85].

#### 4 - امرأة نوح وامرأة لوط:

قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ  
لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ  
اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [التحریم: 10].

#### 5 - كفره الجن في النار:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ  
لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئَادٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ  
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ [الاعراف: 179].

- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ  
فَأُولَئِكَ نَجْزِي رَشْدًا﴾ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ﴿١٥﴾ [الجن:  
14، 15].

#### 6 - أحد أبناء نوح:

قال تعالى: ﴿وَهُنَّ قَبْرَىٰ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ  
وَكَانَ فِي مَعْرَظٍ يَبْنِئُ ارْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ  
سَارِقَةٌ إِنِّي جَبَلٌ يَقْصِفُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا  
مَنْ رَجَعُ وَمَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [هود: 42-43].

#### 7 - قوم نوح:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ

ءَامَنَ فَلَا يَتَّبِعُهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تُخَلِّطُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴿٦٧﴾ [هود: 36-37].

### 8 - قوم عاد:

قال تعالى: ﴿وَلَكَ عَادٌ جَمَدُوا بِنَايَتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُمُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِقَنَتٍ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ آلاَ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ [هود: 59-60].

### 9 - قوم ثمود:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيصٍ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيهَا آلاَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ [هود: 67-68].

فحكم الله عليهم بالكفر وقد قدمنا أن أصحاب الخلود في النار هم الكفار والمشركون<sup>(1)</sup>.

### 10 - قوم لوط:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّنْصُورٍ ﴿٨٧﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٨﴾ [هود: 82-83].

### 11 - قوم شعيب:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيصٍ ﴿٩١﴾ كَأَن لَّمْ يَتَّقُوا فِيهَا آلاَ بُعْدًا لِّمَنِينَ كَذَبُواْ كَمَا بُعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٢﴾ [هود: 94، 95].

- وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَّوْمِ الظُّلُمِ إِنَّكَ كَانِ عَذَابَ

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 472.

يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ [الشُّعَرَاءُ: 189] . وتكذيب الرسل من أنواع الكفر<sup>(1)</sup>.

## 12 - بنو النضير من اليهود:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿٢﴾ [الحشر: 3] .

وقد نزلت هذه الآية في يهود بني النضير لما خانوا الرسول ﷺ وأرادوا قتله بإلقاء الحجر عليه، ولكن الله تعالى عصمه منهم، فحاصرهم النبي ﷺ وأجلاهم<sup>(2)</sup>.

وهذا الحكم ليس خاصاً بيهود بني النضير، بل كل من سمع بدعوة النبي ﷺ من اليهود والنصارى ولم يسلم فهو في النار<sup>(3)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(4)</sup>.

## 13 - أبو لهب وامراته:

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ ﴿٥﴾﴾ [المسد: 1، 5].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 473.

(2) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص: 293.

(3) اليوم الآخر، الجنة والنار، ص: 473.

(4) مسلم، ك الإيمان، رقم: 153.

14 - الوليد بن المغيرة: وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَتَدُونًا ۖ وَيَنْبَغِي شُكْرًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَمْ تَهْوِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّكُمْ كَانُوا لَإِنْسَانًا عَائِدًا ۖ سَأُثَبِّتَهُمْ صَعُودًا ۖ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَفَرُوا ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَفَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأُتِلَىٰ سَعْرَ ۖ﴾ [المدرثر: 10، 26].

جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرضه لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو إنك كاره له، قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلو عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾<sup>(1)</sup>.

ومن أراد التوسع لمعرفة الأشخاص الذين بأعيانهم في النار فليراجع كتاب أهل النار، ليوسف الحاج أحمد<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر، اللجنة والنار، ص: 473.

(2) كتاب أهل النار ليوسف الحاج أحمد، ص: 269. 145.



## المبحث الثالث موانع إنفاذ الوعيد

تحدث العلماء عن أسباب سقوط العذاب في الآخرة وذكروها في موانع إنفاذ الوعيد والتي منها:

أولاً: التوبة، مانع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب، ودليل ذلك الكتاب والسنة،

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَمُودِي الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53] ، أي: لمن تاب<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38 ، 39].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﻻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»<sup>(3)</sup>.

وأما الإجماع: فقد اتفق العلماء أن التوبة من الكفر مقبولة ما لم يوقن الإنسان بالموت بالمعينة، ومن الزنا، ومن فعل فعلة قوم

(1) تفسير الطبري (24 / 17) تفسير ابن كثير (4 / 58).

(2) مسلم (4 / 2113).

(3) صحيح الجامع الصغير للآباني (1 / 386).

لوط، ومن شرب الخمر، ومن كل معصية بين المرء وربّه تعالى، مما لا يحتاج في التوبة إلى دفع مال، ومما ليس مظلمة للإنسان<sup>(1)</sup>. فالتوبة مانع شامل، يمنع إنفاذ وعيد جميع الذنوب كالكفر وما دونه، وهذا الشمول مختص بهذا المانع<sup>(2)</sup>. فالتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة<sup>(3)</sup>.

### ثانياً: الاستغفار:

دلت النصوص الشرعية على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد، ومن هذه النصوص:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النساء: 110].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 110].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 64].

(1) موانع إنفاذ الوعيد، د. عيسى السعدي، ص: 41.

(2) المصدر نفسه، ص: 41.

(3) منهاج السنة (3 / 180).

- وقال ﷺ: «أن عبداً أصاب ذنباً، وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت، وربما قال: أصبت، فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً، قال: رب أصبت ذنباً أو قال: أذنب آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثلاثاً، فليعمل ما شاء»<sup>(1)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(2)</sup>. فدلّت هذه النصوص المحكمة على أن الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً، الحسنات المأخوذة

دلّت نصوص شرعية كثيرة على أن الحسنات يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد السيئات، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [مُود: 114].

- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله

(1) البخاري، ك التوحيد (6 / 2725).

(2) مسلم، ك التوبة (4 / 2106).

(3) مواضع إنفاذ الوعيد، ص: 56.

حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن<sup>(1)</sup>.

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار»<sup>(2)</sup>.

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطايا من جسده حتى تخرج من أطقاره»<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يبقى من درنه؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا»<sup>(4)</sup>.

- وقال ﷺ: «من صام إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(5)</sup>.

- وقال ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(6)</sup>.

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/81).

(2) مسلم، ك الإيمان (1/58).

(3) مسلم، ك الطهارة (1/216).

(4) البخاري، ك مراقبت الصلاة (1/197).

(5) مسلم، باب الترغيب في قيام رمضان (1/524).

(6) البخاري، ك الحج، (2/553).

### رابعاً، دعاء المؤمنين،

النصوص الشرعية التي دلت على مشروعية الدعاء للمؤمنين، بالمغفرة والرحمة تدل قطعاً على انتفاع المدعو بدعاء إخوانه المؤمنين، ومن أهم مظاهر انتفاعه عدم إنفاذ وعيده بسبب دعاء المؤمنين واستغفارهم، ولا شك أن الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد المدعو له إذا لقي الله متلبساً بمكفر، كالشرك الأكبر والنفاق الأكبر لئن الله أخبر في كتابه بأنه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48] ، كما أن النصوص الشرعية دلت على تحريم الاستغفار المطلق والمقيد بفعل معين لمن لقي الله كافراً، فقد دل على تحريم الاستغفار المطلق قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ صَحَابُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] .

والمقصود من هذا كله أن تحريم الاستغفار بمختلف صورته لمن لقي الله كافراً، يدل من وجه آخر على أن طلب المغفرة وما في معناها لا أثر له البتة في إسقاط وعيده، كما أن الدعاء من حيث هو لا يترتب عليه أثره، إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه، ومن شروطه كون المطلوب جائز الطلب شرعاً، ومن موانعه الاعتداء في الدعاء، وحينئذ فطلب المغفرة وما في معناها لمن لقي الله كافراً لا يمكن أن يترتب عليه أثره لتخلف شرطه ووجود مانعه<sup>(1)</sup>.

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 100.

وأما الأدلة الشرعية على مشروعية الدعاء لأحياء المؤمنين وأمواتهم بالمغفرة والرحمة فمعناها:

- قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمّد

. [19]

- وقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] .

- وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]

- وقال ﷺ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلهم فصلوا عليه»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»<sup>(2)</sup>.

والشفاعة للميت . أي الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة . هي المقصود من هذه الصلاة أصالة، ولذلك أمر النبي ﷺ في صلاة الجنازة بإخلاص الدعاء للميت، فقد قال: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»<sup>(3)</sup>، ومن دعاء النبي ﷺ للميت في صلاة الجنازة، قوله ﷺ: «اللهم اغفر له وارحمه وعافه وأعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما

(1) البخاري، ك الجنائز (443/1).

(2) مسلم، ك الجنائز، باب: من صلى عليه أربعون (655/2).

(3) مسلم، ك الجنائز (2/662-663).

نقبت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «إن الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال: أخرت شفاعتي لأهل الكبائر»<sup>(2)</sup>.

فالاستغفار للمؤمنين وما في معناه إنما ينفع إنفاذ الوعيد ظناً لا قطعاً لأنه دعاء، والدعاء قد لا يستجاب، إما لتخلف شرط وإما لوجود مانع، وإما لحكمة إلهية لا نعلمها، ولكن جانب الإجابة أرجح لقوة دلالة النصوص، والعمل بالراجح مطلوب شرعاً، فينبغي الحرص على الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة، والاجتهاد في ذلك، فقد يعتق الله بدعائه كثيراً من أهل البلاء والمحنة في البرزخ أو في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: 85] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «اشفعوا تؤجروا»<sup>(3)</sup>.

والشفاعة الحسنة تشمل الشفاعة للناس في قضاء حوائجهم، والدعاء لهم بخير الدنيا والآخرة وغير ذلك، فمن شفع لينفع كان له نصيب من الأجر، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب أمّن الملك على دعائه، وقال: ولك بمثل<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك الجنائز (2/ 662 - 663).

(2) مجمع الزوائد للهيتمي (10/ 211). رواه البزار اسناده جيد.

(3) البخاري، ك الزكاة، رقم: 1432.

(4) تفسير القرطبي (5 / 295).

## خامساً، إهداء القربات،

دلت النصوص الشرعية على أن الجزاء ثواباً أو عقاباً إنما يترتب على عمل الإنسان وعلى ما هو من آثار عمله.

- قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:

164].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا

وَأَنزَلْنَاهُمْ﴾ [يس: 12]. أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي آثروها من بعدهم، فنجزهم على ذلك، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة،

فعمل بها من بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها من بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر

مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير ابن كثير (3 / 565).

(2) مسلم، ك العلم (4 / 2059).

(3) مسلم، ك العلم (4 / 2060).



- وقال ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(2)</sup>.

وأما عمل الآخرين وما نشأ عنه من آثار فإن مقتضى دلالة هذه النصوص عدم مؤاخذه الإنسان عليه إن كان شراً، وعدم استحقاق ثوابه إن كان خيراً، وقد نص على هذا المعنى صراحة قوله سبحانه: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَةً أَفَرَأَىٰ ۖ وَأَن لِّبَشَرٍ لِّلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: 38 . 39].

وهذه الآية الكريمة لا تعني أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، وإنما تعني أن الإنسان لا يستحق عمل غيره<sup>(3)</sup>، فظاهر الآية أن الإنسان ليس له إلا سعيه، وهذا حق، فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائماً يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم<sup>(4)</sup>، وقد دلت النصوص الشرعية على مطلق الانتفاع بعمل الآخرين ومن ذلك ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن

(1) البخاري، ك حديث الأنبياء (3 / 1213).

(2) مسلم، ك الوصية (3 / 1255).

(3) موانع إنقاذ الوعيد، ص: 113.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية (7 / 499).

تصدقته به عنها؟ قال: «نعم» قال: فإنني أشهدك أن حائطي المخراف<sup>(1)</sup>، صدقه عليها<sup>(2)</sup>. ومعنى: نفع الميت بالصدقة عنه، تنزيله منزلة المتصدق، بحيث تقع الصدقة نفسها عن الميت ويكتب له ثوابها<sup>(3)</sup>.

وهناك نصوص شرعية تدل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاط هذه الحقوق إجمالاً وتفصيلاً، أما الدليل الإجمالي فيما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها، قال: «نعم، حجي عنها، أ رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء»<sup>(4)</sup>، والحديث وإن ورد على سبب خاص، وهو الحج إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على المعتمد من أقوال أهل العلم، ولذلك قال ابن حجر: ويلتحق بالحج كل حق ثبت في ذمته، من كفارة أو نذر أو زكاة أو غير ذلك<sup>(5)</sup>.

وأما الأدلة التفصيلية فمنها:

- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»<sup>(6)</sup>.

(1) المخراف: المكان المثمر: والحائط: البستان.

(2) البخاري، ك الوصايا (3/1013).

(3) نهاية المحتاج للرملي (6/92).

(4) البخاري (2/657656).

(5) فتح الباري (4/66).

(6) البخاري، ك الصوم (2/690).

- وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: استفتى سعد بن عبادَةَ رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه، توفيت قبل أن تقضيه، قال رسول الله ﷺ: «فاقضه عنها»<sup>(1)</sup>.

- وعن بريدة رضي الله عنه، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أُمِّي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «وجب أجرك، وردها عليك الميراث»، قالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر فأصوم عنها؟ قال: «صومي عنها» قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: «حجي عنها»<sup>(2)</sup>. أما الحقوق التي للناس، كالدين فقد دل على الانتفاع بعمل الآخرين في إسقاطها النص والإجماع.

- أما النص فما رواه البخاري بسنده عن سلمه بن الأكوع، أن النبي ﷺ أتى بجنّازة ليصلي عليها، فقال: «هل عليه دين؟» قالوا: لا فصلّى عليه، ثم أتى بجنّازة أخرى فقال: «هل عليه دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلّوا على صاحبكم». قال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله، فصلّى عليه<sup>(3)</sup>.

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، أو من غير تركته، .. وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه،

(1) مسلم، ك النذر (3/1260).

(2) مسلم، ك الوصايا (2/805).

(3) البخاري، ك الكفالة (2/803).

كما يسقط من ذمة الحي<sup>(1)</sup>، ومن كل ما سبق يتبين أن النصوص الشرعية دلت على جواز إهداء القربات في الجملة<sup>(2)</sup>، وأن الميت يمكن أن ينتفع بكل ما يهدى إليه من قربات عدا القربات التي يتعين أن يفعلها العبد بنفسه، كالإيمان والتوبة<sup>(3)</sup>.

### سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر

الشفاعة المقبولة يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد المعين من أهل الكبائر ظناً لا قطعاً والشفاعة المقبولة هي التي انتظمت فيها شروط القبول، وهي ثلاثة:

- إذن الله في الشفاعة ودليله قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

- رضاه عن الشافع ودليله قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَمْ قَوْلًا﴾ [طه: 109]. أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن<sup>(4)</sup>.

- رضاه عن المشفوع له، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]. وأهل رضا الله هم أهل التوحيد، ولو كانوا أهل كبائر<sup>(5)</sup>.

(1) كتاب الروح، لابن القيم، ص: 165.

(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 117.

(3) المصدر نفسه، ص: 129.

(4) فتح القدير للشوكاني (3/ 387).

(5) المصدر نفسه (3/ 406).

وقد دل على هذه الشروط مجتمعة قوله تعالى: ﴿وَكُرِّمَ مَلَكٌ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي سَفَلَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضُّهُ﴾ [التجم: 26] ، أي الشافع والمشفوع له<sup>(1)</sup>.

#### سابعاً، المصائب المكفرة،

المصائب اسم جامع للآلام التي تلحق بالإنسان نفسية كانت أو عضوية وهذه الآلام إما أن تكون قدرية وإما أن تكون شرعية، أما الآلام القدرية فتتقسم باعتبار المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام:

- آلام دنيوية، كنقص الأموال والأنفس والثمرات.

- آلام برزخية، وهي ما يكون في القبر من الفتنة والضعطة والروعة.

- آلام أخروية، وهي ما يكون في عرصات القيامة من الأهوال والكربات والشدائد<sup>(2)</sup>.

وقد دلت النصوص الشرعية بعمومها على أن هذه الآلام مما يكفر الله به الخطايا ومن هذه الأدلة:

- قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة نصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها»<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير السعدي (5/191).

(2) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 160.

(3) البخاري ك المرضي (5/2137).

- وقال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب<sup>(1)</sup> ولا وصب<sup>(2)</sup> ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها»<sup>(3)</sup>.

- وقال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه، إلا أحط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»<sup>(4)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم»<sup>(5)</sup>.

- وقد ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن نفس المصائب مكفرات ومثيبات، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا عَمْدَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوِّتُ مَوَاطِنًا يَنْجِطُ الْكَافَرُ وَلَا يَنْالُونَ مِنْ عَذَابٍ نِيعًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: 120].

فرتب الله سبحانه الأجر على جملة أمور، منها ما هو من المصائب، كالنصب، فدل ذلك على أن الإنسان يؤجر على المصائب نفسها<sup>(6)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يشاك شوكة

(1) نصب: تعب.

(2) وصب: هو المرض.

(3) البخاري، ك المرضي (5/2137).

(4) البخاري، ك المرضي (5/2139).

(5) البخاري، ك الجنائز (1/422).

(6) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 157.

فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحبت عنه بها خطيئة<sup>(1)</sup>.

إن ما يحصل للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة من الآلام التي هي عذاب، فإن ذلك مما يكفر به خطاياها<sup>(2)</sup>.

وأما الآلام الشرعية فهي الحدود والتعزيرات لأنها زواجر وجوابر معاً، أما إنها زواجر عن ارتكاب المحظورات وترك المأمورات، فالأمر فيها ظاهر، ولذا قال الله تعالى في الزانية والزاني: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2] ، وذلك للتغليظ في زجرهما عن المعاودة، ولزجر الناس عن فعلهم، وأما إنها جوابر بمعنى أن مجرد فعلها مكفر للذنوب المعاقب دون حاجة إلى مكفر آخر فدليلة ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»<sup>(3)</sup>.

فدل الحديث على أن العقاب مكفر للذنوب بمجرد فعله وهذا يعم العقوبات الشرعية المقدرة وهي: الحدود، وغير المقدرة وهي التعزيرات<sup>(4)</sup>.

(1) مسلم، ك البر، (4 / 1991).

(2) مجموع الفتاوى (24 / 375).

(3) مسلم، ك الحدود (3 / 1333).

(4) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص: 161.

## ثامناً، العفو الإلهي،

دلت النصوص الشرعية المتواترة دلالة قطعية على أن الله تعالى عفوٌ غفور، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب منها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ﴾ [الرعد: 6] .

- وقال تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: 25] .

- وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15] .

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَغْفِرٌ غَفُورٌ﴾ [الحج: 60] .

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 43] .

وهذه النصوص، وما في معناها، تدل قطعاً على أن العفو الإلهي من موانع إنفاذ الوعيد<sup>(1)</sup>، ولكن لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعاً، ودليل هذا الأصل القرآن والسنة، فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72] .

وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندأ دخل النار»<sup>(2)</sup>.

(1) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 175.

(2) البخاري، ك، التفسير (4 / 1636)



ولا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة<sup>(1)</sup>.

والعفو الإلهي يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد أهل الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]، أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله<sup>(2)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدني المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه»<sup>(3)</sup>، فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرف، قال: فلإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم»<sup>(4)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(5)</sup>.

## المبحث الرابع الجنة

### أولاً، الطريق إلى الجنة:

إن بداية الطريق إلى الجنة هو أن تتذكر الغاية التي خلقنا الله

(1) فتح القدير (1 / 475) موانع إنفاذ الوعيد، ص: 176.

(2) تفسير الطبري (5 / 126).

(3) كنفه: ستره.

(4) مسلم، ك التوبة (4 / 2120).

(5) سنن الترمذي، ك الدعوات (5 / 548) إسناده حسن.

تعالى لأجلها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ (٥٧) [الذاريات: 56، 57].

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم، وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك»<sup>(١)</sup>.

فإن الله ﷻ ما خلق العباد إلا لغاية واحدة وهي أن يعبدوه سبحانه وهذا يقتضي أن يحرص العبد أن تكون كل أعماله بل كل حياته عبادة لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١٦) لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢١٧) [الأنعام: 162، 163].

والعبادة الشاملة المطلوبة هي ألا تتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل تفعله من عند نفسك، قبل أن تعلم حكم الله وحكم الرسول ﷺ فيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٣) [الحجرات: 1].

فمن العبادة التامة لكل ما جاء عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال، مع الإخلاص في ذلك لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

(1) السلسلة الصحيحة للالباني، رقم: 1359، وتفسير ابن كثير لسورة الذاريات آية، 57-56.

(2) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداي، ص: 494.

فالمتابعة التامة للنبي ﷺ هي الكفيلة بتحقيق منزلة العبودية التامة لله رب العالمين، مع الوفاء بحاجتنا البشرية على أكمل وجه ممكن<sup>(1)</sup>.

ولا بد لدخول الجنة من عمل، فالعمل ركن من أركان الإيمان، وقد نص الله تعالى في مواضع كثيرة أن العمل سبب لدخول الجنان، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72].

- وقال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

والقرآن يذكر كثيراً أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فالإيمان هو ما في القلب، والعمل الصالح هو ما ظهر على الجوارح، فهو جمع بين العقيدة والشرعية أو الإيمان والإسلام، أو عمل الباطن (القلب) وعمل الظاهر (الجوارح) فلا يكفي أحدهما عن الآخر، فمن آمن ولم يعمل فهو كاذب في إيمانه إذ لو آمن حقاً لظهر على جوارحه أثر الإيمان بالأعمال الصالحة، ومن عمل الصالحات من غير إيمان فإنها لا تنفعه، إذ شرط قبول الأعمال تقدم الإيمان، كما في حديث عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل رحمه، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين»<sup>(2)</sup>، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(1) موسوعة الدار الآخرة، د. عبد الحميد هنداي، ص: 494.

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: (214).

رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها»<sup>(1)</sup>.

إذن لا بد للجنة من إيمان وعمل صالح، فمن كان عنده هذان الشرطان استحق بعد - رحمة الله - الجنة<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: 82].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا حَوَافٍ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: 13، 14].

وقد فصل لنا الله تعالى بعض أنواع الأعمال الصالحة، فمن ذلك:

## 1 - التوبة:

قال تعالى: ﴿﴿ خَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ عُثَا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: 59، 60].

## 2 - تزكية النفس:

قال تعالى: ﴿﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾ [طه: 76].

(1) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2808.

(2) اليوم الآخر، د. المطيري، ص: 537.

### 3 - التقوى :

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝﴾ [مريم: 63] .

### 4 - الصبر في البأساء والضراء :

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝﴾ [البقرة: 214] .

### 5 - الجهاد في سبيل الله :

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ ۝﴾ [آل عمران: 142] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَزٍ تُجِبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تَوَاسِعُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَعَالَمِينَ ۝ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكُنُونَ فِيهَا فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [الصف: 10، 12] .

### 6 - الشهادة :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُعْطِلَ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَبْرَرُهُمْ ۝ وَيُضِلُّجُ بِاللَّهِ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ۝﴾ [محمد: 4، 6] .

### 7 - الابتعاد عن الكبائر :

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ ثُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿ [النساء: 31].

## 8 - إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَمْ عُفَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتْ عَنْهُمْ بِطَوْلِهَا وَنَمَّ صَلَاحٌ مِنْ آبَائِهِمْ وَزَوْجِهِمْ وَزُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُفَى الدَّارِ ﴿ [الرعد: 22-24].

## 9 - التوكل على الله :

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ [العنكبوت: 58، 59].

## 10 - قيام الليل :

قال تعالى: ﴿لَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَقْلُمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: 16، 17].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعِيْنَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونِ ﴿١٥﴾ ءَلِيْزِينَ مَّا ءَالَنَّهُمْ رَبُّهُمْ ءِإِنَّهُمْ كَانُوْا قَبْلَ ذٰلِكَ مُّحْسِنِيْنَ ﴿١٦﴾ كَانُوْا قَبْلَ ذٰلِكَ مِّنَ الْاَبْلَآءِ مَا يَهْجَمُوْنَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَنصَارٍ لَّهُمْ يَسْتَفْرِوْنَ ﴿١٨﴾ وَفِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُوْمِ ﴿١٩﴾ [الدَّارَات: 15، 19].

## 11 - خوف الله :

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ [النازعات: 40، 41].

وهذه بعض الآيات التي جمعت الكثير من الأعمال الصالحة<sup>(1)</sup>.

## - من سورة المؤمنين،

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّكُوعِ مُهْلِكُونَ ۝ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعُنَابِهِمْ حَافِظُونَ ۝ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ ٦ فَمَنْ أَتَّبَعَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَارِبُونَ ۝ ١٠ الَّذِينَ يَرْثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ١١﴾ [المؤمنون: 1، 11].

## - من سورة الفرقان،

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَسْتُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

(1) اليوم الآخر، المطيري، ص: 537 - 540.





يَسْكُنُوا ذَلِكَ يَوْمَ الْقُلُوبِ ﴿٢٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾ ﴿ق: 31، [35].

- من سورة المعارج:

قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِيَسْأَلُوا وَالصَّارِعِينَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِجِيمٌ ﴿٢٦﴾ تُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْهَى رَوْحَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُتْرَكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: 22-35].

- من سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَنْصُرَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ دُونُ اللَّهِ مُنْقِذَةٌ ﴿١٣٨﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُكُمْ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَفِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 133-136].

وعموماً فكل طاعة لله ورسوله هي من الأعمال الصالحة وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ

يَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿الفتح: 17﴾ .

وهذا في القرآن كثير، ومداره على ثلاث قواعد: إيمان، وتقوى، وعمل خالص لله على موافقة السنة، فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون عداهم من سائر الخلق، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها والتي تجتمع في أصليْن:

إخلاص في الطاعة، وإحسان إلى خلقه.

وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون، وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه، ولا طريق إلى ذلك إلا تحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ.

وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل، فهي بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول ﷺ في كل ما أخبر، وطاعته في جميع ما أمر استحباباً وإيجاباً<sup>(1)</sup>.

وأما الأعمال التي هي سبب لدخول الجنة الواردة في السنة فالأحاديث فيها أكثر من أن تحصر<sup>(2)</sup>.

**ثانياً، هل الجنة ثمناً للعمل،**

الأعمال لاشك أنها سبب لدخول الجنة، ولكن الجنة أعظم

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 444.

(2) انظر: موجبات الجنة لعمر عبد الوهاب الأصهباني، وتمام المنّة ببيان الخصال الموجبة للجنة للإدرسي.

من أعمالنا، ولا يمكن لأعمالنا أن تدرك بذاتها الجنة، لذلك فإن الله برحمته يدخل المؤمنين الجنة ويجعلها من نصيبهم مع تقصيرهم في العمل لها، وكيف لهم أن يدركوا هذا الفضل وأصل هدايتهم إلى العمل الصالح من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: 43] .

ثم إن الله تعالى يكرمهم ويجازيهم على هذه الهداية - التي أعطاهم إياها - بجزاء عظيم جداً وهي الجنة، فكيف يمكن لأعمالهم أن تدرك هذا الجزاء الذي الفضل فيه لله أولاً وآخر<sup>(1)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة من فضله»<sup>(2)</sup>، وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول، قال رسول الله ﷺ: «سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يُدْخَلَ الجنة عمله»<sup>(3)</sup>، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»<sup>(4)</sup>. وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله»<sup>(5)</sup>، وهو حديث متواتر<sup>(6)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 542.

(2) البخاري، ك المرضي، رقم: 5349.

(3) البخاري ك الرقاق، رقم: 2818.

(4) المصدر نفسه، رقم: 2818.

(5) مسلم، ك، صفة القيامة والجنة والنار، رقم: 2817.

(6) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 201.

وأما قوله تعالى: ﴿يَلَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]، فلا تعارض بينها وبين الحديث لأن الآية تدل على أن العمل سبب، والحديث يدل أن الأعمال ليست ثمناً للجنة، ولا بد من رحمة الله تعالى حتى يبلغوا هذا العطاء العظيم<sup>(1)</sup>.

ثالثاً، أول وآخر من يدخل الجنة،

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: 10 - 12].

السابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات، فالسابقون إليها في الحياة الدنيا هم السابقون إلى الجنة في الحياة الآخرة، ثم يلي السابقين أصحاب اليمين الأبرار الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، منزلتهم دون المقربين، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين<sup>(2)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاوٍ مَّسْكُودٍ ﴿٣١﴾ وَقُلُوبُهُمْ كَافِرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ ﴿٣٣﴾ وَفُتِحَتْ مَرْجِعُهُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَهُنَّ آبِهَارًا ﴿٣٦﴾ عَرَبًا أَرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ ﴿٣٩﴾ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٠﴾ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أُولَ الْأَخِيرِينَ﴾ [الواقعة: 27-40]، ولا شك أن رسولنا محمداً ﷺ أول السابقين، وأنه أول من تفتح له الجنة، وتدخل أمته

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 543.

(2) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).

بعده، وهي أول الأمم دخولاً الجنة، وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة منها<sup>(1)</sup>:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يفرع باب الجنة»<sup>(2)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»<sup>(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة»<sup>(4)</sup>، وأما آخر من يدخل الجنة، فقد ذكر رسول الله ﷺ حديثاً عن ذلك، فقال: «إنني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فأدخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى فيقول: اذهب فأدخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فأدخل الجنة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني أو تضحك مني، وأنت الملك؟» قال الراوي عبد الله بن مسعود: فلقد رأيت رسول الله ﷺ. ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»<sup>(5)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 627).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 331.

(3) المصدر نفسه: 333.

(4) مسلم بشرح النووي (6 / 143).

(5) البخاري، ك الرقاق، رقم: 6571.

رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب،

أول زمرة تدخل في هذه الأمة الجنة هم القمم الشامخة في الإيمان والتقوى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق يدخلون الجنة صفاً واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر»<sup>(1)</sup>، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آتيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجاسرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون بكرة وعشيماً<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي ﷻ فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً»<sup>(3)</sup>.

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفاً الأوائل وبين علاماتهم، قال النبي ﷺ: «عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمر مع الأمة، والنبي يمر مع النفر، والنبي يمر مع العشرة، والنبي يمر مع الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتونون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للأشقر، ص: 123.

(2) فتح الباري (6 / 318).

(3) صحيح الجامع (1 / 350) رقمه: 1068.

يتوكلون»، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام إليه رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»<sup>(1)</sup>.

#### خامساً، أسماء الجنة:

الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمنها:

#### 1 - الجنة:

وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20].

#### 2 - جنة الخلد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ [الفرقان: 15] ، وسميت بذلك لخلود أهلها فيها.

#### 3 - جنة النعيم:

قال تعالى: ﴿وَلَنُعَمِّلَنَّ مِنَ وَلَدِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: 85] ، وسميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

#### 4 - جنة المأوى:

قال تعالى: ﴿عِندَنَا جَنَّةُ الْآوَى﴾ [النجم: 15] . وسميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين.

(1) فتح الباري (11 / 405).

## 5 - جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَكُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ لَكُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ لَا يَبُولُونَ وَلَا يُغْشَوْنَ وَلَا يَسْخَرُونَ مِنْكُمْ فِيهَا جُنتان تجريان واخرجوا منها في يوم واحد جميعا ولهم فيها أزواج مطهرة من عبادة الصالحين وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِي اللَّهُ الْخَلْقَ كَيْفَ يَشَاءُ لَئِنْ لَمْ يَرْزُقْهُمْ يَسَّرْ لَهُمْ يَسَّرْ اللَّهُ لَهُمْ وَيَسَّرْ لَكُمْ فِي يَوْمِ ذَٰلِكَ مَخْرَجًا مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَوْمَ يُخْرِجُنَا مِنْهُمَا وَقَالَ لَهُمَا خُذَا هَٰذَا هُوَ خَزَائِنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [ص: 50] . فهي درجة من درجات الجنة.

## 6 - دار السلام:

قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْخَرُونَ مِنْكُمْ وَلَا يَتَأَذَّرُونَ﴾ [الأنعام: 127] .

- وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: 25] . وسميت بذلك لأمر منها:

- لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ومن كل بلية وآفة.

- لأنها دار السلام، ومن أسمائه «السلام»، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْمُزِيرُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23]. فهي دار السلام، يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سلمها وسلم أهلها.

- ولأن: ﴿يَخَيَّرُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23] ، ﴿يَخَيَّرُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44].

- وأول ما تستقبلهم به خزانة الجنة هو السلام: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَهَا وَقُنْ عِنْدَ آيَاتِهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَائِنُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا



خَالِدِينَ ﴿[الزمر: 73]. قال تعالى: ﴿وَاللَّيْكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: 23، 24] والرب يسلم عليهم من فوقهم ﴿لَمْ يَمَسَّ فِيهَا مِنْ فِتْنَةٍ وَلَمْ يَمَسَّ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: 57، 58].

- كلامهم فيها سلام، أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل لا يقولونه ولا يسمعون، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً إِلَّا سَلَامًا وَلَمْ يَذُفُّهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَعَشِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مریم: 62].

وقل تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا كَذَابًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبي: 35] ، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا تَأْيِيمًا ﴿١٥﴾ إِلَّا فِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: 25، 26].

#### 7 - دار المتقين:

قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 30] ، وسميت لأنهم أهلها.

#### 8 - دار الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109].

والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [البقرة: 94].

- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الفصص: 83].

## 9 - الحسنى :

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] <sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» <sup>(2)</sup>.

## 10 - دار المقامة :

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: 34-35]. دار المقامة يعني: دار الإقامة <sup>(3)</sup>.

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة مثل «المدخل الكريم» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مِّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31] «لِحَسَنٍ مَّأَبٍ» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّأَبٍ ﴿١٩﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْ مَّغْنَمَةٍ لَهُمْ فِيهَا أَكْوَافٌ﴾ [ص: 49-50] <sup>(4)</sup>.

## 11 - الفردوس :

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴿١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفُرْدَوْسُ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتَوُونَ الْفُرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 9-11].

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 523 إلى 526.

(2) نظم المتناثر من الحديث التواتر، للكتاني، ص: 253.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 528.

(4) المصدر نفسه، ص: 528.

### سادساً: صفة الجنة:

مهما كتب الكتاب والأدباء، وتخيل المتخيلون، وأبدع المبدعون وصفاً للجنة، فلن نجد مثل وصف القرآن الكريم ونبيه الكريم لحقيقتها، فقد وصفها الله ﷻ بأمور منها:

#### 1 - أبواب الجنة:

- قال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكْرٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَهُمُ الْآبُوتُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: 49-50].

- وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٧٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقَى الدَّارِ ﴿٧٤﴾﴾ [الرعد: 23، 24].

- وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: 73].

- وقال ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»<sup>(1)</sup>.

- وقال ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»<sup>(2)</sup>.

(1) فتح الباري (6 / 378).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 46.

- وقال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين<sup>(1)</sup> في سبيل الله نُودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان»، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يُدعى من تلك من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم»<sup>(2)</sup>.

## 2 - قصور الجنة وخيامها:

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سمى الله ﷻ في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات، وهي القصور التي من فوقها غرف مبنية محكمة مزخرفة<sup>(3)</sup> عالية، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف، وأن في الجنة خياماً عجيبة فهي من درة مجوفة، وفي ذلك يقول سبحانه في آيات كثيرة منها:

- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ وَلَجِبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة: 72].

(1) زوجان: كل شيء قرن لصاحبه فهو زوجان.

(2) مسلم، ك الزكاة، شرح النووي (7 / 115، 116).

(3) تفسير ابن كثير (4 / 46).

- قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالْأَيْ تَقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ أَفْضَلُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرُوقِ ءَامِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سَبَأ: 37] .

- وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْفُرْقَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُفْعَلُونَ فِيهَا نَجِيَّةٌ وَسَلَامًا ﴿٧٧﴾﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٨﴾﴾ [الفرقان: 75، 76] .

- وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا مِنْهُمْ لَمْ يُعْرِفُوا مِنْ قَوْعِهَا عُرْفٌ مَبِينَةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ [الزمر: 20] .

- وقوله سبحانه في خيام الجنة: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72]، إشارة إلى معنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء، وإنما الأشياء تتحرك إليه، فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه ويطاف عليهم بما يشتهونه، فالحور يكنّ في بيوت . والعرب يمدحون النساء الملازمات للبيوت للدلالة على شدة الصيانة<sup>(1)</sup>، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهم للارتحال إلى المؤمنين خيام، وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور<sup>(2)</sup>، وقد وصف رسولنا ﷺ، قصور الجنة، حين دلنا على صفات بعض قصور أصحابه، فقال: أتى جبريل النبي ﷺ . فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدم أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك

(1) تفسير المراغي (9/ 129).

(2) التفسير الكبير (29/ 118).

فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قَصَب<sup>(1)</sup>، لا صخب فيه ولا نصب<sup>(2)(3)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصرأ، فقلت، لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك»، فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليك يغار<sup>(4)</sup>.

وقد وصف النبي ﷺ خيام الجنة بأنها درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»<sup>(5)</sup>.

### 3 - أشجار الجنة وثمارها:

وصفت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعنان والنخيل والرمان، حيث الجمال الرائع والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الأثمار وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلَّتَيْنِ مَقَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: 31، 32].

- (1) المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.
- (2) الصخب: الصياح والنازعة برفع الصوت والنصب: التعب.
- (3) البخاري، ك مناقب الأنصار، رقم: 3821.
- (4) مسلم، ك فضائل الصحابة شرح النووي (15/ 163).
- (5) صحيح البخاري، رقم: 3243 فتح الباري (6/ 366).

والى جانب هذه الحقائق والأعنان هناك فاكهة كثيرة متنوعة ومنها ثمر النخيل والرمان ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَن: 68] كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا، فإنه كثير الأشواك، قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح<sup>(1)</sup> المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وأنه متراكم الثمر<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَحْمَبُ الْيَمِينِ مَا أَحْمَبُ الْيَمِينِ﴾ [٢٧] فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ تَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَلَفَاكِهِمْ كَثِيرَةً ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿[الواقعة: 27-33]﴾.

وفواكه الجنة لا تحجب عن مؤمن فضلاً عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعو ليجد بغيته أمامه، قال تعالى: ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: 51] وقال: ﴿وَلَفَاكِهِمْ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ﴾ [الواقعة: 20].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ [١١] وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴿[المرسلات: 43-41].

وأشجار الجنة دائمة العطاء، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح<sup>(3)</sup>، قال تعالى:

(1) الطلح : الموز : واحدتها طلحة.

(2) تفسير ابن كثير (4 / 253).

(3) الحياة في القرآن الكريم (2 / 646).

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: 35].

وقال سبحانه: ﴿وَفَلْيَكْفُرْ كَيْفَرُ ﴿٣٦﴾ لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: 32 . 33].

ووصف الله ﷻ أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مدللة ينالها أهل الجنة يسر وسهولة<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فِيهَا مَا لَمْ يَلْبَسْ فِي الدُّنْيَا لَبَاسًا ﴿٤٧﴾ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: 46 . 48].

- وقال ﷻ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فِيهِمَا مَا لَا يَصْلَاهُ فِي الدُّنْيَا لَبَاسًا ﴿٦٣﴾ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمن: 62 . 64].

- وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: 54].

- وقال: ﴿فِي جَنَّاتٍ عَالِيَةٍ ﴿٦٦﴾ قُلُوبُهُنَّ دَانِيَةٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الحاقة: 22 . 23].

ولقد وصف الرسول ﷺ بعض أشجار الجنة بأوصاف عجيبة<sup>(2)</sup>.

(1) الحياة في القرآن الكريم (2/ 646).

(2) المصدر نفسه (2/ 646).



### أ - الشجرة التي يسير الراكب فيها مائة عام :

وهي الشجرة التي ذكرت في قوله سبحانه: ﴿وَبَطْنٍ مِّنْ دُونِهَا﴾، وقد فسره النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرأوا إن شئتم: ﴿وَبَطْنٍ مِّنْ دُونِهَا﴾<sup>(1)</sup>، وعن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»<sup>(2)</sup>.

### ب - سدرۃ المنتهى :

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ وَمَا طَفَنَ ۚ لَّقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۚ﴾ [النجم: 13، 18].

وقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۖ وَبَطْنٍ مِّنْ دُونِهَا﴾ [الواقعة: 28، 30]، فذكر في هذه الآيات ثلاث أنواع من الأشجار منها السدر، وفي قوله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، مخضود أي منزوع الشوك<sup>(3)</sup>، وورد عن ابن عباس وغيره أنه قال: هو الموقر بالثمر<sup>(4)</sup>، أي المليء بالثمر، والظاهر أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة العكس من هذا، الأشواك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله<sup>(5)</sup>.

- (1) البخاري، بدء الخلق، رقم: 3252.
- (2) مسلم، ك الجنة وصفة نعيمها، على شرح النووي (17 / 167).
- (3) لسان العرب (3 / 163).
- (4) البعث والنشور، للبيهقي، ص: 172.
- (5) تفسير ابن كثير (4 / 288).

## ج - شجرة طوبى :

ومن أشجار الجنة شجرة تسمى «طوبى»، وهي كما تبين من وصفها شجرة عظيمة تصنع ثياب أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري .<sup>(١)</sup> عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «طوبى لمن رآني وآمن بي»، ثم طوبى، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يراني». وقال له رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها<sup>(٢)</sup>».

وجميع أشجار الجنة لها ظل ظليل،، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّ لَهُمْ جَنَّتِي بَعْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَتُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ [النساء: 57]، والمؤمن يكثر حفظه من أشجار الجنة بالإكثار من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «لقبت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك أن الجنة أرض طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(٣)</sup>».

وسيقان أشجار الجنة من ذهب، قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب<sup>(٣)</sup>».

(1) الأكمام: جمع الكم، وهو القشر، ولكل شجرة مثمرة: كم، وهو برعومته.

سلسلة الأحاديث الصحيحة للالباني، رقم: 1985.

(2) صحيح الجامع الصغير (5 / 34)، رقم: 5028.

(3) المصدر نفسه (5 / 150).

فالجنة خالدة لا تنفى ولا تبعد، وأنواع نعيمها دائمة لا تنقطع ولا تمنع، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يبدون ولا يموتون<sup>(1)</sup>.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝﴾ [النساء: 122].

- وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝﴾ [الكهف: 107].

[108].

- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ السَّافِينَ فِي مَقَامِ آيِينَ ۝﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ۝ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [الدخان: 51 . 57].

#### 4 - درجات الجنة :

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ [طه: 75].

والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

(1) الحياة في القرآن (2 / 648).

- قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَجَالَهَ عَجَلًا لَمْ يَهَيَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَمْ جَهَنَّمَ يَصْلَهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَمَلِهِمْ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝﴾ [الإسراء: 18-21]، فبين الله سبحانه وتعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه، وأن عطائه ما كان محظوراً من بر ولا فاجر، ثم قال: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا<sup>(1)</sup>.

وتفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عبادهم المؤمنين، قال تعالى: ﴿بَلَّغْ الرُّسُلَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَلِمَ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۝﴾ [البقرة: 253] .

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِعَمَلِكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [آل عمران: 163]، وهذه الدرجات تختلف باختلاف العمل، فكلما كان عمل الإنسان أكثر وموافقاً للسنة كان أجره أكثر ودرجته في الجنة أعلى قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ رِمًا عَمِلُوا وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ۝﴾ [الأحقاف: 19] .

(1) اليوم الآخر، الجنة والنار، للاشقر، ص: 155.

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافون ربهم جنتين: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 46] ، ووصفهما ثم قال: ﴿وَيَن دُونَهُمَا جَنَّاتٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 62] ، أي دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرأ، علم أنهما دون الأوليين في الفضل، فالأوليات للمقربين، والأخريات لأصحاب اليمين، قال القرطبي: لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما، فقال في الأوليين ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 50].

وقال في الآخرين: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَصَاحَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 66] ، أي فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين، لأن النضج دون الجري، وقال في الأوليين: ﴿فِيهَا مِن كُلِّ ذِكَاةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 52] معروف وغريب، رطب ويابس، فعم ولم يخص، وفي الآخرين: ﴿فِيهَا ذِكَاةٌ وَقُلٌّ وَزَوَّادٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: 68] ، ولم يقل من كل فاكهة زوجان.

وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 54] ، وهو الديباج.

وقال في الآخرين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِي جَسَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 76] ، والعبقري الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف كسر الخبا، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخبا، وقال في الأوليين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْيَمُ﴾ [الرَّحْمَنُ: 58] .

وفي الأخريتين: ﴿فِيْنَ خَيْرَ حَسَنٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 70] ،  
وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 48] ، وفي  
الأخريين: ﴿مُدْهَأَتَانِ ۖ﴾ [الرَّحْمَنُ: 64] ، أي خضراوات كأنهما  
من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان  
والأخريين بالخضرة وحدها<sup>(1)</sup>.

وقد بين رسول الله ﷺ درجات الجنة فقال ﷺ: «إن أهل الجنة  
يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر  
في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول  
الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي  
بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(2)</sup>.

وأعلى درجات الجنة هي الفردوس الأعلى، وقد ذكرها الله  
سبحانه في كتابه في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَرْدُونَ ۖ﴾ [الزَّيْنِ  
يَرِيُونَ ۖ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ [المؤمنون: 10، 11]، وبين  
الرسول ﷺ منزلة هذه الدرجة، فقال ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله  
وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة،  
جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا  
رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله  
للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض،

(1) التذكرة للقرطبي، ص: 440، اليوم الآخر الجنة والنار للأشقر، ص: 159.

(2) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3083.

فإذا سألتهم الله فاسألوهم الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة قال راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه: فوق عرش الرحمن ومنه تضيئ أنهار الجنة<sup>(1)</sup>.

والمقصود بـ«أوسط الجنة» أي عرضاً و«أعلى الجنة» أي طولاً، فهذا يدل أن الفردوس على مثل الربوة أو القبة، ويدل أن الجنة مقببة<sup>(2)</sup>. قال ابن كثير: ولا تكون هذه الصفة إلا في المقبب، فإن أعلى القبة هو أوسطها، فالجنة والله أعلم كذلك<sup>(3)</sup>.

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة، وهي منزلة لشخص واحد فقط هو نبينا ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة»<sup>(4)</sup>.

## 5 - أنهار الجنة:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25].

- وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف: 31].

(1) البخاري، ك التوحيد، رقم: 6987.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 553.

(3) صفة الجنة، للحافظ ابن كثير، ص: 31 من كتاب البداية وlnهاية.

(4) مسلم، ك الصلاة، رقم: 384.

وأنهار الجنة ليست ماء فحسب، بل منها الماء، ومنها اللبن ومنها الخمر، ومنها العسل المصفى، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَنْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ فِي النَّارِ وُعدُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ [محمد: 15].

وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها وأفة العسل عدم التصفية<sup>(1)</sup>، وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطيهورهم - وهو الماء - وهذا لقوتهم وغذائهم - وهو اللبن - وهذا للذتهم وسرورهم - وهو الخمر - وهذا لشفائهم ومنفعتهم - وهو العسل<sup>(2)</sup>.

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، فعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «هو نهر في الجنة»، قال: قال النبي ﷺ: «رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله»<sup>(3)</sup>.

(1) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، ص: 218.

(2) المصدر نفسه، ص: 219.

(3) البخاري، ك التفسير، باب سورة الكوثر، رقم: 4680.



## 6 - عيون الجنة :

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة قال تعالى: ﴿لَا تَلْمِزُ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ آذَانُهُمْ يَسْمَعُونَ أَمْرًا ۖ إِلَيْهِمْ يَنْصَرُونَ ۚ﴾ [الحجر: 45]. [46]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۖ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 51 52].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ﴾ [الغاشية: 12] وقال في وصف الجنتين اللتين أعدمهما لمن خاف مقام ربه، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ﴾ [الرحمن: 50].

وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۖ﴾ [الرحمن: 66]. والنضخ فوران الماء وهو أبلغ من النضح، وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها وهي:

## أ - عين الكافور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَثَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ﴾ [الأنعام: 8] عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾ [الأنعام: 5، 6] فالأبرار يشربون ماء ممزوجاً بالكافور، بينما يشربه عباد الله المقربون صرفاً لا خلط فيه<sup>(1)</sup>، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع

(1) اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة، ص: 559.

ما يضاف إلى ذلك من اللذات في الجنة<sup>(1)</sup>.

### ب - عين السلسيل :

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ رِزَاقُهَا زَيْجِلًا ۖ وَعَيْنًا فِيهَا شَسَنٌ سَلِيلًا ۖ﴾ [الإنسان: 17 18] أي ويسقون . يعني الأبرار . أيضاً من هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي خمراً ﴿كَانَ رِزَاقُهَا زَيْجِلًا﴾ ، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد<sup>(2)</sup>.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ، فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال رسول الله ﷺ : «أينفعك شيء إن حدثتك؟» قال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال «سل» فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ : «هم في الظلمة دون الجسر» ، قال فمن أول الناس إجازة؟ قال : «فقراء المهاجرين» ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال : «زيادة كبد النون» ، قال : فما غذاؤهم على إثرها ، قال : «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» ، قال : فما شربهم عليه؟ قال : «من عين فيها تسمى

(1) تفسير ابن كثير (4/ 454).

(2) المصدر نفسه.

سلسبيلا»، قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فَعَلَا مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله»، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آتياً بإذن الله قال اليهودي: لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به»<sup>(1)</sup>.

### ج - عين التسنيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٦﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٧﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٨﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٩﴾ خَتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٣٠﴾ وَنَزَاجُجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣١﴾ عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: 22-29].

قال ابن عباس: تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين<sup>(2)</sup>.

### 7 - نور الجنة:

والجنة لها نور كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَاةً وَيَسْمَعُونَ فِيهَا لَهْفًا هَهِينَ وَنُورٌ مِثْلُ شَجَرٍ مُنِيرٍ ﴿٦٧﴾﴾ [مریم: 62].

(1) مسلم، ك الحيف، رقم: 315.

(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة، ص: 544.

في قوله: ﴿وَلَمْ يَرْفُتْهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ﴾: أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلاً ونهاراً، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرف مضيها بأضواء وأنوار<sup>(1)</sup>.

وقد قال تعالى: ﴿تُكَيِّبْنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13] : والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تعرفان بنور يظهر من قبل العرش<sup>(2)</sup>. وقال القرطبي: قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي<sup>(3)</sup>. وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحاً به في الحديث، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»<sup>(4)</sup>. درمكة البيضاء: هي الدقيق الأبيض<sup>(5)</sup>.

## 8 - ريع الجنة:

للجنة رائحة عبقة زكية تملأ جنباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمن من مسافات شاسعة<sup>(6)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «من قتل رجلاً

(1) تفسير ابن كثير (3/ 129).

(2) مجموع الفتاوى (4/ 312).

(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 174.

(4) مسلم، ك الفتن، رقم: 2928.

(5) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 562.

(6) اليوم الآخر الجنة والنار، للأشقر، ص: 175.

من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين<sup>(1)</sup> عاماً.

## 9 - تربة الجنة :

عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله، مم خلق الخلق؟ قال: «من ماء»، قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لينة من ذهب، ولينة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر الياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت، ولا يبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أدخلت الجنة، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»<sup>(3)</sup>.

## 10 .. دواب الجنة وطيورها:

في الجنة دواب وطيور كثيرة، يركبها أهل الجنة ويأكلون منها ويتمتعون بالنظر إليها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مریم: 85] .

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب

(1) صحيح الجامع (5/ 337)، رقم: 6333.

(2) مشكاة المصابيح (3/ 89) ورقمه 5630 وقال محقق المشكاة وله طرق وشواهد، وأوردة في السلسلة الصحيحة.

(3) البخاري (1/ 458 - 459).

الجنة<sup>(1)</sup>، وقد ثبت عن عبد الله بن عمرو . وهو ما له حكم الرفع .  
أن في الجنة إبلاً وخيلاً، حيث قال: في الجنة عتاق الخيل وكرائم  
النجايب، ويركبها أهلها<sup>(2)</sup>.

وعن أبي مسعود الأنصار رضي الله عنه قال جاء رجل بناقاة مخطومة  
فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة  
سبع مائة ناقة كلها مخطومة»<sup>(3)</sup>، وهذه الرواية لم تنص أنها في  
الجنة، ولكن جاءت رواية أخرى لهذا الحديث عند الحاكم بزيادة  
«في الجنة» حيث قال ﷺ: «لك بها سبع مائة ناقة مخطومة في  
الجنة»<sup>(4)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَيَّزِيغُنَّ ظِلْفُهُنَّ فَإِذَا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21]، أي  
يأكلون من لحم طير يشتهوونه، وعن أنس بن مالك قال: سئل  
رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله - يعني في  
الجنة - أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها  
كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ:  
«أكلتها أحسن منها»<sup>(5)</sup>.

11 - الجنة لا مثل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في  
الخيال:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

- (1) تفسير ابن كثير (3/ 137) بتصرف.
- (2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 205، قال المحقق: رجاله ثقات.
- (3) مسلم ك الإمارة، رقم: 1892.
- (4) السلسلة الصحيحة للألباني (2/ 227).
- (5) الترمذي، صفة الجنة، رقم: 2542، وحسنه جامع الأصول (10/ 467) حسنة الأرنؤوط.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السُّجْدَة: 17] .

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقربوا إن شئتم» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ تَأْخُفِي لَكُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(1)</sup>.

ولمن دخل الجنة ما يشاء من النعيم، وله كل يتمنى ويطلب، بل له فوق هذا بكثير قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّذِيكَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَاءٌ يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿[النحل: 30-31]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَارٌ وَلَا دِيمَاءٌ مَرِيءٌ﴾ ﴿[ق: 35] .

وما الظن بمكان موضع السوط أو القوس فيه خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(2)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» وقال: «الغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»<sup>(3)</sup>.

وما الظن بمكان الغمسة الواحدة فيه تنسي المعذب كل عذابه وشقائه في الدنيا، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار

(1) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3072.

(2) البخاري، رقم: 3078.

(3) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 2640.

صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط<sup>(1)</sup>.

### سابعاً، أصحاب الجنة،

أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون الذين يعملون الصالحات مع إخلاص عظيم لله ﷻ واستقامة على شريعته، ووفاء بعهودهم وعدم نقضهم لها ووصلهم ما أمر الله بوصله، وخشيتهم لله وخوفهم من سوء العذاب، وصبرهم لله وإقام الصلاة، والإنفاق سراً وعلانية، ودرئهم بالحسنة السيئة قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَقُ إِمَّا يَنْذَرُ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ۝١١﴾ الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ۝١٢ وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُؤْمَلُوا وَيُخْفَتُوا رَحْمَةً وَخَفَاتُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝١٣ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَمْ تُغَبِّ الدَّارِ ۝١٤ جَنَّاتٌ عَنْ دُونِهَا يُنْزَلُ مِنْهَا مَاءٌ طَهُرٌ ۝١٥ وَالَّذِينَ صَبَرُوا بِمَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝١٦ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَتَمَنَّى عَنِ الدَّارِ ﴿الرعد: 19-24﴾<sup>(2)</sup>.

(1) مسلم ك، صفة القيامة، رقم: 2807.

(2) الجنة والنار، للأشقر، ص: 188.



والجنة درجة عالية، والصعود إلى العلياء يحتاج إلى جهد كبير وطريق الجنة فيه مخالفة لأهواء النفوس ومحوباتها وهذا يحتاج إلى عزيمة ماضية وإرادة قوية، قال ﷺ: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»<sup>(1)</sup>، وهذا من بديع الكلام وفصيحة وجوامعها التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار بالشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبر على الشهوات، ونحو ذلك<sup>(2)</sup>.

### 1 - معرفة أهل الجنة لمساكنهم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُبَدِّلَ أَعْمَلُكُمْ ۖ سَبَّحِينَمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلَمِ ۖ وَيُذِلُّهُمْ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ ۖ﴾، أي إذا دخلوها يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم<sup>(3)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هلبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي

(1) جامع الأصول على مسلم (10 / 521)، رقم: 8069 حسن، صحيح.

(2) شرح النووي على مسلم (17 / 165).

(3) تفسير القرطبي (16 / 153).

نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله الذي كان في الدنيا<sup>(1)</sup>.

## 2 - هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟

تخاصم الرجال والنساء في هذا والصحابة أحياء، ففي صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجنة؟ وفي رواية: إنا تفاخروا وإنا تذاكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فسألوا أبا هريرة فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجنة أكثر بقول الرسول ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دُرّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى منح سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»<sup>(2)</sup>.

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وقد احتج بعضهم على أن الرجال أكثر بحديث: «أيتكن أكثر أهل النار» والجواب لا يلزم من كونهن أكثر أهل النار أن يكن أقل ساكني الجنة كما يقول ابن حجر العسقلاني<sup>(3)</sup>، فيكون الجمع بين الحديثين أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجنة وبذلك يكن أكثر من الرجال وجوداً في الخلق<sup>(4)</sup>.

## 3 - أطفال المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ نَحْنُ مُدَبِّرَاتِهِمْ

(1) البخاري، ك المظالم والغصب، رقم: 2308.

(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2834.

(3) فتح الباري (6/ 325).

(4) الجنة والنار للأشقر، ص: 195.

وَمَا أَنتَهُم مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ مَّا كُنْتُمْ بِآيَاتِهِمْ بِغَافِلِينَ ﴿٢١﴾ [الطور: 21].

فهذه الآية تدل بعمومها على أن ذرية المؤمنين معهم في الجنة، لأن الطفل يولد على الفطرة وهي الإسلام، فإذا مات فهو ميت على الإيمان فيكون مع والديه في الجنان، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَوِيَّةٌ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: 38 39]، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: هم أطفال المسلمين، لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم<sup>(1)</sup>.

ودخول أطفال المسلمين الجنة ثابت في السنة وذكر الكتاني أنها بلغت حد التواتر<sup>(2)</sup>، فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه مات لي ابنان فما أنت محدثني عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال، قال: نعم: صغارهم دعاميص<sup>(3)</sup>، الجنة يلتقي أحدهم أباه. أو قال. أبويه. فيأخذه بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بضفة ثوبك هذا، فلا يتناهى. أو قال فلا ينتهي. حتى يدخله وأباه الجنة<sup>(4)</sup>، وعن البراء رضي الله عنه قال: لما توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة»<sup>(5)</sup>.

وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»<sup>(6)</sup>. وقال

(1) التذكرة للقرطبي (2/ 317) اليوم الآخر للمطيري، ص: 573.

(2) نظم المتواتر، ص: 127.

(3) دعاميص: جمع دعموص، أي، صغار أهلها.

(4) مسلم ك البر والصلة، رقم: 2635.

(5) البخاري، ك الجنائز، رقم: 1316.

(6) سنن ابن ماجه، رقم: 1604 سنده حسن.

رسول الله ﷺ: «ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام» (1).

وقال رسول الله ﷺ: «أطفال المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يدفعونهم إلى آبائهم يوم القيامة» (2).

#### 4 - اجتماع أهل الجنة وحديثهم:

من أحاديثهم ما قاله سبحانه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيْ أُولَآئِكَ مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ السَّوْمِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: 25-28].

ومن أحاديثهم تذكرهم أهل الكفر الذين كانوا يشككونهم بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُخَرِّصُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٢٠﴾ فَوَكَّدَهُ وَهُمْ تَكْرُمُونَ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٢٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَنَظِّلِينَ ﴿٢٣﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ نَّعِيمٍ ﴿٢٤﴾ بِبَعَّةٍ لَّدَوِ الشَّارِبِينَ ﴿٢٥﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٢٦﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْغُرُفِ عِينٌ ﴿٢٧﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٣٠﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِيَنَّ الْمَصْدِقِينَ ﴿٣١﴾ لَهُدَا مِنَّا وَكُنَّا رَأْيَا وَعِظْلًا لَهُدَا لَمَدِينُونَ ﴿٣٢﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِقُونَ ﴿٣٣﴾ فَأُطْلِعَ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٣٤﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتَزُوِيَنَّ وَلَوْلَا رِغْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٣٥﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾ لِيُشِلَّ

(1) السلسلة الصحيحة (2/ 156)، رقم: 603.

(2) المصدر نفسه (3/ 451)، رقم: 1467.

هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ ﴿٦١﴾ «الصفات: 39، 61».

تأمل ما في هذه الآيات من النعيم والكرامة، فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم يجتمعون يوم القيامة ويعطون من الفواكه وهم على السرر متقابلين، يتجاذبون أطراف الحديث، وفي أثناء حديثهم يُخدمون كالمملوك فعندهم الفواكه، ويطاف عليهم بالخمير اللذيذة وعندهم النساء الحور العين، ثم يبدأ الحوار، فيتذكر أحدهم صاحباً له كان يأمره بالمعاصي وينكر البعث، فينادي منادي: هل تريد أن تعرف حاله؟ فيأخذ هذا الرجل ليريه ذلك صاحب وقد استقر في قلب الحجيم يتقلب على الجمر لا يموت ولا يحيى، فيخاطبه سائلاً: توبخ واستنكار: هل نحن لا نموت إلا موتتنا الأولى ولن نبعث ولن نعذب، ثم ينظر لحاله والنعيم الذي هو فيه وينظر إلى حال هذا الذي أصبح من حطب جهنم ويقارن بين الحالين فيرى البون الشاسع والفرق الواسع فيقول لنفسه وقد امتلاً سروراً وفاض غبطة: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ ﴿٦٣﴾<sup>(1)</sup>.

## 5 - أعلى أهل الجنة:

الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٤﴾ [النساء: 69]، أي معهم في الجنة وإن لم يكونوا معهم في الدرجة<sup>(2)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 571.

(2) المصدر نفسه، ص: 572.

وعن المغيرة بن شعبه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذة عينيك، فيقول: رضيت ربي. قال: ربي، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم ترى عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصادقه في كتاب الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(1)</sup>.

## 6 - أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ فَخَيَّرَ مِنْ نَّحْيِهِمُ الْآثِرَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَلَوْدُوا أَن يُلَکُّمُ اللَّيْنَةُ أَوْرَثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ اللَّيْنَةُ الَّتِي أَوْرَثُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(2)</sup> الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ

(1) مسلم، ك الإيمان، رقم: 189.

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: 10 11].

وقال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾»<sup>(1)</sup>.

7 - زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها المؤمن في الجنة:

قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَنْدَ بَابِهَا يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرعد: 23] ، وهم في الجنات منعمون مع الأزواج يتكثون في ظلال الجنة مسرورين فرحين، قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَابِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 56] ، وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: 70]<sup>(2)</sup>.

8 - مؤمنو الجن يدخلون الجنة:

مؤمنو الجن يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة، فبعد أن تكلم الله ﷻ عن الإنس والجن في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَفِيلٍ عَنَّا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأنعام: 132] ، وقوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ يعود على الإنس والجن، فدل على أن لهم درجات في الجنة بحسب عملهم<sup>(3)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 584.

(2) المصدر نفسه، ص: 582.

(3) المصدر نفسه، ص: 590.

وقوله تعالى في الحور العين: ﴿لَمْ يَلِدْنَ وَلَمْ يَمْلِكْنَ إِنْشَاقَهُنَّ وَلَا جَاءَهُنَّ﴾ [الرَّحْمَنُ: 56] ، فدل على أن الجن يدخلون الجنة ويتمتعون بالحور العين كما يحصل للإنس<sup>(1)</sup>.

## 9 - ضحك أهل الجنة من أهل النار:

كان الكفار في الدنيا يخاصمون المؤمنون ويسخرون منهم ويهزؤون بهم، فإذا جاء يوم القيامة انقلب الحال، وتبدلت الأحوال فإذا بالمؤمنين، وهم في النعيم المقيم ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويسخرون بهم<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَّخْتُمٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمُهُمْ مِنْهُ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرَجِعُهُمْ إِلَى تَسْلِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا مِنْ آلِئِنَّ ءَامَنُوا بِضَحْكَوْنَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لِمُسْأَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المطففين: 22-36].

ثامناً، سادة أهل الجنة،

## 1 - الأنبياء والرسل:

سيد أهل الجنة هو الرسول ﷺ ثم إخوانه من الأنبياء

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 590.

(2) المصدر نفسه، ص: 582.



والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِندَنَا إِنْرِهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ٥٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٥٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٥٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٥٨﴾ هَذَا ذِكْرُ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ٥٩﴾ جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُفْتَعَةٍ لَهُمُ الْأُكُوفُ ٦٠﴾ [ص: 45-50].

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ٨٦﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نِّسَاءِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٨﴾ وَذَكَرْنَا رَحْمَةً وَيَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُتْلِينَ ٨٩﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٩٠﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٩١﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ تَمَازُجًا يَمْشُونَ ٩٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِذْقَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكُنَّا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ٩٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا آتَانِي عَلَيْه أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ٩٤﴾ [الأنعام: 82-90].

فوصفهم الله بالهداية والصلاح والاجتهاد والإحسان وبين في آيات كثيرة أن المحسن جزاءه الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَرَبَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: 26].

وهذا معلوم من الدين بالضرورة، بل العقل يدل على ذلك، فإن الله تعالى لا يرسل مبلغاً عنه إلا وهو في الغاية القصوى من

الكمال البشري خلقاً وخلقاً وديناً وصلاحاً، وما كان الله ليعذب من دل الناس عليه<sup>(1)</sup>.

## 2 - سادات الصحابة :

الجنة درجات ومراتب وأهلها متفاوتون في درجاتهم وأعلى الدرجات فيها سادة أهل الجنة، فسيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لقوله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين»<sup>(2)</sup>، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، لقوله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»<sup>(3)</sup>، ونص الرسول ﷺ على أن عشرة من أصحابه في الجنة، فقد قال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»<sup>(4)</sup>، وإسناده صحيح، وقد نص الرسول ﷺ على مجموعة أخرى من الصحابة في الجنة منهم:

- جعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب :

قال ﷺ: «دخلت الجنة البارحة، فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير»<sup>(5)</sup>، وقد صح أن

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 585.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (2 / 487)، رقم: 824.

(3) المصدر نفسه (2 / 438)، رقم: 797.

(4) صحيح الجامع الصغير (1 / 70)، رقم: 50.

(5) المصدر نفسه (3 / 140) رقمه: 3358.

الرسول ﷺ قال: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب»<sup>(1)</sup>.

- عبد الله بن سلام:

قال رسول الله ﷺ: «عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة»<sup>(2)</sup>.

- زيد بن حارثة:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة»<sup>(3)</sup>.

- زيد بن عمرو بن نفيل:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل درجتين».

- حارثة بن النعمان:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر»<sup>(4)</sup>.

- بلال بن أبي رباح:

قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين يدي،

(1) صحيح الجامع (3 / 219) رقمه: 3569.

(2) المصدر نفسه (4 / 25) رقمه: 3870.

(3) المصدر نفسه (3 / 141) رقمه: 3362.

(4) صحيح الجامع الصغير (3 / 142) رقمه 3366.

قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك<sup>(1)</sup>.

### 3 - سيدات نساء أهل الجنة:

مريم بنت عمران هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق، فقد روى الطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم ابنة عمران، فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون<sup>(2)</sup>»، وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن: ﴿وَلِذَا قَالَتْ أَلَمْ تَكُنْ لَّيَمْرُؤٍ إِنَّ اللَّهَ مَبْتُكُ وَطَهْرُكِ وَأَمْطُكُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

وهؤلاء الأربعة نماذج رائعة للنساء الكاملات الصالحات، فمريم ابنة عمران أثنى عليها ربها في قوله: ﴿أَحْصَيْتَ رَجْعَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَتَقْوَى الْيَوْمِ﴾ [التغريم: 12].

وخديجة التي آمنت بالرسول ﷺ من غير تردد، وثبتته، وآسته بنفسه وماله، وقد بشرها ربها في حياتها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب<sup>(3)</sup>، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ؓ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها مني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا

(1) المصدر نفسه (3/142)، رقم: 3364.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/410)، رقم: 1424.

(3) الجنة والنار، للأشقر، ص: 211.

صخب فيه ولا نصب»<sup>(1)</sup>، وآسية امرأة فرعون هان عليها ملك الدنيا ونعيمها فكفرت بفرعون وألوهيته فعذبها زوجها فصبرت حتى خرجت روحها إلى بارئها، قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَصَلْبِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11].

وفاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ الصابرة المحتسبة النقية الورعة فرع الشجرة الطاهرة، وتربية معلم البشرية<sup>(2)</sup>.

وأمهات المؤمنين أيضاً من سيدات الجنة لأنهن مع النبي ﷺ في الجنة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لَأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتَحَنُكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ [١٨] وَلَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الأحزاب: 28، 29].

وعن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك» قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله ﷻ قال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لَأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتَحَنُكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ [١٨] وَلَنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الأحزاب: 28، 29]، قالت: فقلت: في أي هذا

(1) البخاري، ك المناقب فتح الباري (7/133).

(2) الجنة والنار للأشقر، ص: 212.

استأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة». وفي رواية: «جمع بينهما في الجنة»<sup>(2)</sup>، وعليه فتكون زوجاته عليه الصلاة والسلام معه في الجنة ولا يلزم من هذا أن يكن معه في نفس الدرجة، لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ في منزلة الوسيلة التي لا تنبغي إلا لرجل واحد ولكنهن قريبات منه ﷺ. ولا يلزم من هذا أيضاً أن تكون أمهات المؤمنين خير من كل أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، وقد تواترت الأحاديث على أفضلية أبي بكر على جميع الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين<sup>(3)</sup>، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما<sup>(4)</sup>.

### تاسعاً، فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا:

قارن المولى ﷺ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها، ونجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب

(1) البخاري، رقم: 4508.

(2) السلسلة الصحيحة للألباني (3/ 275).

(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني، ص: 202.

(4) المصدر نفسه، ص: 203.

العاجل في مواضع<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا رَبَّهُمْ هُمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: 198] .

- وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131] .

- وقال في موضع ثالث: ﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَرِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَتَابِ﴾ [١٧] قُلْ أَؤْتِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِزْقٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 14-15] . وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه منها.

## 1 - متاع الدنيا قليل :

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء:

[77] .

وقد صور لنا الرسول ﷺ قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم - فلينظر بم ترجع»<sup>(2)</sup>. ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في البحر الخضم، إنها لاتأخذ منه قطرة هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة ولما كان متاع الدنيا قليل، فقد

(1) الجنة والنار، للأشقر، ص: 223.

(2) مسلم (4/ 2193)، رقم: 2858.

عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38].

## 2 - هو أفضل من حيث النوع:

قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20].

بل لا وجه للمقارنة فإن موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(1)</sup>، وقال ﷺ: «الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»<sup>(2)</sup>، وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد. يعني سوطه. خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنصفبها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

(1) البخاري، ك الجهاد والسير، رقم: 3078.

(2) البخاري، رقم: 2640.

(3) البخاري، رقم: 2643.



[الرَّخُوفُ: 70] : أي تفرحون والفرح في القلب<sup>(1)</sup>.

### 3 - الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها:

فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والحيض أذى والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتفلون وخمر الجنة كما وصفها خالقها: ﴿بَيْضَاءٌ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: 46]، وماء الجنة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمّد: 15]، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25].

وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر وتعكر المزاج وتستثير الأعصاب، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال، ﴿لَا لَفْوَ فِيهَا وَلَا تَأْيِيْدٌ﴾ [الطور: 23].

ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَفْوَ وَلَا كَذْبًا﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَفْوَ إِلَّا سَلَامًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِينَةً﴾ [الغاشية: 11] إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الأوشاب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَفْوَ وَلَا تَأْيِيْمًا﴾ [الأنبياء: 15] إلا قِيْلًا سَلَامًا

(1) اليوم الآخر، في القرآن العظيم، ص: 593.

سَلَكْنَا ﴿٢٦﴾ [الواقعة: 25 . 26] فأهل الجنة عند دخول الجنة، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا<sup>(1)</sup>، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الحجر: 47] .

#### 4 - نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق:

قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَئِيَّ الْحَيَوةِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [المنكبر: 64] ، ولذلك سمى الحق تبارك وتعالى ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً، لأنه يتمتع به ثم يزول، وأما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاد قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96] ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَكُم مِّن نَّفَاقٍ﴾ ﴿٢٩﴾ [ص: 54] ، وقال: ﴿أَكُلُوا ذَاتَهُمْ وَطَلْعَهَا﴾ [الرعد: 35] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَحَرِّمِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الحجر: 48] .

وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿٣١﴾ أَلَمَّا وَالْبَتُونَ زِينَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الْعَالِيَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٣٢﴾ [الكهف: 45 46] .

فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوب ويصفر، ثم تعصف به

(1) فتح الباري (6/ 318) الجنة والنار، للأشقر، ص: 227.

الرباح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع كلها تتلاشى وتنقضي، فالشباب يذوب ويذهب، والصحة والعافية تبدل هرماء ومرضاً، والأموال والأولاد قد تذهب وأما الآخرة فلا رحيل ولا فناء ولا زوال، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝۳۰﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [النحل: 30-31].

## 5 - العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة:

يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ۝۱۸۵﴾ [آل عمران: 185]، وأما العمل للآخرة فلا يعقبه إلا الفوز بها<sup>(1)</sup>.

ومن تكريم الله لهم أن الجنة تقرب لهم، لا يقربون هم إلى الجنة قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝۹۰﴾ [الشعراء: 90]، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝۳۱﴾ [ق: 31]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝۱۲﴾ [التكوير: 13]، أي: قربت<sup>(2)</sup>.

عاشرًا: نعيم أهل الجنة،

## 1 - طعام أهل الجنة:

الجنة لا جوع فيها ولا عطش، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝۱۸﴾ وَأَنْتَ لَا تَطْمَؤُنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَكُ [طه: 118]،

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 595.

(2) المصدر نفسه.

[119]، وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس»<sup>(1)</sup>، وقد ذكر الله تعالى أنواعاً كثيرة من طعامهم منها:

- الفاكهة بجميع أنواعها: قال تعالى: ﴿وَفَلَاحُوهُمْ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ﴾ [الواقعة: 20] ، ومن هذه الفاكهة العنب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبا: 31-32]، وهذه الفاكهة ليست بقليلة بل هي كثيرة ﴿لَكُ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرٌ مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73].

ولا يتعب نفسه في إحضارها وجنيها بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِشَبَرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [ص: 51].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى تكمل اللذة فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهيه: ﴿وَفَلَاحُوهُمْ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ﴾ [النبا: 31] ولغير طَلَبٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿[الواقعة: 20 ، 21].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: 41 - 43].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا، بل هي متوفرة دائماً، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبداً

﴿وَمَا يَسْكُوبُ ۖ وَفِيهَا كَثِيرٌ مِّمَّا يَسْقَوْنَ ۖ وَلَا يُقْطَعُ عَنْهَا إِتْرَافٌ﴾ [الواقعة: 31-33]، وإذا انتهى أن يقطع الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا﴾ [الإنسان: 14]، وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنًا مِنْ عَدَنٍ ۚ وَالْجَنَّةِ ذَاتِ ۖ﴾ [الرحمن: 54].

- لحم الطير: قال تعالى: ﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ مِّمَّا يَسْقَوْنَ ۖ وَلَا يُقْطَعُ عَنْهَا إِتْرَافٌ﴾ [الواقعة: 20، 21] وعن أنس بن مالك قال: يا رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيها طير أعناقها كأعناق الجزر»، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أحسن منها»<sup>(1)</sup>. وليس هذا فقط طعامهم بل لهم كل ما اشتتهت أنفسهم ولذته أعينهم ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنفُسُ وَكَذَلِكَ أُفَعِّلُ فِيهَا مَا أُخَالِفُ ۚ﴾ [الزخرف: 71].

## 2 - شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر، وبعضهم يشرب الدم المسفوح، وبعضهم يشرب العرق وغير من النجاسات والقاذورات، وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر، طهور طيب قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثَابِتٌ سُدُودٌ ۖ خُضِرَ لِحْيَتُهُمْ وَأُخْضِرُوا نَوَارًا ۖ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۖ﴾ [الإنسان: 21].

(1) جامع الأصول (10/ 467) حسنه الترمذي.

ومن هذه الأشربة :

\* العسل واللبن والماء :

قال تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ أَلَى رُجْدِ الْمُنْفُوتِ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ مَاسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمَامَهُمْ﴾ [محمد: 15].

\* الكافور :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝﴾ [الإنسان: 5، 6].

\* الزنجبيل :

قال تعالى : ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَنْبِيلًا ﴿١٨﴾ [الإنسان: 17، 18].

أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين : بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعذل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعذله والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنها نوعان

لذيان من الشراب أحدهما مزج بكافور، والثاني مزج بزنجبيل<sup>(1)</sup>.

\* التسليم:

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝١٥ خِتَمُهُ مِسْكَ ۚ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝١٦ وَمَرْاجِعُ مِنَ التَّسْلِيمِ ۝١٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۝١٨﴾ [المطففين: 25 - 28]، قال ابن عباس: تسليم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين<sup>(2)</sup>.

\* الخمر:

تكلم الله تعالى عن خمر الجنة في غير ما آية ونفى عنه جميع آفات خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِأَقْرَبِينَ وَلَا يَصْطَرِفُ عَلَيْهَا وَلَا يُزْوَغُ ۝١٨﴾ [الواقعة: 18، 19] وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ وَمَا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَشْرَبُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الطور: 22-23]، وقال: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ﴾ [محمد: 15]، فخر الدنيا<sup>(3)</sup>، طعامها غير لذيد، وتحدث لمن شربها صداع، ويذهب بعقله، ويكثر عندها اللغو واللغظ بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات فلا يمتنع عن شيء منها وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟ فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها، ولا ينزفون

(1) حادي الأرواح لابن القيم، ص: 224.

(2) البدور السافرة في أحوال الآخرة

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 603.

أي لا تذهب عقولهم، ولا لغو عندها، ولا إثم فيها<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يُكَافُّ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۖ ﴿٤٥﴾ بَيْتَاءَ لَّدُوْهُ لِّلشَّرِيْينَ ۖ لَا فِيْهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُوْنَ ۖ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات: 45 - 47].

وهذه الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر وهي ذات ﴿لَذَّةٍ﴾، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿يُنْزَفُوْنَ﴾ أي لا يسكرون منها<sup>(2)</sup>، فلا تذهب عقولهم وتبقى لذاتها والخمر هي المقصود بقوله تعالى: ﴿رَّحِيْقٍ مَّخْتُوْمٍ﴾ قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيْقٍ مَّخْتُوْمٍ ۖ ﴿٤٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ ۚ وَفِيْ ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُوْنَ ۖ ﴿٤٦﴾ وَمَرَجِعُهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [المطففين: 25-27]، والرحيق هي الخمر الصافية، ومن لذة الخمر أنها تختم بالمسك<sup>(3)</sup>، ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، قال ﷺ: «من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة»، قال ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب»<sup>(4)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أياها مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأياها مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأياها مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من خضر الجنة»<sup>(5)</sup>.

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.

(2) التسهيل، لابن جزي (2/ 235) المصدر نفسه، ص: 604.

(3) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 604.

(4) البخاري، ك الأشربة، رقم: 5253.

(5) سنن أبي داود، ك الزكاة، رقم: 1682 سنده حسن.



### 3 - أنية طعامهم وشرابهم:

أنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِيفَاتٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ<sup>(1)</sup> وَفِيهَا مَا شَتَّىٰ الْأَنفُسُ وَلَكِنَّ الْأَعْيُنَ لَا تَحِيطُ بِهَا خَلِيلُوت﴾ [الزخرف: 71].

الصحاف جمع صحفة وهي القصعة وزناً ومعنى، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الراسي للذي لا عروة له ولا خرطوم<sup>(2)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كآشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يبصقون أنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة - يعني العود - ورشعهم المسك»<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَا أَكْوَابُ وَأَبَارِيقُ وَكُلِّسَ مِن مَّيِّمٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُرْفَوْنَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: 18 - 19]، أباريق جمع إبريق والأكواب الكبيرة ذات العري والخراطيم<sup>(4)</sup>، والكأس هو الكوب إذا كان فيه

(1) أكواب: أي من ذهب.

(2) لسان العرب (1 / 729) حادي الأرواح، ص: 233.

(3) البخاري، ك بدء الخلق، رقم: 3073.

(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 113.

شراب<sup>(1)</sup>، وهذا الكأس مليء بالشراب كما قال تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [التَّبَرُّ: 34]، أي مليئة مترعة متتابعة، وهذا من كمال النعيم، فلا ينقصهم شيء حتى الكؤوس مليئة، وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَازِينَ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [16-15]، القوارير الزجاج، أي هي في صفاء الزجاج وهي من فضة وهذا ما لا نظير له في الدنيا<sup>(2)</sup>.

وهي معدة على قدر كفاية ولي الله في شربة لا تنقص عن كفايته شيء ولا تزيد فقد قدروها تقديراً، وهذا أبلغ في لذة الشارب، فلو نقص عن ربه لنقص التذاده، ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسامة من الباقي، وهذا يدل على الاعتناء والشرف<sup>(3)</sup>. وقال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في أنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»<sup>(4)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»<sup>(5)</sup>.

(1) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ص: 729.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 609.

(3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 103 بتصرف.

(4) متفق عليه البخاري، رقم: 5110، مسلم رقم: 2067.

(5) البخاري، رقم: 4597، مسلم، رقم: 180.

#### 4 - لباس أهل الجنة وحليهم:

لا عري في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ ﴿١١٨-١١٩﴾ [طه: 118-119].

وقال ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»<sup>(١)</sup>، ولهم أفضل أنواع اللباس فمن ذلك:

\* الحرير: بأنواعه الرقيق منه والغليظ قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرٍ﴾ [الإنسان: 12] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُفْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبْغُ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرَقَّاتُهَا﴾ [الكهف: 31].

وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَنِّينَ﴾ [الذخان: 53].

والسندس ما رق من الديباج والحرير، والإستبرق ما غلظ منه. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر والبن اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتلذذ به<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُفْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] تأمل ما دلت عليه لفظة: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً

(١) مسلم، ك الجنة، رقم: 2836.

(٢) حادي الارواح، ص: 237.

يحمل ظاهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال<sup>(1)</sup>.

وأما حلبيهم وأساورهم فهي كالتالي:

\* الذهب: قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: 33].

\* الفضة: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلَاءُ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21].

\* اللؤلؤ: قال تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33] فأساور أهل الجنة بعضها من الفضة، وبعضها من ذهب، وبعضها من لؤلؤ، قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33]<sup>(2)</sup>.

5 - فرش أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: 54].

وفرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها فكيف هو ظاهرها؟ وهذه الفرش عالية لها سُمْك وحشو بين البطانة والظاهرة كما قال تعالى: ﴿وَفُتُحٌ مُتْرَفَةٌ﴾ [الواقعة: 34].

(1) حادي الارواح، ص: 238.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 611.

## 6 - بسط أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَرَزَّائِي مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 16] ، والزراي جمع زورية وهي البسط<sup>(1)</sup>، وهو مبثوثة على شكل متسق ومتكامل وقال تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقْرُقٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ [الرحمن: 76] .  
العبقري: البسط الجياد، والرقرق: رياض الجنة<sup>(2)</sup>.

## 7 - الوسائد:

قال تعالى: ﴿وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: 15] .  
[16]

النمارق جمع نمرقة، وهي الوسادة، وهي التي توضع تحت الرأس. وقيل المساند. وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب. وقد يعمها اللفظ<sup>(3)</sup>.

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائماً وترتيب الوسائد وصفها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر<sup>(4)</sup>.

## 8 - سرور وأرائك أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّجَتْ لَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: 20] .

- (1) لسان العرب (1/ 447).
- (2) البعث والنشور، لليهقي، ص: 183.
- (3) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 123.
- (4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 613.

السُرر: جمع سرير وهو الذي يجلس عليه<sup>(1)</sup>.

وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات:

\* قال تعالى: ﴿سُرُرٌ مَّصْفُوفَةٌ﴾.

فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيد عن بعض.

\* قال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

﴿١٦﴾﴾ [الواقعة: 15 ، 16] موضونة: أي مرصعة ومتقاربة ومنسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد<sup>(2)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: 13].

- وقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَمُمٌ الْوُثَابُ وَحُشْنٌ مَّرْقَفٌ﴾ [الكهف: 31].

- ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَلْتَمِسُونَ فِيهَا بِفُكَّهَمُ كَثِيرٌ وَسَرَابٌ﴾ [ص: 51].

- ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13].

- ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَرَوْنَ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 23-24].

(1) لسان العرب (4/361) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 614.

- ﴿قَالِیْمَ الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا مِنْ الْكُفَّارِ یَضْحَكُوْنَ ﴿٣٥﴾ عَلَی الْأَرَآئِكِ یَنْظُرُوْنَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: 34 ، 35].

الأرائك جمع أريكة.

قال ابن عباس: لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد: هي الأسرة في الحجال<sup>(٢)</sup>، الحجال: القبة من القماش تكون على السرير مثلما يضع للعروس على سريرها من ضرب الستور والأقمشة على شكل القبة وتعلق فوق السرير<sup>(٣)</sup>، فالأريكة سرير عليه الستور، يخلو به المؤمن بجبهه<sup>(٤)</sup>.

9 - خدم أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّيْمِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: 17 - 18].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَبِئَتْهُمْ ذُلُومًا نُّشُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: 19].

يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة مخلدون، أي على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا

(1) البعث والنشور لليهقي، ص: 182.

(2) المصدر نفسه، ص: 182.

(3) لسان العرب (11 / 144).

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 615.

تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبَّتْهُمُ لَوْلُؤًا مَثُورًا﴾ [الإنسان: 19]. أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا مثوراً، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المثور على المكان الحسن<sup>(1)</sup>.

### 10 - سوق أهل الجنة :

قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم، والله لقد ازدتم بعدنا حسناً وجمالاً»<sup>(2)</sup>.

والمراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار<sup>(3)</sup>.

### 11 - سماع أهل الجنة :

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الزوم: 15].

(1) تفسير ابن كثير (4 / 456).

(2) مسلم، ك الجنة، رقم: 2833.

(3) النووي على مسلم (17 / 170).



وقال تعالى: ﴿أَنخُلُوا الْجَنَّةَ أَن تَرَوْا زُجُجًا مَّخْبُورًا﴾ (٧٥)  
[الزَّخْرَفُ: 70].

قال يحيى بن أبي كثير: الحبرة: اللذة وسماع الغناء<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ (٥٥)  
[يَسَّ: 55].

قال ابن عباس رضي الله عنه: شغلهم بسماع الأوتار<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﴿فَاكِهُونَ﴾ الفكاهة المزاح والكلام الطيب والمتفكه  
المتنعم<sup>(٣)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للمحور العين  
يرفعن أصوات لم يسمع الخلائق مثلها، قال يقلن: نحن الخالدات  
فلا نبئد، ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا سخط،  
طوبى لمن كان لنا وكنا له»<sup>(٤)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن  
بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، وإن مما يغنين: نحن الخيرات  
الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به:

(1) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211 حادي الأرواح، ص: 291.

(2) تفسير ابن كثير (3 / 575).

(3) تفسير القرطبي (15 / 31).

(4) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 137 سنده، صحيح بشواهد.

نحن الخالدات فلا يمتهن، نحن الآمات فلا يخفهن، نحن المقيمات فلا يظعنهن<sup>(1)</sup>.

- وقال رسول الله ﷺ: «إن الحور العيين لينين في الجنة، يقلن: نحن الحور الحسان، جئنا لأزواج كرام»<sup>(2)</sup>.

12 - لهم ما اشتته نفوسهم:

قال تعالى: ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101 . 102].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَلَاحُهُ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: 57].  
- وقال جل ذكره: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَأَنَّ عَلَىٰ رِجِّكَ وَعَدًا مَّسْئُولًا﴾ [الفرقان: 16].

- وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 34].

- وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنسُرُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71].

13 - الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة:

الدنيا تدم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة، فالأمر ليس كما يظن بعض الناس،

(1) صحيح الجامع الصغير للألباني (2 / 48)، رقم: 1557.

(2) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211.

وانظر إلى الصالحين من قوم قارون عندما أنسته أمواله الآخرة قالوا له: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصاص: 77] ، فلم يأمره بترك الدنيا كلها بل قالوا له: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ، وأقرهم رب العزة على هذه الكلمة وسطرها في كتابه عنواناً لمنهج رباني<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْأَيْمَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 32] .

الحادي عشر، الحور العين،

## 1 - جمال وحسن حور العين :

شبه الله تعالى الحور العين بثلاث تشبيهات :

\* قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصفات: 48 . 49].

قيل إنه بيض النعام المكنون في الرمل، وهو عند العرب أحسن ألوان البياض، وقيل: المراد به اللؤلؤ قبل أن يبرز من صدفه<sup>(2)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿وَمَوْزُهُنَّ يَاسَافٌ ﴿٥٠﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكْنُونِ ﴿٥١﴾﴾

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 626.

(2) صفة الجنة، لابن كثير، ص: 127.

[الواقعة: 22 - 23]: المكنون: أي المخبأ، الذي لم يغير صفاء لونه ضوء الشمس ولا عبث الأيدي، ولم تؤثر على لونه، فاللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون الذي لم يخرج من صدفه<sup>(1)</sup>، وهو في هذه الحال في غاية ما يكون من الحسن والجمال، فشبّه الله تعالى الحور العين باللؤلؤ المكنون لحسنهم وبهائهن ونظافتهن وحسن منظرهن وملبسهن وبياض الحور العين غاية في البياض حتى إن إحداهن لو خرجت إلى الدنيا لملاً نورها أرجاء المعمورة<sup>(2)</sup>، قال ﷺ: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولعلّته ريحاً، ولنصفيفها، على رأسها خبير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>، والنصيف هو الخمار، فإذا كان الخمر خيراً من الدنيا وما فيها فما بالك بالتي تلبس الخمار<sup>(4)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: 58].

الياقوت والمرجان حجران كريمان جميلان، ولهما منظر حسن بديع، فشبههن في صفاء الياقوت وبياض المرجان<sup>(5)</sup>.

## 2 - صفاتهن الخلقية:

\* - قاصرات الطرف:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ قَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَنَ يُطِئُنَّ رِجْلَهُنَّ رِجْلَهُنَّ وَلَا جَانِّ

(1) التسهيل، لابن جزي (2/ 377).

(2) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، ص: 627.

(3) البخاري، ك الجهاد، رقم: 2643.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 628.

(5) تفسير ابن كثير (4/ 278).

﴿الرَّحْمَنُ: 56﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَكُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكَنُونٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الصفات: 48 ، 49].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَكُمْ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: 52] ، والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ، قال مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن<sup>(1)</sup>.

\* متحبات:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٦٥﴾ لِيَجْزِيَنَّهُنَّ آبَكَارًا ﴿٦٦﴾ عَرُفًا أَرْبَابًا ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة: 35 - 37].

عرب: جمع عروبة<sup>(2)</sup> أو عربة أو عروب، وهي المرأة الحسنة المتوددة المتحبة لزوجها<sup>(3)</sup>، العاشقة له.

\* جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُنَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25] .

(1) حادي الأرواح لا بن القيم، ص: 261.

(2) مفردات القرآن، للراغب، ص: 557.

(3) لسان العرب (1/591).

طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمع لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ<sup>(1)</sup>.

### 3 - صفاتهن الخلقية:

#### أ - مطهرات من الأنجاس:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَنْزَجٌ مُطَهَّرٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 25] ، أي من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط والنخامة والمني والمذي والحدث وكل قدر وأذى يكون في نساء الدنيا<sup>(2)</sup>، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، وعن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة»<sup>(3)</sup>.

#### ب - حور عين:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَوَجَعْنَاهُمْ مَحْجُورِينَ﴾ [الدخان: 54] .

الحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة نقية اللون والجلد لبياضها<sup>(4)</sup>.

وهذا اللفظ مشتق من الحَوْر، والحور أن يشتد بياض العين

(1) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 258.

(2) البدور السافرة، ص: 554، حادي الأرواح، ص: 258.

(3) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، انظر تحقيق، صفة الجنة، ص: 143.

(4) حادي الأرواح، ص: 258.

ويشتد سواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء قال الأزهرى: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد<sup>(1)</sup>، وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة، لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: الحور التي يحار الطرف فيها<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ عَيْنٌ ۝١٨﴾ [الصفات: 48]، وعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين<sup>(3)</sup>، وجمعت أعينهن . مع السعة . صفات الحسن والملاحة<sup>(4)</sup>.

#### ج - أثراب في السن:

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ أَثَرًا ۝١٩﴾ [ص: 52] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ۝٢٥ جَعَلْنَهُمْ أَجْنَارًا ۝٢٦ عُرَا أَثَرًا ۝٢٧﴾ [الواقعة: 35 - 37]: أثراب، أي أقران أسنانهم واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن، والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهم أنهم ليس فيهم عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطاء<sup>(5)</sup>.

#### د - أبكار:

الحور العين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ۝٢٥ جَعَلْنَهُمْ

(1) لسان العرب (4/219).

(2) البعث والنشور، ص: 203.

(3) لسان العرب (302/13).

(4) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 259.

(5) المصدر نفسه، ص: 261.

أَبَكَارًا ﴿٣٦﴾ [الواقعة: 35 . 36].

والبكر أفضل من الشيب، فالأرض التي لم يَرُح فيها خير من أرض قد رُعي فيها، وهذه البكارة تعود كلما قام عنها زوجها، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أنطأ في الجنة؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة»<sup>(1)</sup>.

هـ - كواعب:

قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبُ أَرْبَابًا﴾ [التَّيْبِل: 33] كواعب جمع كاعب، الكاعب هي المرأة التي تكعّب ثديها، أي نهّد واستدار<sup>(2)</sup>، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلّية إلى أسفل، ويسمين: نواهد وكواعب<sup>(3)</sup>.

وحسبك شهادة لجمالهن الباهر وأنه بلغ الغاية في الحسن والمنتهى في الجمال أن الله تعالى شهد بهذا فقال: ﴿وَفِيهِنَّ خَيْرٌ مِّنْ حَسَنٍ﴾ [الرَّحْمَن: 70]، وحسان جمع حسناء<sup>(4)</sup>.

4 - غيرة الحور العين:

قال ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذي قاتلك الله، فإنما هو دخیل عندك، يوشك أن يفارقك إلينا»<sup>(5)</sup>.

- (1) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، تحقيق، صفة الجنة، لابن كثير، ص: 143.
- (2) لسان العرب (1/719) المفردات للراغب، ص: 713.
- (3) حادي الأرواح، لابن القيم، ص: 267.
- (4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 632.
- (5) صحيح الجامع الصغير (6/125)، رقم: 7069.



## 5 - يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل :

عن زيد بن أرقم قال : أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال يا أبا القاسم ألسنت تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، وقال لأصحابه : إن أقر لي بهذه خصمته، قال : فقال رسول الله ﷺ : «بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع»، وقال : فقال له اليهودي : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، قال : فقال رسول الله ﷺ : «حاجة أحدهم عرق بغيض من جلودهم مثل ربيع المسك فإذا البطن قد ضم»<sup>(1)</sup>.

والتمتع بالحوار العين يكون بالملامسة، والحديث معهن وسماع غنائهن، والتلذذ بجمالهن والتمتع بشم رائحتهن الزكية.  
- فالملامسة :

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقيل، وهذا لازم الملامسة قال تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 55-56]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم. شغلهم انتفاض الأيكار<sup>(2)</sup>.

- الحديث معهن :

ومن معاني قوله تعالى : ﴿فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس: 55] أي

(1) مسند أحمد، رقم : 19165 سنده صحيح.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15 / 30).

مشغول بمحادثتها وكلامها ومسامرتها وممازحتها ومذهول من طيب كلامها ومشغول بها عن الالتفات لغيرها<sup>(1)</sup>، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿فَنَكْبَهُنَّ﴾: الفاكهة المزاج والكلام الطيب، والمتنعم<sup>(2)</sup>.

### \* سماع غنائهن:

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُغْبَرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ [الزَّخْرَفُ: 70].

الحبرة اللذة وسماع الغناء<sup>(3)</sup>.

### \* التلذذ بجمالهن:

إن من صفات الحور العين أنهن ﴿قَصِرَتْ الْقُرْفُ﴾ ومن معانيه أنهن قصرت أعين أزواجهن عليهن من شدة جمالهن فلا يطمع لغيرها ولا يلتفت عنها ولا يبتغي سواها قد شغفته حباً، وامتلاً قلبه من حبها واكتنز وفاض حتى غمر جوارحه فلا ينظر لسواها وهذا من النعيم الكامل واللذة التامة، حتى العين لها نصيب وافر من النعيم واللذة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71].

### \* التمتع بشم رائحتهن الزكية:

لا شك أن الرائحة الطيبة في المرأة مما يزيد حباً لزوجها

(1) اليوم الآخر المطيري، ص: 634.

(2) تفسير القرطبي (31/51).

(3) البعث والنشور للبيهقي، ص: 211.

وهو من كمال اللذة<sup>(1)</sup> والاستمتاع بهن، والحدود العين لهن من ذلك أوفر نصيب، حيث إن عبق طيبها لو خرج إلى الأرض لملاها مسكاً<sup>(2)</sup>، قال رسول الله ﷺ: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد . يعني سوطه . خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(3)</sup>.

إذن يكون التمتع بهن بجميع الحواس الخمس، وهذا من أعظم النعيم، حيث يفرض التمتع على جميع أجزاء جسده ويغمر كل ذرة في جسمه<sup>(4)</sup>.

الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم،

إن مسألة رؤية المؤمنين لربهم ﷻ بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأجلها، إذ هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى، وأعلى الكرامات، وأفضل العطيات التي شمر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على

(1) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 636.

(2) المصدر نفسه، ص: 636.

(3) البخاري، رقم: 2643.

(4) اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 637.

أن المؤمنين يرون الله ﷻ بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر<sup>(1)</sup>.

والآيات تدل على رؤية الله تعالى كثيرة وهي أنواع منها:

### 1 - آيات المزيد:

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمَ زِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26].

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَأُجْرٌ وَزَيَادَةٌ﴾<sup>(2)</sup>. وقال ﷺ: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن»، وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَمَّا مَّا بَيْنَاكَ أَرْوَيْنَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿ق: 35﴾ ، وعن علي وأنس (رضي الله عنهما) أن تفسير هذه الآية النظر إلى وجه الرحمن <sup>(4)</sup>.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَّعًا وَلِزِيَادَةٍ﴾.<sup>(5)</sup>

(1) أقوال التابعين، عبد العزيز عبد الله (3/1066).

(2) مسلم، ك الإيمان، رقم: 181.

(3) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني، ص: 253.

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (3/519).

(5) تفسیر این کثیر (228/4).

## 2 - الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى :

قال تعالى: ﴿رُؤُوسُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:

22 . 23].

الناضرة: الحسنة؛ حسنها الله بالنظر إلى ربها ﷻ، وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله<sup>(1)</sup>.

وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر إلى؛ أي إلى خالقها ومالك أمرها. ناظرة، أي تنظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر<sup>(2)</sup>.

## 3 - آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بين سبحانه. في بعض الآيات. أنه يحرم الكفار من النظر إليه عقوبة لهم على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي ينزه عنه الشارع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 77]، وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبَرُونَ﴾ [المطففين: 15].

(1) أقول التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/1074).

(2) فتح القدير للشوكاني (5/336).

في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحبون، وقال مالك بن أنس في هذه الآية: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأولياته حتى رآه. وقال الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط، دل على أن قوماً يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا<sup>(1)</sup>.

وعن أشهب قال: سأل رجل مالكا: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيام لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقرأ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فقيل له: يا أبا عبد الله فإن قوماً يزعمون أن الله لا يرى فقال مالك: السيف السيف<sup>(2)</sup>.

#### 4 - آيات العندية:

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْزَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، قال: أما أنا قد سألناه عن ذلك - يعني رسول الله - ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا

(1) تفسير القرطبي (19/171) بتصرف.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/518) للالكائي.

أنهم لن يتركوا من أن يسألوا فقالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا<sup>(1)</sup>.

## 5 - آيات الملافة:

- قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223].

- وقال تعالى: ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 44].

- وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ مُلَقَّوهُمْ رَبِّهِمْ وَلَكِنَّ أَزْكَرَ قَوْمًا يَحْكُمُونَ﴾ [هود: 29].

- وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَقَّوهُ اللَّهُ كَمَ مِنْ فَتْرَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: 249].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

قال ابن مسعود: من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر أحداً<sup>(2)</sup>.

(1) مسلم، ك الإمامة، رقم: 1887، اليوم الآخر في القرآن العظيم، ص: 644.

(2) حادي الأرواح، ص: 372.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46].

قال ابن القيم: وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية<sup>(1)</sup>.

## 6 - الأحاديث النبوية في الرؤية:

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها<sup>(2)</sup>.

وفي نظم المتناثرة من الحديث المتواتر ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ثم سرد أسماءهم<sup>(3)</sup>.

وقال ابن أبي العز الحنفي: وقد روي أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها<sup>(4)</sup>، ومن هذه الأحاديث:

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحب؟» قالوا:

(1) حادي الأرواح، ص: 328.

(2) تفسير ابن كثير (4/450).

(3) نظم المتناثر للكتاني، ص: 250 حادي الأرواح، ص: 337.

(4) شرح الطحاوية (1/217).



لا، قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا، قال النبي ﷺ: «ما تضارون من رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»<sup>(1)</sup>.

- وعن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»<sup>(2)</sup>.

- عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً»<sup>(3)</sup>.

## 7 - رضوان الله أكبر:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة: 72] ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا

(1) البخاري، رقم: 7002.

(2) البخاري، رقم: 7000، مسلم، رقم: 182.

(3) البخاري، رقم: 6998.

نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً<sup>(1)</sup>.

الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين،

بعد انقضاء الحساب تحمد الملائكة ربها:

- قال تعالى: ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَتُفْصِي بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) [الرؤى: 75].

- وأما المؤمنون بعد دخولهم الجنة فيقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْغُرُوبَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٧٤) الَّذِي أَلْطَمَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٧٥﴾ [فاطر: 34 . 35].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُكَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٧٦) [الرؤى: 74].

- وآخر دعواهم في جنات النعيم: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَمَا خُرُوجُهُمْ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) [يونس: 10].

## الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من حديث عن اليوم الآخر ضمها هذا الكتاب وقد سميته «الإيمان باليوم الآخر».

فما كان فيه من صواب، فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد والمئة، وما كان فيه من خطأ، فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أنني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] وبقول الشاعر:

يامنزل الآيات والفرقان	بيني وبينك حرمة القرآن
أشرح به صدر لمعرفة الهدى	واعصم به قلبي من الشيطان
يسر به أمري وأقض مآربي	وأجر به جسدي من النيران
واحطط به وزري وأخلص نيتي	واشدد به أزري وأصلح شاني
واكشف به ضري وحقق توبتي	واربح به بيعي بلا خسراني

أَجَلْ بِهِ ذَكَرِي وَاعْلِ مَكَانِي  
 كَثُرَ بِهِ وَرْعِي وَاحِي جَنَانِي  
 أَسْبَلُ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي  
 وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِي  
 وَهَدَيْتَنِي لَشَرَائِعِ الْإِيمَانِ  
 وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ  
 مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ  
 وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ  
 وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَبِيرَةِ الْخُذْلَانِ  
 وَالْعُطْفِ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ  
 وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عَصِيَانِي  
 حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي  
 لِأَبِي السَّلَامِ عَلِيٍّ مِنْ يَلْقَانِي  
 وَلِبُؤُثٍ بَعْدَ كِرَامَةِ يَهُوَانَ  
 وَحَلَمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي  
 بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي  
 مَالِي بِشُكْرِ أَقْلُهُنَّ يَدَانِ  
 حَتَّى شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي  
 حَتَّى تَقْوَى أَيْدُهَا إِيْمَانِي  
 وَلِتُخَذِمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي  
 وَلَا شُكْرَنَّكَ سَائِرُ الْأَحْيَانِ  
 وَلَا شُكُونٌ إِلَيْكَ جَهْدُ زَمَانِي  
 مِنْ دُونِ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفَلَانِ

طَهَّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفَّ سَرِيرَتِي  
 وَاقْطَعْ بِهِ طَمْعِي وَشَرْفْ هُمَّتِي  
 أَسْهَرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي  
 أَمْزِجْهُ يَا رَبُّ بِلَحْمِي مَعَ دَمِي  
 أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي  
 أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي  
 أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي  
 وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي  
 أَنْتَ الَّذِي أَوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي  
 وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً  
 وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا  
 وَجَعَلْتَ ذَكَرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا  
 وَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي  
 وَلَأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صَحْبَتِي  
 لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَائِبِي وَمَثَالِبِي  
 فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا  
 وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبُّ بِأَنْعَمِ  
 فَوْحٍ حَكَمْتَكِ الَّتِي آتَيْتَنِي  
 لَنْ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً  
 لَا سَبْحَ حُثُوكَ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ  
 وَلَا ذِكْرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا  
 وَلَا اكْتَمَنَّ عَنْ الْبَرِيَّةِ خَلْقِي  
 وَلَا قَصَدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي

ولا حسمن عن الأنام مطامعي      بخسام يأس لم تشبه بناني  
 ولا جعلن رضاك أكبر همتي      ولا ضربن من الهوى شيطاني  
 ولا كسون عيوب نفسي بالتقى      ولا قبضن عن الفجور عناني  
 ولا منعن النفس عن شهواتها      ولا جعلن الزهد من أعواني  
 ولا تلون حروف وحيك في الدجى      ولا حرقن بنوره شيطاني<sup>(1)</sup>

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك  
 وأتوب إليك.

(1) نونية القحطاني، ص: 9، 10.



## فهرس المحتويات

5	المقدمة
19	الفصل الأول: حقيقة الروح والموت و حياة البرزخ
19	المبحث الأول: حقيقة الروح
19	أولاً: كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه
26	ثانياً: قبض الروح بالنوم
27	ثالثاً: فتح باب التوبة حتى الغرغرة
28	رابعاً: كيفية نزاع الروح
30	خامساً: خروج روح المؤمن واحتضاره
34	سادساً: خروج روح الكافر واحتضاره
39	المبحث الثاني: الموت
42	أولاً: الحكمة من الموت
44	ثانياً: ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان
47	ثالثاً: أسباب حسن الخاتمة

- 1 - إقامة التوحيد لله (جلّ وعلا) . . . . . 47
- 2 - الاستقامة . . . . . 47
- 3 - التقوى . . . . . 47
- 4 - الصدق . . . . . 48
- 5 - التوبة . . . . . 49
- 6 - الدعاء . . . . . 50
- 7 - قصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا . . . . . 51
- 8 - الإكثار من ذكر الموت . . . . . 52
- 9 - غلبة الرجاء وحسن الظن بالله . . . . . 53
- 10 - البعد عن أسباب سوء الخاتمة . . . . . 54
- رابعاً: من علامات حسن الخاتمة . . . . . 55
- خامساً: من أسباب سوء الخاتمة . . . . . 55
- سادساً: قبض أرواح العباد . . . . . 56
- سابعاً: الموت مكتوب على الخلائق ولا ينجو منه هارب . . . . . 56
- ثامناً: الآجال محدودة . . . . . 59
- المبحث الثالث: حياة البرزخ . . . . . 61
- أولاً: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر . . . . . 62



- ثانياً: فتنة القبر وسؤال الملكين . . . . . 64
- 1 - اسم الملكين . . . . . 65
- 2 - عودة الروح إلى الميت عند السؤال . . . . . 66
- 3 - ما يتتفع به الميت من عمل الأحياء . . . . . 68
- 4 - بكاء السماء على الميت . . . . . 71
- 5 - ما يتبع الميت إلى قبره . . . . . 71
- 6 - القبر أول منازل الآخرة . . . . . 71
- 7 - نعيم القبر وعذابه ينال من دفن ومن لم يدفن . . . . . 71
- 8 - الحكمة من عذاب القبر ونيمة . . . . . 72
- 9 - هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ . . . . . 73
- ثالثاً: أسباب عذاب القبر . . . . . 75
- 1 - الشرك بالله والكفر به . . . . . 77
- 2 - النفاق . . . . . 78
- 3 - النيمة وعدم الاستار من البول . . . . . 78
- 4 - الغلول . . . . . 78
- 5 - جرّ الإزار من الخيلاء . . . . . 79
- 6 - حبس المدين في قبره بدينه . . . . . 79

- 7 - عقوبة الآخذ بكتاب الله ثم رفضه . . . . . 79
- 8 - عقوبة الكذاب . . . . . 80
- 9 - عقوبة الزناة والزواني . . . . . 81
- 10 - عقوبة آكل الربا . . . . . 81
- 11 - الإفطار في رمضان من غير عذر . . . . . 82
- 12 - من حرمت رضيعها من ثديها . . . . . 82
- 13 - حبس الحيوان وتعذيبه . . . . . 83
- 14 - الذين يقولون ما لا يفعلون . . . . . 83
- 15 - النياحة على الميت . . . . . 83
- 16 - السرقة . . . . . 84
- 17 - الإعراض عن ذكر الله . . . . . 84
- رابعاً : الأسباب المنجية من عذاب القبر . . . . . 85
- 1 - توحيد الله تعالى . . . . . 85
- 2 - الاستقامة على طاعة الله ﷻ . . . . . 86
- 3 - الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات . . . . . 86
- 4 - الشهادة في سبيل الله تعالى . . . . . 88
- 5 - الرباط في سبيل الله . . . . . 89

90	6 - التعوذ بالله من عذاب القبر . . . . .
91	7 - الدعاء . . . . .
91	8 - تجنب أسباب عذاب القبر . . . . .
92	خامساً: مستقر الأرواح في البرزخ . . . . .
92	1 - أرواح الأنبياء . . . . .
93	2 - أرواح الشهداء . . . . .
93	3 - أرواح المؤمنين الصالحين . . . . .
93	4 - أرواح العصاة . . . . .
94	5 - أرواح الكفار . . . . .
95	الفصل الثاني: علامات الساعة الصغرى والكبرى . . . . .
95	المبحث الأول: علامات الساعة الصغرى . . . . .
95	أولاً: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية . . . . .
96	ثانياً: علم الساعة . . . . .
97	ثالثاً: قرب قيام الساعة . . . . .
98	رابعاً: مجمل أشراف الساعة الصغرى . . . . .
102	المبحث الثاني: أشراف الساعة الكبرى في القرآن الكريم . . . . .
102	أولاً: نزول عيسى عليه السلام . . . . .

105	ثانياً: يأجوج ومأجوج
107	ثالثاً: الدخان
107	رابعاً: طلوع الشمس من مغربها
108	خامساً: خروج الدابة
109	سادساً: المهدي
110	سابعاً: المسيح الدجال
114	ثامناً: الخسوفات الثلاثة
115	تاسعاً: النار التي تحشر الناس
115	المبحث الثالث: النفع في الصور
115	أولاً: ما هو الصور؟
117	ثانياً: عدد النفخات
121	ثالثاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى
121	رابعاً: الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية
123	خامساً: الآيات التي تحتل الأمرين
125	الفصل الثالث: البعث والحشر وأهوال يوم القيامة
125	المبحث الأول: البعث
126	أولاً: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم كما أخبر

- ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى . . . . . 127
- ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان . . . . . 129
- رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات . . . . . 130
- خامساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار . . . . . 132
- سادساً: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله . . . . . 134
- سابعاً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة . . . . . 135
- ثامناً: قياس البعث على النوم . . . . . 137
- تاسعاً: الفطرة تدل على البعث . . . . . 138
- عاشراً: أسماء يوم القيامة . . . . . 138
- المبحث الثاني: الحشر وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس . . . 139
- أولاً: الحشر: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم . . . . . 139
- 1 - مكان الحشر (أرض المحشر) . . . . . 140
- 2 - صفة الناس في الحشر . . . . . 140
- أ - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً . . . . . 140
- ب - الوجوه . . . . . 141
- ج - الأبصار . . . . . 142
- ثانياً: أهوال يوم القيامة . . . . . 144

- 1 - دك الأرض ونسف الجبال . . . . . 144
- 2 - قبض الأرض وطى السماء . . . . . 146
- 3 - تفجير البحار وتسجيرها . . . . . 146
- 4 - موران السماء وانفطارها . . . . . 147
- 5 - تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم . . . . . 148
- 6 - تبديل الأرض . . . . . 149
- 7 - سجود الخلائق لله سبحانه عند إتيانه للفصل . . . . . 150
- ثالثاً: أحوال الكفار يوم القيامة . . . . . 151
- 1 - ذلتهم وهوانهم وحسرتهم وبأسهم . . . . . 152
- 2 - اسوداد وجوههم وتغيرها . . . . . 152
- 3 - إحباط أعمال الكفار . . . . . 153
- 4 - فضيحتهم أمام الخلائق . . . . . 153
- 5 - تخاصم الكفرة في الموقف . . . . . 153
- 6 - مقتهم لأنفسهم . . . . . 156
- 7 - صفة حشر الكفار إلى النار . . . . . 156
- رابعاً: أحوال عصاة الموحدين . . . . . 158
- 1 - الذين لا يؤدون الزكاة . . . . . 158

- 2 - ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم . . . . . 159
- 3 - الغلول . . . . . 161
- 4 - المتكبرون . . . . . 161
- 5 - الأثرياء المنعمون . . . . . 162
- 6 - فضيحة الغادر . . . . . 163
- 7 - غاصب الأرض . . . . . 163
- 8 - ذو الوجهين . . . . . 164
- 9 - الحاكم الذي يحتجب عن رعيته . . . . . 164
- 10 - الذي يسأل وله ما يغنيه . . . . . 164
- 11 - من كذب في حلمه . . . . . 164
- خامساً: حال الأنقياء . . . . . 165
- 1 - لا يخافون ولا يحزنون ولا يفزعون . . . . . 165
- 2 - بياض وجوههم . . . . . 166
- 3 - الذين يظلمهم الله في ظله . . . . . 166
- 4 - الذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم . . . . . 167
- 5 - الذين يسرون على المعسرين . . . . . 168
- 6 - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا . . . . . 168

- 7 - الشهداء والمرابطون . . . . . 168
- 8 - الكاظمون الغيظ . . . . . 169
- 9 - عتق الرقاب المسلمة . . . . . 169
- 10 - فضل المؤذنين . . . . . 169
- 11 - الذين يشيرون في الإسلام . . . . . 170
- 12 - فضل الوضوء . . . . . 170
- المبحث الثالث: الشفاعة . . . . . 171
- أولاً: الأدلة القرآنية والنبوية في ثبوت الشفاعة . . . . . 171
- ثانياً: أقسام الشفاعة في الآخرة . . . . . 173
- 1 - الشفاعة الصحيحة . . . . . 173
- 2 - الشفاعة الباطلة . . . . . 174
- ثالثاً: شروط الشفاعة: . . . . . 174
- 1 - رضى الله عن الشافع . . . . . 174
- 2 - رضى الله عن المشفوع له . . . . . 174
- 3 - إذن الله بالشفاعة . . . . . 175
- رابعاً: أنواع الشفاعة . . . . . 176
- 1 - الشفاعة العظمى . . . . . 176



- 2 - اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة . . . . . 177
- 3 - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة . . . . . 177
- 4 - الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم 178
- 5 - الشفاعة في أهل الكبائر . . . . . 179
- 6 - الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب . . . . . 179
- 7 - شفاعة الرسول في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم . . 180
- خامساً: الشفعاء غير النبي ﷺ . . . . . 180
- 1 - الملائكة . . . . . 180
- الأنبياء والمؤمنون الصالحون . . . . . 180
- 3 - الشهداء . . . . . 180
- 4 - أولاد المؤمنين . . . . . 181
- 5 - القرآن الكريم . . . . . 181
- سادساً: الأسباب الجالبة للشفاعة . . . . . 182
- 1 - التوحيد وإخلاص العبادة لله . . . . . 182
- 2 - الصيام . . . . . 182
- 3 - الدعاء بما ورد عند الأذان . . . . . 182
- 4 - سكنى المدينة والصبر على لأوائها . . . . . 183

- 5 - الصلاة على النبي محمد ﷺ . . . . . 183
- 6 - صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم . . . . . 183
- 7 - كثرة السجود . . . . . 183
- المبحث الرابع: الحساب والميزان والحوض والصراط . . . . . 184
- أولاً: إيتاء العباد كتبهم . . . . . 184
- ثانياً: سؤال كل الناس عن أعمالهم . . . . . 186
- 1 - إقامة الحجة عليهم وإظهار عدل الله فيهم . . . . . 188
- 2 - أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم . . . . . 188
- 3 - أن الكفار مكلفون بأصول الشريعة . . . . . 188
- 4 - أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم . . . . . 189
- ثالثاً: الأمور التي يسأل عنها العبد يوم القيامة . . . . . 189
- 1 - الكفر والشرك . . . . . 190
- 2 - كذبهم في حق الملائكة . . . . . 190
- 3 - النعيم الذي أنعم عليه في الدنيا . . . . . 190
- 4 - العهود والمواثيق . . . . . 190
- 5 - العلم والسمع والبصر والفؤاد . . . . . 190
- 6 - إضلال المضلين للناس . . . . . 190

- 7 - الدين ونصرته والقرآن والعمل به . . . . . 191
- 8 - يسأل العبد عن صلاته . . . . . 191
- 9 - سيسأل كل عبد عن أشياء . . . . . 191
- رابعاً: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها . . . . . 191
- 1 - عدل الله التام . . . . . 191
- 2 - لا يتحمل أحد ذنب أحد . . . . . 192
- 3 - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال . . . . . 193
- 4 - مضاعفة الحسنات دون السيئات . . . . . 193
- 5 - تبديل السيئات حسنات . . . . . 194
- خامساً: إقامة الشهود على الناس . . . . . 194
- 1 - شهود الملائكة . . . . . 195
- 2 - شهود الرسل عليهم . . . . . 196
- 3 - وتشهد أمة محمد على الخلق . . . . . 197
- 4 - شهود نبينا محمد ﷺ . . . . . 197
- 5 - شهود جوارح الإنسان من الألسن والأيدي على نفسه . . . . . 198
- 6 - وتشهد الأرض . . . . . 198
- 7 - أعظم شهيد وأجل شهيد . . . . . 199

200	سادساً: اقتصاص المظالم بين الخلق . . . . .
201	1 - عظم شأن الدماء . . . . .
202	2 - أول ما يقضى بين العباد في الدماء . . . . .
202	سابعاً: الحوض . . . . .
207	ثامناً: الميزان . . . . .
208	1 - دقة الميزان . . . . .
209	2 - المؤمنون هم المفلحون . . . . .
210	3 - الأعمال التي تثقل في الميزان . . . . .
212	تاسعاً: الصراط . . . . .
213	1 - عن أبي سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small> . . . . .
214	2 - الأمانة والرحم على جنبتي الصراط . . . . .
215	3 - تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخولهم الجنة . . . . .
216	4 - عظة المرور على الصراط . . . . .
219	الفصل الرابع: النار والجنة . . . . .
219	المبحث الأول: مقدمات . . . . .
219	أولاً: خلود الجنة والنار . . . . .
225	ثانياً: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن . . . . .

226	ثالثاً: مكان الجنة
228	رابعاً: مكان النار
229	خامساً: أصحاب الأعراف
231	المبحث الثاني: النار
231	أولاً: أسماء النار
235	ثانياً: خزنة النار
235	1 - عدد خزنة النار
235	2 - أسماء خزنة النار
237	3 - صفاتهم
238	ثالثاً: صفة النار
238	1 - أبواب النار
239	2 - دركات النار
241	3 - وقود النار
242	4 - شدة حرّها وعظم دخانها وشرارها
243	5 - النار تتكلم وتبصر وتغضب
244	6 - وديان النار
246	7 - جبال النار

- 8 - سراق النار . . . . . 246
- 9 - سعة النار وبُعد قعرها وعظم عمقها . . . . . 246
- 10 - وصف عذاب النار . . . . . 247
- 11 - كيفية دخول أهل النار إلى جهنم . . . . . 250
- 12 - أول من تسعر بهم النار يوم القيامة . . . . . 252
- ثالثاً: ما أعد الله لأهل النار من عذاب . . . . . 252
- 1 - شدة العذاب . . . . . 252
- 2 - إحاطة النار بأهلها . . . . . 254
- 3 - قيود أهل النار وأغلالهم وسلاسلهم ومطارقهم . . . . . 255
- 4 - قرن أهل النار بمعبوداتهم وشياطينهم . . . . . 257
- 5 - سجون أهل النار . . . . . 258
- 6 - طعام أهل النار . . . . . 258
- 7 - شرايبهم . . . . . 261
- 8 - لباس أهل النار . . . . . 264
- 9 - صور من عذابهم . . . . . 265
- رابعاً: مطالب أهل النار في الآخرة . . . . . 272
- 1 - طلب الفداء . . . . . 272

- 2 - طلب العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات . . . . . 274
- 3 - طلب الانتقام من الأولياء . . . . . 280
- 4 - طلب الاستنجاد بالشركاء والأولياء . . . . . 282
- 5 - طلب الخروج من النار . . . . . 286
- 6 - طلب التخفيف من العذاب . . . . . 288
- 7 - طلب القضاء عليهم . . . . . 288
- 8 - طلب سقيا الماء والطعام . . . . . 289
- 9 - طلب النور . . . . . 289
- خامساً: جملة الجرائم التي تدخل النار . . . . . 290
- سادساً: أكبر جرائم المخلدين في النار . . . . . 291
- 1 - الكفر والشرك . . . . . 291
- 2 - طاعة قرناء السوء . . . . . 291
- 3 - النفاق . . . . . 292
- 4 - الكبر . . . . . 292
- سابعاً: أشخاص بأعينهم في النار . . . . . 293
- 1 - فرعون وجنوده . . . . . 293
- 2 - قارون وهامان . . . . . 294

294	3 - إبليس وابن آدم القتال
295	4 - امرأة نوح وامرأة لوط
295	5 - كفرة الجن في النار
295	6 - أحد أبناء نوح
295	7 - قوم نوح
296	8 - قوم عاد
296	9 - قوم ثمود
296	10 - قوم لوط
296	11 - قوم شعيب
297	12 - بنو النضير من اليهود
297	13 - أبو لهب وامرأته
299	المبحث الثالث: موانع إنفاذ الوعيد
299	أولاً: التوبة: مانع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب
300	ثانياً: الاستغفار
301	ثالثاً: الحسنات الماحية
303	رابعاً: دعاء المؤمنين
306	خامساً: إهداء القربات



310	سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر
311	سابعاً: المصائب المكفرة
314	ثامناً: العفو الإلهي
315	المبحث الرابع: الجنة
315	أولاً: الطريق إلى الجنة
318	1 - التوبة
318	2 - تركية النفس
319	3 - التقوى
319	4 - الصبر في البأساء والضراء
319	5 - الجهاد في سبيل الله
319	6 - الشهادة
319	7 - الابتعاد عن الكبائر
320	8 - إقام الصلاة والإنفاق في سبيله تعالى
320	9 - التوكل على الله
320	10 - قيام الليل
321	11 - خوف الله
324	ثانياً: هل الجنة ثمناً للعمل

326	ثالثاً: أول وآخر من يدخل الجنة . . . . .
328	رابعاً: الذين يدخلون الجنة بغير حساب . . . . .
329	خامساً: أسماء الجنة . . . . .
329	1 - الجنة . . . . .
329	2 - جنة الخلد . . . . .
329	3 - جنة النعيم . . . . .
329	4 - جنة المأوى . . . . .
330	5 - جنات عدن . . . . .
330	6 - دار السلام . . . . .
331	7 - دار المتقين . . . . .
331	8 - دار الآخرة . . . . .
332	9 - الحسنى . . . . .
332	10 - دار المقامة . . . . .
332	11 - الفردوس . . . . .
333	سادساً: صفة الجنة . . . . .
333	1 - أبواب الجنة . . . . .
334	2 - قصور الجنة وخيامها . . . . .

- 3 - أشجار الجنة وثمارها . . . . . 336
- أ - الشجرة التي يسير الراكب فيها مائة عام . . . . . 339
- ب - سدرة المنتهى . . . . . 339
- ج - شجرة طوبى . . . . . 340
- 4 - درجات الجنة . . . . . 341
- 5 - أنهار الجنة . . . . . 345
- 6 - عيون الجنة . . . . . 347
- أ - عين الكافور . . . . . 347
- ب - عين السلسيل . . . . . 348
- ج - عين التسليم . . . . . 349
- 7 - نور الجنة . . . . . 349
- 8 - ربح الجنة . . . . . 350
- 9 - تربة الجنة . . . . . 351
- 10 - دواب الجنة وطيورها . . . . . 351
- 11 - الجنة لا مثل لها وأنها فوق ما يخطر بالبال . . . . . 352
- سابعاً: أصحاب الجنة . . . . . 354
- 1 - معرفة أهل الجنة لمساكنهم . . . . . 355

- 2 - هل الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ . . . . . 356
- 3 - أطفال المؤمنين . . . . . 356
- 4 - اجتماع أهل الجنة وحديثهم . . . . . 358
- 5 - أعلى أهل الجنة . . . . . 359
- 6 - أهل الجنة يرثون نصيب أهل النار في الجنة . . . . . 360
- 7 - زوجة المؤمن إذا ماتت على الإيمان مع زوجها . . . . . 361
- 8 - مؤمنو الجن يدخلون الجنة . . . . . 361
- 9 - ضحك أهل الجنة من أهل النار . . . . . 362
- ثامناً: سادة أهل الجنة . . . . . 362
- 1 - الأنبياء والرسل . . . . . 362
- 2 - سادات الصحابة . . . . . 364
- 3 - سيدات نساء أهل الجنة . . . . . 366
- تاسعاً: فضل نعيم الجنة على متاع الدنيا . . . . . 368
- 1 - متاع الدنيا قليل . . . . . 369
- 2 - هو أفضل من حيث النوع . . . . . 370
- 3 - الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها . . . . . 371
- 4 - نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق . . . . . 372

- 5 - العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة . . . . . 373
- عاشراً: نعيم أهل الجنة . . . . . 373
- 1 - طعام أهل الجنة . . . . . 373
- 2 - شراب أهل الجنة . . . . . 375
- 3 - آنية طعامهم وشرابهم . . . . . 379
- 4 - لباس أهل الجنة وحليهم . . . . . 381
- 5 - فرش أهل الجنة . . . . . 382
- 6 - بسط أهل الجنة . . . . . 383
- 7 - الوسائد . . . . . 383
- 8 - سرر وأرائك أهل الجنة . . . . . 383
- 9 - خدم أهل الجنة . . . . . 385
- 10 - سوق أهل الجنة . . . . . 386
- 11 - سماع أهل الجنة . . . . . 386
- 12 - لهم ما اشتته نفوسهم . . . . . 388
- 13 - الجمع بين متاع الدنيا ونعيم الجنة . . . . . 388
- الحادي عشر: الحور العين . . . . . 389
- 1 - جمال وحسنهن . . . . . 389

- 2 - صفاتهن الخُلُقِيَّة 390 . . . . .
- 3 - صفاتهن الخُلُقِيَّة 392 . . . . .
- 4 - غيرة الحور العين 394 . . . . .
- 5 - يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل 395 . . . . .
- الثاني عشر: أفضل ما يعطاه أهل الجنة النظر 397 . . . . .
- 1 - آيات المزيد 398 . . . . .
- 2 - الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى 399 . . . . .
- 3 - آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه 399 . . . . .
- 4 - آيات العندية 400 . . . . .
- 5 - آيات الملاقة 401 . . . . .
- 6 - الأحاديث النبوية في الرؤية 402 . . . . .
- 7 - رضوان الله أكبر 403 . . . . .
- الثالث عشر: آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين 404 . . . . .
- الخاتمة 405 . . . . .
- فهرس المحتويات 408 . . . . .



## التكوير على محمد محمد الصلابي

إن بني البشر يسألون عن مصيرهم وإلى أين هم ذاهبون ويخشون من الموت وأهواله ويبحثون عن إجابات شافية ماذا بعد الموت؟

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ إِلْيَاكَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾.

إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد اضطربت فيه التصورات وانحرفت فيه العقائد عن الله والكون، والإنسان والحياة، والقضاء والقدر، والجنة والنار.

والمسلمون يملكون عقيدة سليمة لا يملكها غيرهم وحباهم الله بكتابه العزيز الذي حفظه من الضياع والتحريف وسنة نبيه ﷺ، وهي شارحة ومبينة لكتاب ربنا عز وجل.

وكتابنا هذا فيه إجابات شافية وواقية لتساؤلات الكثير من بني الإنسان قد جمعت من كتاب الله وسنة نبيه.

ISBN 9953-85-239-1



9 789953 852393 > 9 0000 >



دار المعرفة  
للطباعة والنشر

www.marefah.com